

عبد القادر هاشم محمد الياسي

الحروب الصليبية

حصار المدن الإسلامية في بلاد الشام

(491هـ/1097م - 587هـ/1191م)

إصدارات دائرة الثقافة، حكومة الشارقة 2020 م


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



الحروب الصليبية

حصار المدن الإسلامية في بلاد الشام

عبد القادر هاشم محمد الياسي

الحروب الصليبية

حصار المدن الإسلامية في بلاد الشام

(491هـ/1097م - 587هـ/1191م)

إصدارات دائرة الثقافة، حكومة الشارقة 2020 م

الناشر: دائرة الثقافة ـ حكومة الشارقة ـ دولة الإمارات العربية المتحدة
هاتف: 5123333 9716+
بـرّاق: 5123303 9716+
بريد إليكتروني: sdc@sdc.gov.ae

الطبعة الأولى 2020

909.07
ي ع . ح
الياسي، عبد القادر هاشم محمد.
الحروب الصليبية: حصار المدن الاسلامية في بلاد الشام/ عبدالقادر هاشم محمد الياسي .- الشارقة، الامارات العربية المتحده: دائرة الثقافة، 2020.
368 ص؛ 23.5X15.5 سم.
الكتاب في الاصل رسالة ماجستير
1 – الحروب الصليبية
2 – العالم الاسلامي – تاريخ – الحروب الصليبية
3 – الشام – تاريخ – الحروب الصليبية
أ – العنوان
ISBN: 9789948357865

الإهداء

أهدي رسالتي إلى:

والدي رحمه الله تعالى.

وإلى والدتي الغالية... التي عوّضتني بكل الحنان... وغمرتني بعطفها... وشملتني بوافر دعائها في صلاتها وسائر أوقاتها..

إلى أصحاب السـعادة والمواقع الرفيعة أساتذتي الأعزاء الذين لم يبخلوا عليّ يوماً بتوجيهاتهم ونصائحهم التي كانت لي سنداً قوياً ورافداً حيوياً في إنجاز هذا العمل.



المقدمة

شهد الشرق الإسلامي هجمة شرسة، قادها أبناء الغرب الأوروبي في العصور الوسطى، متخذين من الصليب شعاراً لهم، يخفي أغراضهم الحقيقية المتمثلة بالاستعمار والاستيطان والسيطرة الاقتصادية، فالحركة الصليبية تعد إحدى الظواهر الرئيسة المميزة لتاريخ العصور الوسطى، وقد استمدت أهميتها من أنها استغرقت نحو قرنين من الزمن في بلاد الشام، وأن الجانبين الإسلامي والصليبي، قد تأثرا بها في كافة نواحي الحياة، السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

الواقع أن الحروب الصليبية كانت ذات طابع دموي تعصبي؛ لذلك ظهر منذ البواكير الأولى للمشروع الصليبي أنه مشروع دموي تتكرر فيه المذابح التي اقترفها الصليبيون ضد المسلمين خاصة المدنيين، وخلال ذلك تم الفتك بعشرات الآلاف من المسلمين، وجاء ذلك وسط موجة عارمة من العداء

والكراهيــة، والرغبة الجامحة فــي القتل لكل من لا يدين بالنصرانية، ولا أدل علــى ذلــك من المذابح التي حدثــت على طول الطريق مــن أنطاكية إلى بيت المقـدس، ووصلت إلــى ذروتها في تلك المدينة المقدســة، حيــث جرت فيها مذبحة مروّعة.

لقد شــهدت بلاد الشام في القرنين السادس والسابع الهجريين/ الثاني عشر والثالث عشــر الميلاديين، حروباً شــبه مســتمرة بين الصليبيين والمســلمين، وتعـددت صــور هذه الحــروب، وتنوعت أســاليبها ووســائلها، فمن حروب العصابات، إلى خوض المعارك الضارية والمباشــرة، ومن معارك الحصار الجزئية، إلى حروب الحصار الممتدة والمســتمرة، وتنوعت دوافع الصليبيين لحصار هذه المدن، ومنها لغايات توسعية وتحقيق مكاسب اقتصادية، وموقعها الاســتراتيجي مثــل أنطاكية، وتم محاصرة مدن أخــرى لمكانتها الدينية؛ مثل بيــت المقدس، كما أن الأهمية السياســية والعســكرية والاســتراتيجية لبعض المدن، دفعت الصليبيين لمحاصرتها، وكذلك على أســاس أنها مدن محورية، وذات أهمية دينية، واستراتيجية، وعسكرية، وإنها واقعة على خطوط التجارة العالمية، المارة ببلاد الشام؛ مثل دمشق وعكا.

فكان ذلك من الأســباب التي دفعتني إلــى اختيار موضوع «حصار المدن الإســلامية في بلاد الشــام عصر الحــروب الصليبية»، خاصــة خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي لكي يكون محوراً للدراسة.

يتبــع البحث المنهج التاريخــي التحليلي، القائم على جمــع المعلومات من مصادرها الأصلية، وتصنيفها وفق خطة البحث، ثم دراستها ونقدها وتحليلها، واســتخلاص المعلومات المناســبة لســياق الأحــداث، بالإضافة إلــى المنهج

المقارن، من أجل التوصل الى رؤية واضحة عن حصار المدن خلال الصراع الصليبي – الإسلامي في المرحلة موضوع الدراسة.

لقد اقتضت طبيعة دراسة الموضوع تقسيمه إلى خمسة فصول، سبقها تمهيد اشتمل على دراسة جغرافية المدن الشامية المحاصرة، وتناول الفصل الأول حصار الصليبيين لأنطاكية (490 – 491هـ/1097 – 1098م)، أما الفصل الثاني فيتناول حصار الصليبيين لبيت المقدس (492هـ/1099م)، والفصل الثالث بعنوان حصار الصليبيين لدمشق (543هـ/1148م)، وفي الفصل الرابع سأتناول حصار عكا (585 – 587هـ/1189 – 1191م)، وفي كل فصل من الفصول الأربعة تكلمت في ثلاثة مباحث عن المقدمات السياسية والعسكرية للحصار، وأحداث الحصار ومراحله، وأخيراً نتائجه، وفي الفصل الخامس سأقوم بدراسة مقارنة لحصار الصليبيين لبعض المدن الشامية موضوع الدراسة.

أخيراً، وضعت خاتمة للبحث، تعرضت فيها لأهم النتائج التي تم التوصل إليها، وذيلت البحث بالخرائط، وقائمة بالمصادر والمراجع.

أما عن الصعوبات والعقبات، فإن هذا الموضوع لا تنقصه المادة المصدرية، بل تتمثل الصعوبة في تشعب الإشارات المصدرية، وصعوبة تتبعها ورصدها، كما أن تلك الإشارات لم تكن متوازنة في تغطيتها للمدن المحاصرة التي أرخت لها.

وقد أسهبت المصادر والمراجع التاريخية، في تناول موضوع الحصار، والذي يمثل مرحلة دقيقة في حياة المدينة، لذلك تشابكت الروايات والآراء، وتباينت وجهات النظر، حول العديد من الموضوعات والمواقف.

أما حظ الموضوع من الدراسات السابقة، فيلاحظ أن كافة دراسات عصر الحروب الصليبية، أشارت إلى حصار المدن الإسلامية بصورة ضمنية، لكن لا توجد إلى الآن دراسة أكاديمية عن حصار المدن الإسلامية في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية، خاصة خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، وتبقى هذه الدراسة عملاً أولياً متواضعاً، في تاريخ بلاد الشام عصر الحروب الصليبية، فإن أحسنت الصنع فيها فذلك توفيق من الله، عزّ وجلّ، وإن أخطأت فمن نفسي، آملاً من العلي القدير أن يعينني على سداد ثغراتها، وتلافي نواقصها، وأن يلهم الباحثين والمهتمين بدراسة هذه الفترة من تاريخ بلادنا، تصويب هفواتها، أو إظهار حقائق جديدة في التاريخ السياسي والعسكري.

التمهيد:

جغرافية المدن الشامية المحاصرة

لقد فرضت الجغرافيا على مر العصور نفسها على التاريخ، وغيرت من مساره، إذ إن الجغرافيا توجه التاريخ، وما التاريخ إلا الصراع على الجغرافيا، في بعض جوانبه، فالارتباط وثيق للغاية بين الجغرافيا والتاريخ، أو بمعنى آخر بين المكان والزمان، وليس معنى هذا؛ أن نتبنى فكرة الحتمية الجغرافية، بدون تأثير الإنسان كصانع للتاريخ.

لكي نتتبع تطور الأحداث التاريخية في منطقة بلاد الشام، خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، فيما عرف بالحروب الصليبية(1)، فإن ذلك يدفعنا إلى دراسة جغرافيتها، وتوضيح طبوغرافيتها، مع التركيز على المدن الشامية محل الدراسة.

كان للغرب الأوروبي معرفة جغرافية بمنطقة الشرق الإسلامي، وخاصة بلاد الشام، ومصر، وبلاد الرافدين، وذلك من خلال رحلات التجار،

والسفراء، وكذلك الحجاج الأوروبيين، والجواسيس الذين زاروا المنطقة، خلال العصور الوسطى.

لا ريب في أن الصليبيين كانت لهم معرفة مسبقة بالعديد من المواقع الجغرافية الحيوية في تلك المنطقة، وما كانت حاجتهم إلى البيزنطيين في بادئ الأمر؛ كمرشدين وأدلاء فقط، فإن ذلك كان ينطبق تمام الانطباق على آسيا الصغرى، بما احتوته من جبال وصحارى، مع عدم إغفال الأوضاع المناخية القاسية، صيفاً وشتاءً.

إقليم بلاد الشام لدى الجغرافيين المسلمين الأوائل هي صقع، يحده من الشرق سقي نهر الفرات، ومن الغرب البحر المتوسط، ومن الجنوب البحر الأحمر، ومن الشمال سفوح جبال طوروس؛ المتصلة ببدايات آسيا الصغرى، حيث الخط الذي عرف لقرون عديدة؛ باسم الثغور الشامية والجزرية مع بيزنطة.

يعتبر هذا الموقع مميزاً، وقد كان ذا أهمية عالية للغاية، بالنسبة إلى قارات العالم القديم الثلاث آسيا وأفريقيا وأوروبا، فهذه المنطقة الواقعة في آسيا، والممتدة على شواطئ طويلة على البحر المتوسط، قامت بدور صلة الوصل بين قارات العالم القديم.

ونقدم في العرض التالي تعريفاً جغرافياً، لجغرافية المدن موضع الدراسة، وهي أنطاكية، وبيت المقدس، ودمشق، وعكا، ونبذةً عن تاريخها قبل مقدم الحروب الصليبية.

أولاً - مدينة أنطاكية:

تقع مدينة أنطاكية على نهر العاصي، وتبعد عن البحر المتوسط 12 ميلاً

تقريباً (20 كم)، وتقع على أول طريق الشام للقادمين من آسيا الصغرى، حيث تقع في شمال بلاد الشام، في الزاوية الشمالية الغربية من سوريا، غربي مدينة حلب.

الواقع إذا نظرنا نظرة سريعة إلى جغرافيتها، ندرك مدى الحصانة الطبيعية التي وهبها الله لهذه المدينة، بالإضافة إلى القلاع والحصون؛ فالمدينة محاطة بالجبال العالية من جهتي الجنوب والشرق جبل (سيلبيوس) (حبيب النجار) الذي يوفر لها الحماية، وهي محاطة أيضاً من الشمال بمستنقعات وأحراش، وفوق هذه الحماية الطبيعية؛ فهي محاطة بأسوارٍ عالية من كل جانب، بنيت في عهد الإمبراطور جستينيان Justinian (527م – 565م)[2]، خلال القرن السادس الميلادي، وكان سورها عريضاً إلى درجة كبيرة، بحيث إنه كان من الممكن كما قال البعض، أن يتسع أعلاها لأربعة أحصنة، وعلى هذه الأسوار ثلاثمائة وستون برجاً للمراقبة، وقيل أكثر من هذا، بالإضافة إلى قلعة حصينة من الصعب أن تُقتحم بنيت فوق سفح جبل سيلبيوس[3].

ذكر ياقوت الحموي: «أنطاكية بلد عظيم ذو سور وفصيل، ولسوره ثلاثمائة وستون برجاً، يطوف عليها بالنوبة أربعة آلاف حارس، وشكل البلد كنصف دائرة قطرها يتصل بجبل، والسور يصعد مع الجبل إلى قلّته فتتم دائرة، وفي رأس الجبل داخل السور قلعة تبين لبعدها من البلد صغيرة»[4].

يحد أنطاكية من الغرب نهر العاصي، ويعرف أيضاً بالنهر المقلوب؛ لأنه يجري من الجنوب إلى الشمال عكس أنهار بلاد الشام[5]، وكذلك يسمى بالأرنط أو الأرند[6]، ومخرجه من بعلبك في سهل البقاع بلبنان، فيمر بحمص ثم يتصل بمدينتي حماة وشيزر، ويأتي أنطاكية من جنوبها، ثم ينعطف مع

الجنــوب، فيصــب بجنوب السـويدية في البحر المتوســط وتحديـداً في خليج إســكَنْدَرُونة[7]، ولا شــك في أن هذا الموقع كان موقعاً فريداً، حيث اجتمع فيه النهر، والحصانة الطبيعية المدعومة بالحصانة الصناعية.

كما تعد أنطاكية مدينة داخلية غير ســاحلية، إلا أنها على مقربة من البحر المتوسط من جهة الغرب، وبين أنطاكية والبحر اثنا عشر ميلاً (20 كم تقريباً)، ولها مرســى يقال له السـويدية، ترســو فيه المراكـب، يرفعون منه أمتعتهم على الـدواب إلى أنطاكية[8]، مما يجعل وصول المؤن إليها عن طريق البحر أمراً ممكناً، بل ميسوراً.

يحد أنطاكية من الشــرق حلب حاضرة شمالي بلاد الشام الكبرى، وبينهما مـدن وقلاع وحصون كثيـرة، لعبت دوراً ليس بالهين أثنــاء الحملة الصليبية الأولى.

كان مناخ أنطاكية يتبع مناخ البحر المتوسط، الحار والجاف صيفاً، والدافئ الممطر شتاءً[9].

تُعَـدُّ مدينة أنطاكية من أهم المدن في منطقة الشــام، وآســيا الصغرى، بل لا نبالــغ إن قلنــا إنهــا كانت من أهم مدن العالم القديم بأســره، وكان ســلوقس الأول (358 ق.م. – 281 ق.م.) قد أسسها سنة 300 ق.م وسميت باسم أبيه[10]، وكانت قديماً ثالثة مدن الإمبراطورية الرومانية، وكذلك كانت مدينة دينية من الطــراز الأول، حيث يعظِّم النصارى شــأنها، فهي أول مدينة أطلق فيها على أتباع المسيح اسم المسيحيين، وذلك كما جاء في سِفْر أعمال الرسل في الكتاب المقدس: «ودُعي التلاميذ مسيحيين في أنطاكية أولاً»[11].

أسَّــس القديس بطرس[12] في هذه المدينة أول أسقفية له[13]، وهي ركن من

أركان النصارى، وذلك أنها كرسي من كراسيهم، حيث يوجد بروما كرسي، وبالإسكندرية كرسي، وببيت المقدس كرسي[14].

تُعَدُّ هذه المدينة من أحصن مدن الشام، بل من أفضل مدن العالم آنذاك، وكانوا يقارنون حصانتها بحصانة القسطنطينية[15]، وتمثل المدينة بطبيعتها حصناً لا يمكن الاستيلاء عليها، وكانت تحيط بالمدينة أسوار هائلة، وعدد أربعمائة برج من عصر الإمبراطور جستينيان Justinian[16].

مما لا شك فيه؛ أن وقوع مدينة أنطاكية على طريق الحرير[17]، قد ساهم في ازدهار النشاط الاقتصادي فيها، كذلك قربها من مدينة حلب، التي تمثل مركزاً رئيسياً لتجارة الشرق الإسلامي، أهمية كبرى في ازدهارها اقتصادياً.

أما بالنسبة إلى المسلمين فقد فتحوا أنطاكية مبكراً؛ في سنة (15هـ/636م)، على يد الصحابي الجليل أبي عبيدة بن الجراح، بعد معركة اليرموك الحاسمة، سار إليها من حلب، فحاصر أهلها من جميع نواحيها، ثم إنهم صالحوه على الجزية أو الجلاء فجلا بعضهم، وأقام بعضهم، فهي إسلامية منذ أكثر من 460 سنة[18].

في عهد معاوية بن أبي سفيان (41 – 60هـ/661 – 680م)، تحولت المدينة إلى منطقة إسلامية واضحة المعالم، حيث لاحظ تكرار الهجمات البيزنطية عليها، فقرر أن يُعطِي فيها وحَوْلها إقطاعاتٍ ضخمة، لمن ينتقل إليها من المسلمين؛ فرحل إليها المسلمون من دمشق وحمص ولبنان، بل ومن العراق، ليستوطنوا في هذه المنطقة، وكان هدفه من وراء ذلك إيجاد درع بشرية في مواجهة الهجمات البيزنطية، وبالتالي تغيرت التركيبة السكانية في المنطقة لصالح المسلمين، وصارت المدينة إسلامية آمنة، خاصةً بعد تثبيت الأقدام

الإسلامية في المدن التي تقع في شمالها، مثل مرعش[19] وطرسوس[20] وملطية[21] وغيرها[22].

لم تزل أنطاكية بعد ذلك في أيدي المسلمين، وثغراً من ثغورهم، إلى أن ملكها البيزنطيون في سنة (353هـ/964م)، بعد أن ملكوا الثغور المصّيصة[23] وطرسوس، وأذنة[24]، واستمرت في أيديهم إلى أن استردها منهم سليمان بن قتلمش السّلجوقي؛ جدّ ملوك آل سلجوق[25] في عام (477هـ/1084م)، فاستقام أمرها، وبقيت في أيدي المسلمين إلى أن اغتصبها الصليبيون، من حاكمها ياغي سيان التّركي[26]، وذلك سنة (491هـ/1089م)[27]، وسيتضح ذلك في الفصل الأول.

ثانياً - بيت المقدس:

شيّدت بيت المقدس على تلال شامخة، وليس حولها ولا بالقرب منها أرض وطيئة، وأما نفس المدينة فهي على فضاء في وسط تلك الجبال، ويقع بيت المقدس بين البحر الميت من الشرق، والبحر المتوسط من الغرب، وتبعد عن البحر الميت 18 ميلاً (29 كم)، وعن البحر المتوسط 32 ميلاً (51 كم)، وهي مرتفعة نحو 3800 قدم عن سطح البحر الميت و2500 قدم عن سطح البحر المتوسط.

لبيت المقدس ثمانية أبواب، باب صهيون (باب النبي داوود)، وباب النية، وباب البلاط، وباب جب أرميا، وباب سلوان، وباب أريحا، وباب العمود، وباب محراب داوود، عليه السّلام[28].

تعد بيت المقدس البوابة الاستراتيجية لفلسطين، وتعود أهميتها الجغرافية

لمناعتهـا الحربية، فهي مدينــة تقع على التلال المرتفعة، وتحيطها الأســوار العالية، كما أن مركزها الديني جعلها قبلة للحجاج من كافة أنحاء العالم[29].

تعتبر تلك المدينة، من أكبر المعاقل والحصون، وقد جعل الموقع الجغرافي العبقري من بيت المقدس؛ عسيرة المنال، على الأعداء، فأسوارها تكاد تكون عصّيــة على الاختراق أو الاجتيــاز، إضافة إلى ذلك تظل القدس عصية على أي هجوم من جهاتها الثلاث؛ من الشرق والجنوب الشرقي، حيث يلفها وادي قدرون أو وادي جهنم، ومن الجنوب حيث يلفها وادي هنّوم أو وادي الربابة، ومــن الغرب حيــث يلفها وادي الروث أو وادي تيروبيــون، فهي إذاً محصنة طبيعيــاً، إضافــة إلى ما تمنحها أســوارها وحصــن داوود الواقع في منتصف السور الغربي، والذي يسيطر على جزء كبير من محيط المدينة، حيث لم تكن مفتوحة إلا من الجهة الشمالية، وتحميها الجبال من الجهات الأخرى[30].

وصــف منــاخ بيت المقدس بأن طقســها معتدل، وجوّها صــافٍ وهواؤها عليـل، الربيــع فيها معتدل، وكذلــك الخريف، أما الصيــف فترتفع فيه درجة الحرارة، وفصل الشــتاء يدوم من شــهر ديسمبر حتى شهر مارس وهو بارد، يهطل الثلج في بعض السنين وهو لا يدوم طويلاً[31].

تُعتبر مدينة القدس من أقدم مدن العالم؛ وهي مدينة عربية إســلامية، تمتد جذورها إلى عهد الكنعانيين العرب ومنهم اليبوســيون، وهم الذين بنوا المدينة في نحو العام 3000 ق.م، وهم أول من أطلقوا عليها اســم (يبوس) أو أورسالم (أورشليم)، وهذا يؤكد عروبتها منذ آلاف السنين، وفي سنة 70م قام الرومان بهدم المدينة، وببنائها من جديد وأطلقوا عليها اسم (إيليا)[32].

قد دخلت بيــت المقدس عبر التاريخ في حكم عدد من الإمبراطوريات، ما

أدى إلى تغير اسمها أكثر من مرة، وحصلت على اسمها القدس منذ العهد العباسي[33].

حباها الله من القدسية والبركات ما لم يهبه لغيرها من المدن، وفضائل ومناقب بيت المقدس كثيرة لا تحصى، وهي مقام الأنبياء، وموقف الأولياء، ومعبد الأتقياء، ومنها المحشر والمنتشر، ومنها يتفرّق الناس إلى الجنة أو إلى النار[34].

فبيت المقدس مباركة بنص القرآن الكريم، في قوله تعالى: {وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطاً إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بارَكْنا فِيها لِلْعالَمِينَ} [الأنبياء:71]، وقال ابن كثير في الأرض التي باركنا فيها؛ أنها بلاد الشام، وهي مسرى الرسول صلى الله عليه وسلم، وأولى القبلتين، وثاني مسجد بني في الأرض، وثالث الحرمين، وهو أحد المساجد الثلاثة التي جاء في الخبر النبوي أنها تشد إليها الرحال، وهو منتهى الإسراء ومبتدأ المعراج، وقال تعالى: {سُبْحانَ الَّذِي أَسْرى بِعَبْدِهِ لَيْلاً من الْمَسْجِدِ الْحَرامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى} [الإسراء: 1].

كذلك تعد بيت المقدس مدينة مقدسة في الديانة المسيحية، ففيها عاش عيسى عليه السلام، وأن المسيح صلب في القدس، وقام منها إلى السماء، وفيها كنيسة القيامة، وطريق الآلام؛ الذي يرى أتباع الديانة المسيحية أن المسيح سار عبره إلى موقع صلبه (كما يزعمون)، كما تشكل القدس وجهة حج للمسيحيين، وفيها عدد كبير من الكنائس، التي حافظت على وجودها في ظل الحكم الإسلامي للمدينة المقدسة بسبب العهدة العمرية؛ وهي العهدة التي قدمها عمر بن الخطاب لأهل القدس حامية لأنفسهم وأموالهم وأعراضهم وكنائسهم.

كما يقدس اليهود بيت المقدس، ويعتبرون أنها وردت باسمها صراحة بشكل متكرر في العهد القديم، ويزعمون أن الملك سليمان بنى فيها معبداً لليهود،

وأن الرب وعدهم بأن تكون هذه الأرض لهم ولنسلهم، (كما يزعمون)، كما يورد العهد القديم بأنه سيعطي هذه الأرض لإبراهيم ولنسله من بعده، ومن ذلك قولهم: «وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك، كل أرض كنعان ملكاً أبدياً»[35].

كانت بيت المقدس هدفاً للطامعين، نظراً لقدسيتها ومكانتها العظيمة، لدى أتباع الديانات السماوية الثلاث اليهودية، والمسيحية، والإسلامية، وتبعاً لموقعها الجغرافي المتوسط بين القارات القديمة الثلاث آسيا وأفريقيا وأوروبا، لانتزاعها من أيدي أصحابها الشرعيين، فشهدت من الصراعات، والنزاعات، والمحتلين عبر التاريخ، ما لم تشهده مدينة غيرها، ويقال إنها دمرت تسع عشرة مرة، وعادت للحياة مما أكد تفرد تاريخها، حيث أخضعها المصريون الفراعنة، ثم العبرانيون، ثم الفرس، واليونان، والرومان، والبيزنطيون، حتى فتحها المسلمون، على يد الصحابي أبو عبيدة بن الجرّاح، في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، بالسلم لا بالحرب، وذلك سنة 16هـ/636م، وكان ذلك بعد معارك عديدة مثل مؤتة وأجنادين واليرموك التي هزم فيها الروم، حتى انتهت إلى أن ملكها سكمان بن أرتق وأخاه إيلغازي، ثم أخضعها الفاطميون لسيطرتهم قبل مجيء الصليبيين بعام واحد، وذلك في سنة 491هـ/1098م[36]، حتى سقطت المدينة بيد الصليبيين، والذي سيكون محل الدراسة في الفصل الثاني.

ثالثاً - مدينة دمشق:

دمشق مدينة داخلية غير ساحلية، تبعد نحو 50 ميلاً (80 كم) عن البحر المتوسط، وتقع على هضبة بارتفاع 690م عن سطح البحر، وتبعد عن

القدس 138 ميلاً (220 كم) إلى الجنوب منها، وقد أشار الجغرافيون والرحالة المسلمون لحسن موقعها، حيث إن المياه المتوفرة بكثرة من الأنهار والينابيع، والتربة الخصبة، والمناخ المعتدل، ساهم ذلك في عمران المدينة وازدهارها؛ قال ابن حوقل: «هي أجمل مدينة من مدن الشام تقع في أرض مستوية»[37].

تمتد المدينة من السفح الجنوبي لجبل قاسيون نحو الشرق إلى البادية، وتحيط بها الغوطة من جميع الجهات، فهي قائمة في وسط الغوطة، كانت البساتين الخصبة سبب وجود دمشق الأساسي وغناها عبر العصور، مرتوية من فروع نهري بردى في الشمال، والأعوج في الجنوب، وكلاهما شديد التشعب في نواعير (سواقٍ) تغطي المدينة والغوطة أيضاً.

تمتد البساتين باتجاه الغرب وباتجاه الشمال مسافة خمسة أميال باتجاه لبنان، وقد أحاطت بالمدينة من جميع الجوانب بشكل واسع وعميق، وكانت أشبه بالغابات المظلمة لكثافة أشجارها، وشكلت هذه البساتين وسيلة وقاية كبيرة للمدينة، حيث إن الأشجار المزروعة إلى جانب بعضها والممرات الضيقة، كل ذلك جعل من الصعب الوصول إليها من ذلك الاتجاه[38].

تعد مدينة دمشق كما يقال أقدم مدينة مأهولة في العالم، وأقدم عاصمة في التاريخ، هي أهم مدن الشام، ومن أحصنها عسكرياً، ومن أغناها ثروة في المال والسلاح، كما أنها بموقعها الاستراتيجي تشرف على عدة محاور في غاية الأهمية؛ فهي قريبة نسبياً من عدة مدن إسلامية، مثل بيروت وصيدا وعكا وطبرية، كما أنها واقعة على الطريق إلى بيت المقدس، وهي تشرف على الطريق بين بيت المقدس في الجنوب، والإمارات الصليبية في الشمال؛ طرابلس وأنطاكية والرها[39].

اشتهرت دمشق بوصفها مدينة تجارية واقتصادية مهمة، تقصدها القوافل التجارية للراحة أو التبضع، كانت المدينة إحدى محطات طريق الحرير[40].

قام الإسكندر الأكبر بالسيطرة على دمشق سنة 331 ق.م، وبعد وفاته أصبحت دمشق محلّ صراعٍ بين العديد من الإمبراطوريات المختلفة، فانتقل حكمها من إمبراطوريةٍ لأخرى، وفي القرن الثاني ق.م حكمها البطالمة والسلوقيون، حتى سيطر الرومان عليها في سنة 64 ق.م، واكتشف الرومان الأهمية الكبيرة لهذه المدينة، فجعلوها إحدى المدن العشر، أو كما تعرف بالديكابولس[41].

فتح المسلمون مدينة دمشق سنة 13هـ/635م، بقيادة الصحابي خالد بن الوليد سلماً، بعد حصار دام ستة أشهر، ثم اتخذها معاوية بن أبي سفيان عاصمة للدولة الأموية، ويلاحظ أنها كانت عاصمة للخلافة الأموية، التي امتدت رقعتها من الصين شرقاً إلى الأندلس غرباً.

وقعت دمشق تحت حكم الدولة الفاطمية من سنة 358هـ / 968م إلى سنة 468هـ/1075م، وبعد تحرير المدينة من الفاطميين؛ بقيادة القائد السلجوقي تتش بن ألب أرسلان، فإنها مرت بفترات عصيبة تحت الحكم العسكري لأحد قواد السلاجقة: وهو الملك اتسز بن أوق 468هـ / 1076م، ثم السلطان تاج الدولة أبي سعيد تتش بن السلطان العادل ألب أرسلان أخي السلطان ملكشاه أبي الفتح سنة 471هـ/1079م، ثم شمس الملوك دقاق بن تتش خلال الأعوام من (488 – 497هـ / 1095 – 1104م)[42]، ثم الأمير ظهير الدين طغتكين[43] (497 – 522هـ / 1105 – 1129م)، ثم ابنه تاج الملوك بوري[44] (522–526هـ / 1129 – 1133م) قتله الباطنية[45]، ثم ابنه شمس الملوك إسماعيل[46] (526–

529هـ/1133 – 1135م) قتلته أمه زمرد خاتون وأجلست أخاه شهاب الدين محمود بن بوري محله (529–533هـ / 1135 – 1139م) قتله غلامه، وتولى الحكم بعده أخوه جمال الدين محمد بن بوري (533–534هـ / 1139 – 1140م)، وبعد وفاته تولى الحكم ولده مجير الدين أبق بن جمال الدين[47]، حتى وصول الصليبيين لحصارها[48]، وهذا ما سوف نبحثه في الفصل الثالث.

رابعاً - مدينة عكا:

العكة: الرملة حميت عليها الشمس، وقال الليث: العكة من الحرّ الفورة الشديدة في القيظ وهو الوقت الذي تركد فيه الريح[49].

وقعت عكا في الجهة الشمالية الغربية من فلسطين، على ساحل بحر المتوسط، في موقع استراتيجي مهم؛ لا سيّما إحاطتها بالأسوار والدفاعات الطبيعيّة من الجبال والتلال، مما يجعل الوصول إليها شاقّاً، ويجعلها آمنةً ضد الهجمات، حيث تحدُّها من الشمال رأس الناقورة، ومن الجنوب جبل الكرمل، ومن الشرق يحدّ المدينة سفوح جبال الجليل ومُستنقعات نهر النعامين، وتطُلّ سواحلها الغربيّة على البحر المُتوسّط، وتبعد عن بيت المقدس 112 ميلاً (179 كم) إلى الشمال الغربيّ[50]، وامتلكت ميناءً صالحاً لرسو السفن طوال العام، ويجري بالمدينة نهر عين البقر أو نهر بيلوس[51].

وكان الموقع الجغرافي لعكا، نعمة ونقمة على المدينة في آن واحد، نعمة لانفتاحه على المناطق الأخرى في العالم، وهذا ساعد على التبادل التجاري، والاحتكاك الحضاري بين سكان عكا والعالم الخارجي، ونقمة لأنه عرض المدينة لأطماع الطامعين[52].

نشـأت عكا قديماً على تل الفخار (تل كيسـان)، الواقع في مرج عكا على نهـر بيلـوس، على بعد ميل (1.6 كم) شـرقي عكا الحاليـة[53]، ثم امتدت إلى الجهتين الغربية والجنوبية الغربية، وقد دعي بهذا الاسـم؛ لكثرة ما حواه من شقف الفخار[54].

تُعد عكا من أقدم المدن التي تأسسـت في التاريخ البشـريّ، وتتميّز بكثرة الحضـارات التي قامت على أرضهـا، وتركت كل منها آثاراً في المدينة حتى اليوم، يعود تاريخ تأسيسها إلى الألف الثالثة ق.م، على يد إحدى القبائل الكنعانية العربية تُسمّى بالجرجاشيّين، أسموها (عكو) (أي الرمل الحار) [55]، وحوّلوها إلى مركز تجاريّ مهمّ للغاية، وكانت منازلهم شرقي بحيرة طبرية[56]، استمرّ الحكـم الكنعانيّ العربيّ للمدينة حتى القـرن الثامن ق.م، ثم أصبحت بعد ذلك جـزءاً مـن دولة الفينيقيين. في عـام 1479 ق.م احتـلّ المدينة جيش تحوتمس الثالـث المصـريّ، على إثر انتصاره في موقعة مجو[57]، وفي عام 1314 ق.م احتلّ المدينة الفرعون سيتي الأول.

بعـد دخول العبرانيين (بني إسـرائيل) إلى أرض كنعان؛ في أواخر القرن 13 ق.م، سقط العديد من المدن الكنعانية في أيديهم، وتعرّضت عكا لمُحاولات احتلال من قِبَلهم، لكنّهم لم يستطيعوا الوصول إليها، بل حافظت على صبغتها الكنعانية ــ الفينيقية[58]، ثم خضعت عكا للأشـوريين في عهد سـنحاريب بن سـرجون الثانـي (705 ــ 681 ق.م.) فـي أواخر القرن الثامـن ق.م[59]، وفي القرن السـادس ق.م خضعت عكا للحكم الفارسـي سـنة 539 ق.م، الذي حكم المنطقة برمتها، وقد أصبحت عكا آنذاك ذات ميناء مهم، واسـتخدموها قاعدة انطلاق في حربهم ضد المصريين.

عنـد بدء حملات الإسـكندر الأكبر فـي المنطقة، في القـرن الرابع ق.م،

خضعت المدينة لحُكمه سنة 333 ق.م، وعمل من أجل ترميمها، فأصبحت عكا في عهده تضاهي صور وصيدا في لبنان[60].

استمرّ تعاقُب الاحتلال على مدينة عـكا، فخضعت في بداية القرن الثاني ق.م لحكم البطالمة والسلوقيين خلفاء الإسكندر الأكبر بين أعوام (285–247 ق.م)، وقد دعيت عكا خلال الفترة الهيلينية (بتولمايس) (Ptolemais)، نسبة إلى بطليموس الثاني (285 – 247 ق.م) ملك البطالسة في مصر.

خضعت عكا وسائر فلسطين لحكم الرومان سنة 64 ق.م، بقيادة القائد بومبي قيصر الرومان (106 ق.م – 46 ق.م)، وأصبحت المدينة جزءاً من الأراضي السوريّة، التي تحكمها الدولة الرومانيّة، وقد ظلت عكا الميناء الرئيس للبلاد حتى بناء قيساريا، وفي وقت لاحق من العهد البيزنطي، أصبحت عكا مركزاً لأبريشية مسيحية، وفي عام 47 ق.م زارها الإمبراطور الروماني يوليوس قيصر، وبعد انقسام الدولة الرومانيّة في عام 395م، انضمّت عكا إلى الجزء الشرقيّ من الإمبراطوريّة، وأصبحت جزءاً من الدولة البيزنطيّة حتى القرن السابع الميلادي، ثم وقعت عكا تحت الحكم الفارسي لفترة قصيرة سنة 614م، ثم استردها منهم البيزنطيون[61]، وانتقموا ممن ساعد الفرس في أثناء دخولهم لها، وذلك قبيل الفتح الإسلامي لبلاد الشام[62].

فتح المسلمين عكا عام 15هـ/636م، في عهد الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، وكانت جيوش المسلمين التي دخلت فلسطين قد قسمت إلى ثلاث سرايا، قاد الأولى عمرو بن العاص، وتولى الثانية يزيد بن أبي سفيان، وترأس الثالثة شرحبيل بن حسنة، فاجتاح يزيد وعمرو القسم الجنوبي من فلسطين، وفتح شراحبيل عكا وصور، وأعادوا للمدينة اسمها الأصلي (عكا)[63].

كان لمعاوية بن أبي سفيان دور في فتحها؛ وفتح السواحل الشامية، حيث إنه لما تولّى الولاية على الشام عام 20هـ/640م، عمِلَ على تأسيس جيش بحريّ لحماية المدينة من الجهة الساحليّة، فأسّس أول أسطول بحريّ، وساعده على ذلك أحواض بناء السفن، التي كانت في المدينة من آثار الدولة البيزنطيّة، ثم أصبحت المدينة مركزاً لصناعة السفن، وفي عهد الخليفة الراشدي عثمان بن عفان، رضي الله عنه، ركب معاوية من عكا لغزو جزيرة قبرص Cyprus عام 28هـ/649م، ثم إلى جزيرة رودس Rhodes عام 34هـ/654م[64].

أما المدينة فلم يتأخر بناؤها كثيراً، فقد ذكر الدمشقي: «ومدينة عكا بناها عبد الملك بن مروان[65] وقام هشام بن عبد الملك بتوسيعها وتجديد بنائها، وأقام له قصراً فخماً فيها»[66]، كما ذكر القلقشندي مثل ذلك[67].

قام أحمد بن طولون حاكم مصر (254 – 270هـ/868 – 884م)، بإنشاء قاعدة بحرية في عكا[68].

وذكر المقدسي: «إن عكا في القرن العاشر الميلاد كانت مدينة محصنة، فيها مسجد كبير، أطلق عليه مسجد يوم الجمعة»[69].

استمر الحكم الإسلامي لعكا نحو 470 سنة، حتى مجيء الاحتلال الصليبي عام 497هـ/1104م.

طمع الصليبيون في ميناء عكا، باعتباره الميناء الصالح لرسو السفن طوال العام في فلسطين، بعكس ميناء يافا الذي كان مكشوفاً، فقام بلدوين الأول عام 496هـ/1103م بمحاصرتها براً وبحراً، إلا أنه عجز عن فتحها، وفي عام 497هـ/1104م شدد بلدوين الأول بمؤازرة الأسطول الجنوي قبضته على

عــكا، فقاتلهم أهل عكا، حتى عجزوا عنهم لقصور المادة، فاضطرت الحامية الفاطمية بقيادة زهر الدين الجيوشـــي إلى تسليم المدينة، بشرط الأمان لسكانها والمحافظـــة على أرواحهـــم وأموالهم، إلا أن الجنوبيين انقضوا على مســلمي عكا، وذبحوا أربعة آلاف منهم، وسبوا جماعة أخرى[70].

شـــبه ابن جبير هذه المدينة في عظمتها بالقسـطنطينية، وقال: «هي قاعدة مـــدن الإفرنج بالشـــام، ومحط الجواري المنشـــآت في البحـــر كالأعلام، ومرفأ كل ســفينة، وهي ملتقى تجار المســلمين والنصارى من جميع الآفاق، سككها وشوارعها تغص بالزحام، وتضيق فيها مواطئ الأقدام، وتستعر كفراً وطغياناً، وتفور خنازير وصلباناً، زفرة قذرة، مملوءة كلها رجساً وعذرة»[71].

هكذا أصبحت عكا التي دعاها الصليبيون (Acre)، الميناء الرئيس للمملكة الصليبيـــة، وكانت عكا في ظل ملـــوك الفرنج أغنى مدينة في المملكة، ومكان إقامتهم المفضل[72].

كانـــت عكا بالنســبة إلى الصليبيين المرفأ الفلســطيني الرئيســـي، والنقطة التقليديـــة التي ينزل فيها الحجاج الصليبيين، والســـوق التجاري الكبير شـــرق المتوسط، خاصـة أنها امتلكت ميناء صالحاً لرسو السفن طوال العام.

كذلك كانت مهمة للمسلمين، وخاصـة لصلاح الدين، حيث كانت عكا مخزناً كبيراً لسلاح الساحل وبيت المقدس ودمشق وحلب ومصر[73].

تعتبـــر عكا النقطة الجوهرية، فإذا تم الاســـتيلاء عليها، صار الطريق إلى بيت المقدس مفتوحاً أمام الغزاة[74].

لم تزل عكا في أيدي الصليبيين، حتى فتحها المسلمون بقيادة صلاح الدين

الأيوبي عام 583هـ/1187م، على إثر موقعة حطين، وأعطى الأمان للفرنج فرحلوا إلى صور[75].

بقيت عكا بيد المسلمين بقيادة صلاح الدين، حتى قام الصليبيون بمحاصرتها، وهذا سيكون موضوع الفصل الرابع.

كان ذلك عرضاً عن جغرافية المدن الشامية محل الدراسة، والتي تعرضت للحصار من جانب الصليبيين.

هوامش التمهيد:

1 – عن الحروب الصليبية، انظر الدراسات الببليوغرافية التالية:

H. E. Mayer, Bibliographie Zur Geschichte der Kreuzzüge, Hannover. 1960 – A. S. Atiya, The Crusade, Historiography and Bibliography, London, 1962؛

عوض، محمد مؤنس، فصول ببليوغرافية في تاريخ الحروب الصليبية، ط: القاهرة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة: مصر، 1996م؛ أضواء على ببليوغرافيا تاريخ الحروب الصليبية المراجع العربية والمعربة 1981 – 2011م، ط: القدس، دار الجندي للنشر والتوزيع، القدس، 2013م.

2 – الإمبراطور جستينيان الأول (482 – 565م) كان إمبراطوراً رومانياً شرقياً (بيزنطياً) حكم منذ أغسطس عام 527م حتى وفاته في نوفمبر 565م. يشتهر بإصلاحه الرمز القانوني المسمى قانون جستينيان خلال لجنة تريبونيان، والتوسع العسكري للأرض الإمبراطورية أثناء عهده، وزواجه وشراكته مع الإمبراطورة ثيودورا. يعرف أيضاً باسم «الإمبراطور الروماني الأخير»، وقد تولى الحكم بعد وفاة عمه الإمبراطور جستن الأول، للمزيد انظر: عبيد، إسحق، من ألارك إلى جستينيان، دراسة في حوليات العصور المظلمة، دار المعارف، القاهرة: مصر، 1977م.

3 – زابوروف، ميخائيل زابوروف، الصليبيون في الشرق، ترجمة: إلياس شاهين، د. ط، دار التقدم، موسكو: روسيا، 1986م، ص85.

4 – ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، (ت: 626هـ/1228م)، معجم البلدان، ط: الثانية، دار صادر، بيروت: لبنان، 1415هـ – 1995م، 1/266.

5 – سمي النهر بالعاصي لأن أغلب الأنهار تتجه إلى الجنوب، وهذا يتجه إلى الشمال، للمزيد انظر: القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي الفزاري القلقشندي ثم القاهري، (ت:

821هـ/1418م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، قدم له ووضع حواشيه: محمد شمس الدين، ط: الأولى، دار الفكر، بيروت: لبنان، د. ت، 4/85، 86؛ البلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، (ت: 279هـ/892م)، فتوح البلدان، تحقيق: رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت: لبنان، 1403هـ – 1983م، ص131؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، 1/268.

6 – الأُرُنْدُ: اسم لنهر أنطاكية، وهو نهر الرّستن المعروف بالعاصي، يقال له في أوله الميماس فإذا مرّ بحماة قيل له العاصي فإذا انتهى إلى أنطاكية قيل له الأرند، ياقوت الحموي، معجم البلدان، 1/162.

7 – إسكَنْدَرُونَة: مدينة وحصن في شرقي أنطاكية، على ساحل بحر المتوسط، وكان بها ميناء يستقبل السفن التجارية والحربية، وهي قريبة من قبرص نسبياً، فيه نخيل وزروع كثيرة وغلات. الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحِميري، (ت: 900هـ/1495م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، ط: الثانية، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت: لبنان، 1400هـ – 1980م، ص56.

8 – ياقوت الحموي، معجم البلدان، 1/268؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص330 – 331.

9 – الحدم، بشير مقبل ناصر، موقف القوى الإسلامية والمسيحية من الغزو الصليبي لأنطاكية، ط: الأولى، نور حوران للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق: سوريا، 2018، ص41 – 42.

10 – رانسيمان، ستيفن، تاريخ الحملات الصليبية، ترجمة: نور الدين خليل، ط: الأولى، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة: مصر، 1994م، 1/335.

11 – وَدُعِيَ التَّلاَمِيذُ «مَسِيحِيِّينَ» فِي أنطاكية أولاً، سفر أعمال الرسل في الكتاب المقدس، 11/62.

12 – القديس بطرس: أو بطرس الرسول، اسمه الأصلي سمعان بن يونا، وسماه المسيح بطرس بمعنى الصخرة، أصبح من أهم تلاميذ المسيح، كان مع يوحنا وأخيه يعقوب في التجلي على الجبل، ولما سلم يهوذا المسيح، سحب بطرس سيفه حتى يدافع عنه، لكن في نفس الليلة أنكر تبعيته للمسيح ثلاث مرات، ذهب إلى أنطاكية وبقي فيها، ثم راح يبشر في روما، يقال إنه قتل عام 64م في عهد نيرون صلباً، عنه انظر: الكتاب المقدس، القاهرة،

ب. ت، العهد الجديد، إنجيل متى، الإصحاح 18.

13 – الناصر، محمد حامد، الجهاد والتجديد في القرن السادس الهجري عهد نور الدين وصلاح الدين، ط: الأولى، مكتبة الكوثر، الرياض: السعودية، 1998، ص79.

14 – الإدريسي، محمد بن عبد الله بن إدريس الطالبي، المعروف بالشريف الإدريسي (ت: 560هـ/1166م(نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط: الأولى عالم الكتب، بيروت: لبنان، 1989م، 2/645 – 648.

15 – القسطنطينية: مدينة عظيمة ومشهورة، أنشأها الإمبراطور قسطنطين في النصف الأول من القرن الرابع الميلادي، على موضع بيزنطة القديمة على البوسفور، واتخذها عاصمة له، رانسيمان، ستيفن، الحضارة البيزنطية، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد، القاهرة: مصر، دار الكتاب، 1961م، ص5.

16 – ماير، هانس أبراهارد، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة وتعليق: عماد الدين غانم، ط: الأولى، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق: سوريا، 2009م، ص86.

17 – هو الطريق الممتد من مدينة شنغهاي في شمال الصين، وصولاً إلى مدينة البندقية في إيطاليا، مروراً بتركستان وخراسان وبلاد ما بين النهرين والعراق وبلاد الشام والأناضول، وتسعى الصين حالياً إلى إحياء هذا الطريق من خلال رغبتها في السيادة العالمية من بوابة الاقتصاد، للمزيد عن طريق الحرير انظر: أبو عساف، علي، طريق الحرير والطرق التجارية الأقدم، مجلة دراسات تاريخية، السنة (12)، العددين (39–40)، ديسمبر 1991م، ص72 – 82؛ حميدة، عبد الرحمن، طريق الحرير بين ابن بطوطة وماركو بولو، نفس العدد، ص83 – 95،

18 – ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت: 630هـ/1233م)، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط: الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت: لبنان، 1417هـ – 1997م، 2/325 – 326؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، 1/268.

19 – مَرْعَشُ: هي من مدن الثغور بين الشام وبلاد الروم، وفي وسطها حصن بناه الخليفة الأموي مروان بن محمد الشهير بمروان الحمار؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، 5/107.

20 – طَرَسُوسُ: مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم، سميت بطرسوس

بن الروم بن اليفز بن سام ابن نوح، وقيل: إن مدينة طرسوس أحدثها سليمان، كان خادماً للرشيد في عام نيف وتسعين ومائة، ويشقها نهر البردان، وبها قبر المأمون عبد الله بن الرشيد، جاءها غازياً فأدركته منيته؛ نفس المصدر، 4/28.

21 – مَلَطْيَةُ: بلدة من بلاد الروم مشهورة تتاخم الشام وهي للمسلمين، بناها الإسكندر، قال خليفة بن خيّاط: في عام 140 وجّه أبو جعفر المنصور عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس لبناء ملطية، فأقام عليها عاماً حتى بناها وأسكنها الناس وغزا الصائفة، نفس المصدر، 5/193.

22 – البلاذري، فتوح البلدان، ص160.

23 – المَصِّيصَةُ: مدينة على شاطئ جيحان من ثغور الشام بين أنطاكية وبلاد الروم تقارب طرسوس، وهي من ثغور الإسلام قد رابط بها الصالحون قديماً، مسماة فيما زعم أهل السّير باسم الذي عمرها وهو مصيصة بن الروم بن اليمن بن سام بن نوح، عليه السّلام، ياقوت الحموي، معجم البلدان، 5/145.

24 – أذَنَةُ: بلد من الثغور قرب المصّيصة، بنيت أذنة سنة إحدى أو اثنتين وأربعين ومائة، وجنود خراسان معسكرون عليها بأمر صالح بن عليّ بن عبد الله بن عباس، ثم بنى الرشيد القصر الذي عند أذنة قريباً من جسرها على سيحان في حياة أبيه المهدي، عام 165هـ، فلما كانت عام 193هـ بنى أبو سليم فرج الخادم أذنة، وأحكم بناءها وحصنها، وذلك بأمر محمد الأمين بن الرشيد، نفس المصدر، 1/133.

25 – السلاجقة: مجموعة من القبائل التركية أطلق عليها اسم «الغز» هاجروا من تركستان خلال القرن 2.3.4. للهجرة تحت ظروف قاهرة، وهم ينتسبون إلى قائدهم سلجوق بن دقاق، وكان لا يعرف لهم اسم خاص قبل توليهِ أمرهم، ويبدو أنه هو الذي جمع شملهم تحت زعامته، وقد حكموا أقاليم مترامية الأطراف من آسيا الوسطى والدنيا من القرن الحادي عشر إلى القرن الثالث عشر الميلادي، ومن أهم هذه الأسر السلاجقة، سلاجقة العراق، وسلاجقة كرمان، وسلاجقة الشام، وسلاجقة آسيا الصغرى (الروم)، عن السلاجقة انظر: العماد الأصفهاني، أبو عبد الله، محمد بن صفي الدين بن نفيس الدين حامد بن أُلُه، عِمَاد الدِّين الكاتب الأصفهاني، (ت: 597هـ/1201م)، تاريخ دولة آل سلجوق، اختصار الفتح البنداري، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، ط: الثالثة، دار الآفاق الجديدة، بيروت: لبنان، 1980م؛ صدر الدين، أبي الحسن علي ابن أبي الفوارس ناصر

بن علي الحسيني، (ت: 626هـ/1225م)، أخبار الدولة السلجوقية، تصحيح: محمد إقبال، دار الآفاق الجديدة، بيروت: لبنان، 1984م؛ يوسف، أرشيد، سلاجقة الشام والجزيرة، ط: الأولى، مكتبة المحتسب، الرياض: السعودية، 1988م، محمد، زبيدة عطا، الترك في العصور الوسطى بيزنطة وسلاجقة الروم والعثمانيون، ط: دار الفكر العربي، القاهرة: مصر، ب. ت؛ مصطفى، شاكر، دخول الترك الغز إلى الشام، المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام، الجامعة الأردنية، ط: الأول، الدار المتحدة للنشر، عمان، الأردن، 1974م، ص326.

T. K. Al Azhari, The Saljūqs of Syria during the crusades 463 – 549 A.H. 1070 – 1154 A.D., Berlin, 1997.

26 – ياغي سيان: كان أميراً على أنطاكية، وقد عينه ملكشاه، وفيما بعد أصبح تابعاً لرضوان بن تتش أمير حلب، إلا أنه كانت لديه روح استقلالية، كما حاول الإيقاع بين رضوان ومنافسيه الآخرين في صورة دقاق بن تتش أمير دمشق، وكربوغا أمير الموصل، وكان لذلك أثر سلبي على إماراته فيما بعد، قتل يوم سقوط أنطاكية في يد الصليبيين عام 491هـ/1098م، عوض، محمد مؤنس، معجم أعلام عصر الحروب الصليبية، ط: الأولى، القاهرة: مصر، مكتبة الآداب، 1436هـ – 2015م، ص144.

27 – للمزيد عن إمارة أنطاكية، انظر: عطية، حسين محمد، إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون، ط: الأولى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية: مصر، 1989م، ص106 – 109.

28 – ياقوت الحموي، معجم البلدان، 5/166 – 172.

29 – قضية القدس، www.alquds – online.org

30 – سويد، ياسين، حروب القدس في التاريخ الإسلامي والعربي، دار الملتقى للطباعة والنشر، بيروت: لبنان، 1997م، ص57؛ زابوروف، ميخائيل، الصليبيون في الشرق، ص120.

31 – للمزيد عن بيت المقدس، انظر: ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي بن حوقل البغدادي النصيبي، (ت: 367هـ/1979م)، صورة الأرض، تحقيق أكد أوليا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت: لبنان، 1412هـ – 1992م، ص156 – 161.

32 – ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، (ت:

774هـ/1373م)، البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط: الأولى، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة: مصر، 1418هـ – 1997م، 10/351.

33 – صالح، محسن، الطريق إلى القدس، ط: الخامسة، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت: لبنان، 2012م، ص18–19.

34 – لهذا هناك العديد من الكتب تناولت فضائل بيت المقدس، نذكر مها: الواسطي، أبي بكر محمد بن أحمد المقدسي، فضائل البيت المقدس، تحقيق: إسحاق حسون، معهد الدارسات الآسيوية والأفريقية، الجامعة العبرية بالقدس، فلسطين، 1979م؛ العماد الأصفهاني، حروب صلاح الدين وفتح بيت المقدس (وهو الكتاب المسمى الفتح القسي في الفتح القدسي)، ط: الأولى، دار المنار، القاهرة: مصر، 1425هـ – 2004م، ص69؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، 5/166 – 172.

35 – الكتاب المقدس، سفر التكوين: الإصحاح، 17:8؛ الجانب العقائدي في نظرة اليهود إلى مدينة بيت المقدس، www.diwanalarab.com.

36 – ياقوت الحموي، معجم البلدان، 5/166 – 172.

37 – ابن حوقل، صورة الأرض، ص153.

38 – وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، الأعمال المنجزة فيما وراء البحار، وقع ضمن الموسوعة الشاملة في الحروب الصليبية، ج: 7، تحقيق وترجمة: سهيل زكار، ط: الأولى، دار الفكر، دمشق: سوريا، 1410هـ – 1990م، ص124.

39 – المنجد، صلاح الدين، مدينة دمشق عند الجغرافيين والرحالين المسلمين، ط: الأولى، دار الكتاب الجديد، بيروت: لبنان، 1967م، صفحات متفرقة.

40 – حيث إن الفرع الجنوبي لطريق الحرير، يمرّ من مدينة شنغهاي في شمال الصين، إلى تركستان وخراسان، وعبر بلاد ما بين النهرين والعراق والأناضول وسوريا عبر تدمر وأنطاكية إلى البحر المتوسط، ثم فينيسيا بإيطاليا، أو عبر دمشق وبلاد الشام إلى مصر وشمال أفريقيا، عن طريق الحرير انظر: أبو عساف، علي، طريق الحرير والطرق التجارية الأقدم، ص72 – 82؛ حميدة، عبد الرحمن، طريق الحرير بين ابن بطوطة وماركو بولو، ص83 – 95.

41 – هذا التحالف أنشأه الرومان لعشر مدن في منطقة بلاد الشام، بحيث كانت هذه

المدن قريبةً من بعضها البعض من حيث العمارة والثقافة وغيرها، فتحمل هذه المدن إلى عصرنا الحالي طابعاً رومانياً كبيراً في بنائها، وقد كانت هذه المدن ذات أهميةٍ كبيرةٍ أيضاً في الدفاع عن الإمبراطورية الرومانية، حلف المدن العشر، حواضر بُنيت على أكتاف سكانها المحليين، موقع جريدة الرأي الكويتية، www.alrai.com

42 – ابن القلانسي، حمزة بن أسد بن علي بن محمد، أبو يعلى التميمي، (ت: 555هـ/1160م)، ذيل تاريخ دمشق، تحقيق: سهيل زكار، ط: الأولى، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق: سوريا، 1403هـ – 1983م، ص174 – 213.

43 – هو الملك أبو منصور طغتكين الأتابك بن عبد الله الأتابك، ويلقب بظهير الدين، كان من مماليك السلطان تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان السلجوقي، وتدرج في الرتب العسكرية حتى أصبح من كبار أمراء السلطان، وحاجباً له، وتولى قيادة الجند، تزوج بالخاتون صفوة الملك مطلقة السلطان تاج الدولة تتش، أتابك دقاق حاكم دمشق (1093 – 1104م)، وبعد وفاة الأمير دقاق، تولى الحكم ابنه الذي لم يبلغ من العمر غير عام واحد، فتولى الأمير طغتكين كفالته وتدبير مملكة دمشق حتى يكبر، ولكن ابنه الصغير توفي بعد وفاة والده بعام، فأصبح أمر دمشق إلى طغتكين، وأصبح الوالي عليها، وقد حكم خمسة وثلاثين عاماً، توفي عام 522هـ/1128م، ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله، (ت: 571هـ/1175م)، تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت: لبنان، 1415هـ – 1995م، 25/3.

44 – هو بوري بن طغتكين أبو سعيد المعروف بتاج الملوك، حاكم دمشق وجنوبي بلاد الشام خلال الأعوام (1128م – 1132م)، ولد في رمضان عام 478هـ، وليّ أمر دمشق بعد وفاة والده طغتكين عام 522هـ، قتل وزيره أبا علي المردغاني، الذي أراد تسليم دمشق للصليبيين، وكان يدعم الإسماعيلية في دمشق، قتله الحشاشون عام 526هـ/1132م انتقاماً لمذبحة حلب، ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص218 – 234، ابن عساكر، تاريخ دمشق، 10/409، عوض، محمد مؤنس، معجم أعلام عصر الحروب الصليبية، ص59.

45 – الباطنية هو وصف يطلق للفئة التي تقول: «إن النصوص الدينية لها معنيان: أحدهما ظاهر يفهمه الناس بواسطة اللغة، وبمعرفة أساليب الكلام، والثاني باطن لا يدركه إلا الذين اختصهم الله بهذه المعرفة، وهم يَصلُون إلى إدراك هذه المعاني المحجوبة عن عامة الناس بتعليم الله لهم مباشرة»، وقد يشير هذا المصطلح إلى عدة فرق إسلامية، منها الإسماعيلية والقرامطة والخرمية، وقد تشير أيضاً إلى فرق غير إسلامية كالمزدكية، إلا

أنه يطلق بشكل مخصوص على الفرقة الإسماعيلية، عكام، محمود، الموسوعة الإسلامية الميسرة، دار صحارى، دمشق: سوريا، 1415هـ – 1995م، 3/483.

46 – هو شمس الملوك إسماعيل بن تاج الملوك بوري، تولى الحكم عام 526هـ/1132م، قتلته أمه خاتون زمرد بنت جاولي عام 529هـ/1135م، وأجلست أخاه شهاب الدين أبي القاسم محمود بن بوري محله، الحدم، بشير مقبل ناصر، مواقف بعض القوى الإسلامية المساندة للغزو الصليبي في بلاد الشام ومصر، ط: الأولى، نور حوران للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق: سوريا، 2018م، ص119، حاشية 1.

47 – الملك المظفر مجير الدين أبو سعيد أبق بن جمال الدين محمد بن بوري، صاحب دمشق، تولى الحكم بعد وفاة أبيه عام 534هـ/1140م وهو صغير، ودبر شؤون دمشق معين الدين أنر، والوزير ابن الصوفي، فلما مات أنر استقل بالحكم مجير الدين، قصد نور الدين محمود زنكي دمشق فأخذها منه بالأمان، وعوض مجير الدين بحمص، فأقام بها، ثم أمره نور الدين بالتحول إلى بالس، ترك الحكم وتوجه إلى بغداد، أقام هناك حيث شيد داراً للمدرسة النظامية، ومات هناك عام 563هـ/1171م، الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، (ت: 748هـ/1348م)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ومحمد نعيم العرقسوسي، ط: التاسعة، مؤسسة الرسالة، بيروت: لبنان، 1413هـ – 1993م، 15/47، عوض، محمد مؤنس، معجم أعلام عصر الحروب الصليبية، ص122.

48 – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، 233، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 9/74؛ ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي، (ت: 681هـ/1282م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، ط: الأولى، دار صادر، بيروت: لبنان، 1414هـ – 1994م، 1/295 – 297.

49 – ياقوت الحموي، معجم البلدان، 4/143.

50 – رانسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، 3/59 – 60.

51 – وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، 2/243.

52 – للمزيد عن مدينة عكا انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 144،4/143، سلامة، جلال حسني، عكا أثناء الحملة الصليبية الثالثة، ط: الأولى، دار الفاروق، نابلس: فلسطين، 1998م، محمد، علي سلطان عباس، مدينة عكا بين الاحتلال والتحرير (497 – 690هـ/1104 – 1291م)،

ط: الأولى، دار دجلة ناشرون وموزعون، عمان: الأردن، 2009م، صفحات متفرقة.

53 – رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، ص59.

54 – أبو رأس، خالد سليمان أبو رأس، عكا في التاريخ، مؤسسة أسوار عكا للثقافة، عكا: فلسطين، ص77.

55 – هم الذين استنبطوا صناعة الزجاج، حيث نزل ملاحو سفينة كنعانية كانت محملة (بنيترات البوتاسيوم) على شاطئ عكا، وجعلوا من كتل البوتاسيوم أثافي يضعون القدر عليها للطهو، وأضرموا النار، فاختلطت نيترات البوتاسيوم بالرمال ونتج عن ذلك الزجاج، قزموز، عبد الله، من تاريخ عكا ومعالمها الحضارية، ملحق فلسطين يصدر عن جريدة السفير اللبنانية، عدد يوليو 2012، www.assafir.com

56 – ياقوت الحموي، معجم البلدان، 4/144.

57 – وقد سجل هذا النصر على جدران هيكل آمون في معبد الكرنك في الأقصر، البدري، محمد عبد الستار، جريدة الشرق الأوسط، الملاحق/ حصاد الأسبوع، من التاريخ: تحتمس الثالث ومعركة مجدّو، الأربعاء 6 صفر 1437هـ – 18 نوفمبر 2015م، www.aawsat.com

58 – الكتاب المقدس، سفر القضاة، الإصحاح الأول، أبو رأس، خالد، عكا في التاريخ، ص77.

59 – البلاذري، فتوح البلدان، ص116، حتي، فيليب، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ترجمة: جورج حداد، عبد الكريم رافق، ط: الثالثة، دار الثقافة، بيروت: لبنان، 1402هـ – 1982م، 2/6، 7، 12.

60 – البلاذري، فتح البلدان، ص116.

61 – وقد أبلغ القرآن الكريم عن هذا النصر قبل وقوعه {ألم (1) غُلِبَتِ الرُّومُ (2) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (3) فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (4)} [الروم: 1 – 4].

62 – البلاذري، فتوح البلدان، ص116؛ حتي، فيليب، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، 2/6، 7، 12.

63 – ياقوت الحموي، معجم البلدان، 4/144؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص116؛ حتي، فيليب، تاريخ سورية، 2/6، 7، 12.

64 – ياقوت الحموي، معجم البلدان؛ 4/144.

65 – الدمشقي، شمس الدين أبي عبد الله محمد أبي طالب الأنصاري، شيخ الربوة الدمشقي، (ت: 727هـ/1326م)، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، تحقيق: مهرن، ط: الأولى، طبعة لايبزج، سانت بطرسبرغ: روسيا، 1935م، ص212 – 213.

66 – ياقوت الحموي، معجم البلدان، 4/144.

67 – صبح الأعشى، 4/152.

68 – المقدسي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي البشاري، (ت: 375هـ/985م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط: الثالثة، مكتبة مدبولي، القاهرة: مصر، 1411هـ/1991م، ص142؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، 4/143، القزويني، زكريا بن محمد بن محمود القزويني، (ت: 682هـ/1283م)، آثار البلاد وأخبار العباد، د. ط، دار صادر، بيروت: لبنان، د. ت، ص223؛ حتي، فيليب، تاريخ العرب موجز، ط: السادسة، دار العلم للملايين، بيروت: لبنان، 1991م، 2/545.

69 – المقدسي، أحسن التقاسيم، ص142.

70 – مولر، فولفغانغ، القلاع أيام الحروب الصليبية، ترجمة: محمد وليد الجلاد، ط: الثانية، دار الفكر، دمشق: سوريا، 1984م، ص94.

71 – ابن جبير، محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي، أبو الحسين (ت: 614هـ/1217م)، رحلة ابن جبير، الرحلة المسماة تذكرة بالأخبار في اتفاقيات الأسفار، علق عليه: إبراهيم شمس الدين، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت: لبنان، 1423هـ – 2003م، ص212، العذرة: الغائط.

72 – رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 3/60.

73 – طقوش، محمد سهيل، تاريخ الأيوبيين في مصر وبلاد الشام وإقليم الجزيرة، ط: الأولى، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت: لبنان، 1420هـ – 1999م، ص185.

74 – باركر، إرنست، الحروب الصليبية، ترجمة: السيد الباز العريني، ط: الرابعة، دار النهضة العربية، بيروت: لبنان، 1386هـ – 1967م، ص88.

75 – ياقوت الحموي، معجم البلدان، 4/144؛ المطوي، محمد العروسي، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، ط: الثانية، دار الغرب الإسلامي، تونس، 1982م، ص85.





الفصل الأول:

حصار الصليبيين لأنطاكية

(490 - 491هـ/1097 - 1098م)

نتناول في هذا الفصل ثلاثة مباحث على النحو التالي:

المبحـــث الأول يتعــرض للمقدمات السياســية، والعســكرية بالنســبة إلى المســلمين والصليبيين، منذ خطبة البابا أوربـــان الثاني[1] Urban II (1088 – 1099م / 481 – 492هـ)، من مجمع كليرمونت[2] الفرنســي[3]؛ يوم الثلاثاء 26 ذو القعــدة 488هـ / 27 نوفمبــر 1095م، وزحف الجيش الصليبي نحو أنطاكية Antioch، وحتى وصوله إليها؛ يوم الأربعاء 12 ذو القعدة 490هـ / 21 أكتوبر 1097م.

أما المبحث الثاني فيتناول أحداث الحصار ومراحله، الذي استمر أكثر من سبعة أشهرٍ، من يوم الأربعاء 12 ذو القعدة 490هـ / 21 أكتوبر 1097م، وحتى ســقوط المدينة يوم الخميس 29 جمادى الآخــرة 491هـ / 3 يونيو 1098م، وما تخلل تلك الفترة من عمليات عســكرية، ومفاوضات سياســية، وموقف القوى

المسيحية، وموقف القوى الإسلامية، ونتكلم عن الصعوبات التي واجهت الصليبيين، والمسلمين.

في المبحث الثالث، نقف على نتائج الحصار، وما آل إليه بالنسبة إلى المسلمين والصليبيين، وسقوط المدينة في أيدي الصليبيين، والمحاولة الأخيرة واليائسة من المسلمين لنجدتها.

وفي آخر الفصل نناقش أسباب سقوط أنطاكية في يد الصليبيين، ونتائج السقوط.

المبحث الأول:

المقدمات السياسية والعسكرية للحصار

يمثل العقد الأخير من القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، بداية حقيقية لاستئناف الصراع بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي، وقد اتخذ هذا الصراع طابعاً جديداً، عندما وجهت أوروبا الكاثوليكية عدوانها صوب المشرق الإسلامي، تحت راية الصليب، متخذة من ستار الدين صيحتها السياسية، لحشد الحشود المنسابة إلى الشرق، لإنقاذ قبر المسيح، من أيدي المسلمين، والتمتع بخيرات المشرق الإسلامي الذي يفيض عسلاً ولبناً[4].

قد بدأت أحداث الحركة الصليبية[5]، بخطبة وجهها البابا أوربان الثاني 492 – 481 (Urban II) هـ / 1088 – 1099م) من مجمع كليرمونت الفرنسي، يوم الثلاثاء 26 ذو القعدة 488هـ / 27 نوفمبر 1095م، وبحضور أمراء من مختلف جهات أوروبا، وعدد كبير من رجال الدين بلغ عددهم نحو ثلاثمائة، ومندوبين عن الإمبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين[6] Comnenus Alexius (473هـ – 511هـ / 1081م – 1118م)، وممثلين عن المدن الايطالية[7].

أول ما أسفر عنه إعلان الحركة الصليبية[8]، في كليرمونت هو إرسال حملات من الجماهير (الحملة الشعبية)[9]، بقيادة بطرس الناسك[10]؛ الذي كان يتمتع بشخصية قادرة على التأثير في الجماهير، ولكن هذه الجماعات الشعبية غير المنتظمة؛ تألفت من عوام الناس، فكان ذلك النسيج الكبير من المتحمسين يتألف من رجال من مناطق عديدة، وقد أحضر البعض نساءهم، بل حتى الأطفال، وكان أغلبهم من الفلاحين، وقد افتقدت الانضباط والتنظيم[11]، غادر هذا الجيش الأراضي الألمانية في 23 ربيع الآخر 489هـ / 20 أبريل 1096م، وأثارت الحملة السلب والنهب طوال مسيرتها، ووصلوا إلى القسطنطينية في 6 شعبان 489هـ / 30 يوليو 1096م، وقدم لهم الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنين المؤن بقدر ما تسمح به طاقة المدينة، ثم نصحهم قائلاً: «لا تعبروا مضيق البوسفور حتى يصل الجزء الكبير من الجيش المسيحي؛ لأنكم لستم بالقوة التي تمكنكم من إيقاع الهزيمة بالأتراك السلاجقة»[12]، تجاهل أعضاء الحملة الشعبية نصائح الإمبراطور؛ واندفعت هذه الحشود نحو آسيا الصغرى عبر مضيق البوسفور، وواجههم الأتراك السلاجقة الذين أبادوهم في شهر شوال 489هـ / أكتوبر 1096م، انتهت الحملة الشعبية التي راح ضحيتها ألوف كثيرة، وبينت أن الإيمان وحده بلا حكمة ولا نظام، لا يفتح الطريق إلى بيت المقدس[13].

على العكس من ذلك، كانت الحملة اللاحقة المنظمة (الجيش الثاني)، التي قام بها الأمراء (البارونات)، والتي كانت أكثر انضباطاً وتنظيماً، وكانوا على استعداد للالتزام بالجدول الزمني الذي وضعه البابا؛ إذ كان يجب تجميع جنودهم وتجهيزهم، وينبغي جمع الأموال لهذا الغرض[14]، وهي الحملة التي وصلت إلى بيت المقدس Jerusalem، وكان أكبر زعمائها؛ جودفري أوف بويلون[15] دوق اللورين Godfrey of Bouillon (1060 – 1100م)، وقد انضم

إليه فرسان الفلاندرز، واللورين، ومعه أخاه بلدوين الأول[16]، وثاني الزعماء؛ روبــرت دوق نورماندي[17] Robert of Normandy (1054 – 1134م) شــقيق ملك إنجلترا، والقائد الثالث هو هيو أوف نورماندي[18] Hugh of Normandy شقيق ملك فرنسا فيليب، والقائد الرابع هو كونت تولوز ريموند الصانجيلي[19] Raymond of St Gilles، والقائد الخامس هو بوهيموند[20] Bohemond (1050 – 1111م) ومعه ابن أخته تانكريد[21] Tancred[22].

وكان الدوق جودفري هو أول من وصل إلى القسطنطينية مع جيشه الكبير قبل عيد الميلاد بيومين 23 ديسمبر 1096م / 5 محرم 490، وسمح الإمبراطور البيزنطي ألكســيوس كومنين له بالإقامة في المدينة بحفاوة، لكن ســرعان ما حــرض الإمبراطور الحرس من التركبولية[23] والبجناكية[24] ضد الصليبيين، وأمر المرتزقة لديه بالانقضاض على الصليبيين وقتلهم، وبســبب ذلك وقعت مصادمات بين البيزنطيين والصــــليبيين، وبعد خمسة أيام، تم عقــد اتفاقية بين الصــــليبيين والإمبراطور ألكســيوس كومنين، والمعروفة باتفاقية قسطنطينية عام (490هـ / 1097م)[25].

أما في المشرق الإسلامي، فكانت تسود حالة من التشرذم السياسي، خلال القرن الخامس الهجري / القرن الحادي عشر الميلادي، نتيجة لسوء العلاقات وكثرة الخلافات، والمنازعات المذهبية والسياسية بين الخلافة العباسية السنية في بغداد، وبين الخلافة الفاطمية الشيعية في القاهرة[26]، نتيجة لضعف الإدارة المركزية في الخلافة العباسية، قامت هناك حركات انفصالية متعددة عن دولة الخلافة، أدت إلى تكون دويلات ضعيفة، وكذلك أدى تفكك دولة السلاجقة بعد وفــاة ملكشاه (463 – 485هـ / 1072 – 1092م)[27]، إلى قيام أتابكيات، ويطلق على أصحابها الأتابكة[28].

أيـاً ما كان حجم الخلاف بين الإمبراطور البيزنطي ألكسـيوس كومنين والأمراء الصليبيين على الحقوق النهائية، وتوزيع ما سـوف يتم الاسـتيلاء عليه من أراض، فلم يكن هناك خلاف حول المراحل الأولى للحملة الصليبية ضد المسـلمين (السـلاجقة)، فإذا أرادت الحملة الوصول إلى بيت المقدس؛ فعليها تطهير الطرق التي تمر عبر آسيا الصغرى، ومن ناحية أخرى، كان الهدف الرئيسي للبيزنطيين؛ هو دحر الأتراك خارج آسيا الصغرى، إذ كان هناك اتفاق على الأهداف بين الطرفين[29].

باشـر الصليبيون في 16 جمادى الأولى 490هـ / أول مايو 1097م عبور مضيق البوسفور، سالكين نفس الطريق الذي سلكته الحملة الشعبية، وبدؤوا ينفذون إلى ممتلكات قلج أرسلان[30] في آسيا الصغرى، وأول عمل قاموا به حصارهم لنيقية[31] عاصمة الدولة السـلجوقية في 22 جمادى الأولى 490هـ / 6 مايو 1097م، التي تولى الدفاع عنها حامية سـلجوقية، غير أنها لم تلبث أن سـقطت بعد سبعة أسـابيع من الحصار[32]، بفضل مساعدة الإمبراطور البيزنطي ألكسـيوس كومنين، وبعد أن يئس السكان من المقاومة، بعثوا إلى الإمبراطور بشأن تسـليم المدينة دون الصليبيين خشيـة من قيام الصليبيين بالانتقام منهم لقتل بني جلدتهم من قوات بطرس الناسك خلال حملة الشعب، مقابل أن تترك المدينة بأهلها وأموالها آمنين، فوضع الإمبراطور ألكسيوس كومنين يده على المدينة في 5 شعبان 490هـ / 18 يونيو 1097م[33]، وقد أثار هذا الاتفاق الذي قام به مع سكانها دون علم الصليبيين غضبهم وسخطهم[34].

نتـج عن ذلك أن ارتفعت معنويات الجيش الصليبي، وزال من نفوسـهم الخـوف، وأظهروا التصميم على إكمال المهمة، وكذلك ارتفعت المعنويات

في أوروبا، وتحمس جموع أخرى للمشاركة في الحملة، فازداد تدفق الجيوش الصليبية من أوروبا إلى آسيا الصغرى وبلاد الشام.

في مقابل هذا الارتفاع الواضح في معنويات الصليبيين، كان هناك إحباط في معنويات المسلمين، إذ سقطت أكثر مدن آسيا الصغرى حصانةً، حيث كانت نيقية هي العقبة الكبرى في الطريق، مما يعني أن سقوط المدن الأخرى سيكون أيسر.

بعد الموقعة وقبل استكمال الغزو، دعا الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنين زعماء الصليبيين، أن يعيدوا القسم له بالتبعية المرتبط بالنظام الإقطاعي في غرب أوروبا آنذاك والولاء، ليلزم قادة الحملة بطاعته حتى يحافظ على بلاده من عبثهم، وأن يتعهدوا بأن يستعيدوا له كل الأراضي؛ التي كانت بحوزة البيزنطيين قبل أن يستولي عليها السلاجقة، وتسليم أنطاكية له بعد سقوطها، وقد فعلوا جميعاً ذلك مرغمين[35]، وإن كان بوهيموند قد أسرع لذلك دون تردد؛ ليستمر في كسب صداقة الإمبراطور، غير أن ريموند الصانجيلي، أصرَّ على عدم القسم بالولاء والتبعية، ورد على الإمبراطور «معاذ الله» بأنه لم يحمل الصليب ليدين بالولاء لسيد آخر، أو ليكون في خدمة أي كائن آخر غير الرب الذي من أجله هجر وطنه وممتلكات آبائه[36]، ولكنه كرَّر قسمه بتعظيم حياة الإمبراطور[37]، أيضاً لم يقسم تانكريد ابن أخت بوهيموند[38]، حيث لم يُقسِم من البداية مكتفياً بقسم خاله بوهيموند، وهذا سيكون له آثار فيما بعد على قراراته وتحركاته[39].

تحرك الصليبيون من نيقية يوم الأحد 13 رجب 490هـ / 26 يونيو 1097م، أي بعد أسبوع من سقوطها، وقرر الصليبيون تقسيم الجيش إلى قسمين، يلحق

أحدهما بالآخر بعد مسيرة يوم واحد لتسهيل مشكلة الإمدادات[40]، وتكون الجيش الأول من النورمانديين مع جنود روبرت الثاني أوف فلاندرز[41] Robert II, Count of Flanders (456 – 504هـ / 1093 – 1111م)، وكونت أوف بلوا، بالإضافة إلى البيزنطيين الذين كانوا يقومون بدور المرشدين، ويضم الجيش الثاني الفرنسيين، وأبناء اللورين Lorraine، (منطقة في شمال فرنسا) مع جنود كونت أوف نورماندي، ويتولى بوهيموند قيادة المجموعة الأولى ومعه روبرت النورماندي، ويتولى ريموند الصانجيلي قيادة المجموعة الثانية، ومعه جودفري وهيو وكونت الفلاندر وغيرهم[42].

التقى الصليبيون مع جيش قلج أرسلان، بعد أن قرر قلج أرسلان زعيم السلاجقة الروم، وغازي بن الدانشمند[43] زعيم التركمان، وقد تناسوا خلافاتهما مؤقتاً، تشكيل جبهة متحدة لحرب الصليبيين بعد هزيمة نيقية، والتقى الطرفان السلجوقي والصليبي، في معركة فاصلة عند مدينة ضورليوم (دوريليوم) (بالقرب من إسكي شهر الحالية)، في 18 رجب 490هـ / الأول من يوليو 1096م، غير أن جيش قلج أرسلان لقي الهزيمة، بعد أن خاض معركة عنيفة[44].

بعد استراحة قصيرة، تحرك الصليبيون دون أن يواجهوا أية مقاومة، ولكن واجهوا الكثير من الصعاب بسبب صعوبة الأرض، وندرة الماء، وقلة الطعام، وشدة حرارة الصيف، حيث هلك معظم خيولهم فوجدوا صعوبة في حمل أثقالهم[45]، وذكر صاحب كتاب أعمال الفرنجة، ما قام به السلاجقة، من إخلاء للسكان في المدن التي على الطريق، وتدمير كل ما يمكن الانتفاع منه[46].

استولى بعد ذلك الصليبيون على مدينة هرقلة، بعد مدينة قونية، ثم

شقوا طريقهم عبر جبال طوروس نحو أنطاكية، ونتيجة لمساعدة الأرمن المسيحيين، واستولوا على مدينة قلقيلية، وتحرك الجيش الصليبي بعد ذلك نحو قيصرية[47]، وعند مرعش؛ التي تقع في منتصف الطريق بين قيصرية وأنطاكية، دب الخلاف بين بلدوين وتنكريد، على ملكية طرطوس، فانسحب بلدوين مع جيشه عن الحملة، واتخذ طريقه نحو الشرق باتجاه الرها Edessa[48]، حيث أقام بها إمارة في ربيع الأول 490هـ / مارس 1097م، وقيصرية حتى وصلوا إلى كيليكيا، حيث لم يكن لصاحبها طوروس ابن يملكه إياها، فاستطاع بلدوين إقناعه بتبنيه وإشراكه في الحكم، وبعد ذلك قُتل طوروس، فأصبحت الرها تابعة لبلدوين[49].

لقد استفاد الصليبيون من الخلافات بين المسلمين، سواء عند زحفهم عبر آسيا الصغرى؛ أو عبر بلاد الشام، ولم يكن المسلمون في وضع يمكنهم من تقدير الخطر، الذي يحيق بهم، ولهذا كان من الضروري لهم تجنب منازعاتهم الداخلية[50]، وهو أمر تكرر كثيراً في تاريخهم حتى يومنا هذا.

كان تتش[51]، أخو السلطان جلال الدولة ملكشاه بن ألب أرسلان، يمثل الوجه السياسي المسيطر في بلاد الشام حتى عام (488هـ / 1095م)، فقد طرد الفاطميين والتركمان من دمشق والقدس وعكا، وشكلت دولته حيزاً مانعاً أمام الفاطميين، وأصبحت منافسة للمناطق السلجوقية الأخرى، وفي عام (479هـ / 1086م)، أضاف حلب إلى ممتلكاته في فلسطين وجنوبي بلاد الشام، وهنا وجد ملكشاه فرصة مواتية للتدخل، وولى على الموصل وحلب وأنطاكية حكاماً يخدمون أغراضه[52].

كان يحكم أنطاكية أحد العسكريين التركمان الأشداء، وهو الأمير

السلجوقي ياغي سيان منذ عام (478هـ / 1087م)، وهو من الزعماء السياسيين، والعسكريين المتميزين، وله حكمة بالغة في التراتيب الإدارية والمواقف السياسية، والقتال الحربي، وإن لم يكن متحلياً بالأخلاق، فليس عنده مبدأ معين، فقد يصادق إنساناً ويعاديه في يوم آخر لتعارض المصالح، وكان يعتمد على جيش معظمه من السلاجقة[53].

تولى أولاد تتش حكم بلاد الشام بالتقاسم، فحكم رضوان بن تتش[54] حلب، وحكم دقاق بن تتش دمشق[55]، وطمع رضوان في أنطاكية، فوقع بينه وبين ياغي سيان شقاق وصراع، انتصر فيه ياغي سيان وبقي محتفظاً بأنطاكية، ثم دارت حرب مباشرة بين رضوان زعيم حلب، وأخيه دقاق زعيم دمشق وذلك في عام (489هـ / 1096م)، وللعجب الشديد فإن ياغي سيان انضم إلى رضوان، وحاول رضوان احتلال دمشق ولكنه فشل في ذلك[56]، ثم مرت الأيام وأراد دقاق أن يغزو حلب، فانضم ياغي سيان، في هذه المرة إلى دقاق في الحرب ضد رضوان، غير أنهم لم يتمكنوا من غزو حلب[57].

كان ياغي سيان على خلاف كبير مع مدينة حلب المجاورة له، كما أن علاقته مع المدن الإسلامية الأخرى لم تكن جيدة، وهو أمر كان له أثره الكبير في تدهور الأحداث في غير صالح المسلمين.

عندما علم ياغي سيان باقتراب الصليبيين من أنطاكية، خاف من النصارى الذين في المدينة، حيث كانت غالبية سكان المدينة في ذلك الوقت؛ من السريان والأرمن، ولذلك أخرجهم من المدينة بحجة حفر خندق يحميها، ولما أرادو العودة إليها، منعهم من ذلك، وتركهم يحاصرونها مع الصليبيين، وكذلك ألقى بالبطريرك الأرثوذكسي يوحنا الأوكسيي في السجن، رغم أنه كان رئيساً لأهم

جاليـــة في أنطـاكية[58]، وقد ذكر ذلك ابن الأثير[59]، ولكن هناك رواية لاتينية، تختلــف تماماً عن هــذه الرواية العربية، حيث تقول: «إن الأرمن والســريان الذيــن كانوا بداخل المدينة؛ أســرعوا بالخروج والهروب منها، تاركين خلفهم نســاءهم وأولادهم بالمدينة، فاستفسروا منا عن هدفنا، وأمدونا بمعلومات عن كافة أسرار المدينة»[60]، وهذا هو المرجح.

ذلــك عرض عن المقدمات السياســية والعســكرية لحصــار أنطاكية، أما أحداث الحصـار، فيتناوله المبحث التالي.

المبحث الثاني:
أحداث الحصار ومراحله

عند اقتراب الصليبيين من أنطاكية، اندفع المندوب البابوي أدهيمار بحماس، محاولاً حث الصليبيين على ضرورة التمسك بوحدتهم، والوقوف صفاً واحداً، والاستيلاء على المدينة[61].

عبر الجيش الصليبي نهر العاصي يوم الثلاثاء 11 ذو القعدة 490هـ / 20 أكتوبر 1097م، بعد قتال شديد مع الجيش السلجوقي الذي جاء لنجدة أنطاكية، وتمكنوا من الاستيلاء على قدر هائل من الماشية والأغنام والغلال كانت مجهزة لتموين جيش ياغي سيان[62].

هكذا أصبح الطريق إلى أنطاكية مفتوحاً، وباستطاعة الصليبيين مشاهدة قلعتها على مرمى البصر، وفي اليوم التالي يوم الأربعاء 12 ذو القعدة 490هـ / 21 أكتوبر 1097م[63]، وصلت الجيوش الصليبية إلى المدينة بحدِّهم وحديدهم، بعد قطعها الطرق الوعرة في آسيا الصغرى، من خلال طبيعة الجبال القاسية،

وندرة الماء في بعض الأماكن، وحدوث ما يمكن أن نسمّيه بحرب العصابات من الأتراك المتفرقين هنا وهناك، إلا أنهم في النهاية وصلوا إلى مدينة أنطاكية، وقد بلغ تعداد القوات الصليبية التي بإمكانها استخدام السيف ثلاثمائة ألف محارب، بالإضافة إلى النسوة والأطفال[64]، نعتقد أن هذا الرقم مبالغ فيه للغاية[65].

من جانب آخر كان بالمدينة ألفان من الفرسان الممتازين، وأربعة أو خمسة آلاف من الفرسان العاديين، ونحو عشرة آلاف أو أكثر من المشاة[66]، نعتقد أن الرقم الذي يورده ريمونداجيل غير دقيق، ولا نعلم ما المقصود بجملة الفرسان الممتازين والفرسان العاديين.

اندهش الصليبيون، ودب في نفوسهم الخوف، حينما شاهدوا حصانة المدينة ومنعة أسوارها التي ليس من السهل اقتحامها[67]، حتى إن المؤرخ ريمونداجيل الذي كان يصاحب الحملة الصليبية الأولى، اندهش عندما رأى التحصينات، حتى إنه كتب أن أنطاكية: «لا يمكن أن تخشى هجوم الآلات، ولا هجمة الإنسان عليها إذا اجتمع على حصارها الجنس البشري كله»[68]، فتحاشى الصليبيون الاقتحام العاجل، على الرغم من إلحاح كونت تولوز على ذلك، في الوقت الذي لم تكن فيه المدينة قد حوصرت تماماً من جميع الجهات، حيث حاصروها من ثلاث جهات؛ إذ أعاق جبل شديد الانحدار لإتمام حصارها من الجهة الرابعة، فظل الباب الغربي للمدينة (باب القديس جورج) مفتوحاً، وبذلك كان في وسع المحاصرين، أن يحصلوا على الإمدادات، ويقوموا بهجمات ضد الصليبيين[69].

أحدث وصول الجيش الصليبي إلى مشارف أنطاكية، هلعاً كبيراً في نفوس الأهالي، بسبب كثرة أعدادهم وطبيعة زحفهم[70]، وأثار موجة الرعب، وذلك

لما أشاع عنهم من قسوة وهمجية، حتى إنهم لم يحاولوا التحرش بالصليبيين طيلة خمسة عشر يوماً[71]، وقد وقعت في أيديهم بعض القلاع والقرى القريبة من أنطاكية التي استسلمت بسبب الخوف، والرغبة في التخلص من سيطرة الأتراك[72]، الذين كان منهم من أساء السيرة، وعندما اقترب الصليبيون من أنطاكية، لم يجدوا صعوبة في التواصل مع المسيحين داخل المدينة، ذلك أنه انضم إلى المعسكر الصليبي عدد كبير من المسيحيين من سكان المدينة، الذين دأبوا على الاتصال بأقاربهم الموجودين داخل المدينة، من خلال باب القديس جورج في الغرب، فتوفرت لدى الصليبيين معلومات عن كل ما كان يحدث داخل أنطاكية[73]، وهذا الأمر جاء مدعماً لهم.

كان بعض الأرمن والسريان، يعرجون إلى معسكر الصليبيين كل يوم، بعد أن يتركوا المدينة؛ متظاهرين بالهروب، وكانوا يتفحّصون أحوال الصليبيين، ليقفوا على مدى قوتهم؛ ويبلغوا بها الأنطاكيين[74].

اختلف الصليبيون على رأيين، الرأي الأول بتأجيل الحصار إلى مطلع فصل الربيع، حيث إن الشتاء بات وشيكاً، لذا سيكون من الصعب جمع الجيش ثانيةً قبل ذلك الوقت، حيث إنه موزع على عدة مدن وحصون، وكذلك أن إمبراطور القسطنطينية قد وعدهم بإرسال فرقة كبيرة لمساعدتهم، وكان هناك جيش قام من البلاد الواقعة فيما وراء جبال الألب، فمن الأفضل انتظار وصول الجيش، وأنه سيكون من السهولة بعد ذلك اقتحام المدينة بواسطة الأعداد المتزايدة[75].

ورأى فريق آخر؛ أنه من الحكمة محاصرة المدينة على الفور، بطريقة مفاجئة، بدون أن يكون هناك أي وقت لسكان المدينة لتقوية دفاعاتهم، وقبل وصول القوات الكبيرة التي دعت إلى مساعدتهم[76].

واستقر الرأي على الجانب الذي أكد أن الحصار ينبغي أن يكون فوراً، وأن الإرجاء كان عملاً خطيراً، وتقرر أخيراً بالإجماع الزحف على المدينة والقيام بعمليات الحصار فوراً[77].

وقف الجيش النورماني الإيطالي بقيادة بوهيموند، أمام الجهة الشمالية للمدينة عند باب القديس بولس (بول)، الذي يؤدي إليه الطريق القادم من الجسر الحديد وحلب، ووقف جيش جودفري في الجهة الشمالية الغربية، في مواجهة باب الجنينة، ووقفت بقية الجيوش؛ وعلى رأسها روبرت النورماندي، وستيفن أوف بلوا[78] Stephen of blois، وهيو أوف النورماندي، وريموند الصانجيلي، ومعه المندوب البابوي أدهيمار[79] في الناحية الغربية؛ أمام باب الكلب، أما الناحية الشرقية والجنوبية فكانت محاطة بالجبال؛ ولذلك لم يكن عندها جيوش[80]، يقول المؤرخ ريموندداجيل: «عند وصولنا لأنطاكية؛ اتخذنا مواقعنا بشكل عشوائي، ولم نعين مراقبين، وتصرفنا بغباء شديد، حتى إن الأعداء لو عرفوا بذلك، لأمكنهم أن يجتاحوا أي قطاع في معسكرنا»[81].

كانت الدولة البيزنطية، تشارك في الحصار بسرية على رأسها قائد تاتيكيوس[82] Taticius؛ وذلك لكي يحفظ حق الدولة البيزنطية في المدينة بعد سقوطها[83].

قام السلاجقة الذين يقيمون في حصن حارم[84] القريب من أنطاكية، بشن الغارات على القوات الصليبية المحاصرة لأنطاكية، والقوات التي تتوغل بعيداً عن المعسكر الصليبي بحثاً عن الطعام، فقتلوا الكثير منهم، فقرر الصليبيون بناء قلعة فوق قمة الجبل الذي يعلو معسكر بوهيموند، للبقاء آمنين من هجمات السلاجقة[85].

كذلك تعرض الصليبيون لغارات السلاجقة، الذين كانوا يخرجون من الأبواب السرية لأنطاكية؛ لمهاجمة الصليبيين الذين يخرجون بحثاً عن الطعام، عندما بدأت المؤن في النفاد[86].

قام الصليبيون بجمع كميات من المؤن من القرى المجاورة لأنطاكية، عن طريق السلب والنهب، كما وصل أسطولٌ من جنوة قوامه ثلاث عشرة سفينة، في ذو الحجة 490هـ / نوفمبر 1097م، إلى ميناء السويدية (ميناء سان سيمون أو سمعان)[87] الذي احتله الصليبيون، وقد جاء هذا الأسطول بتعزيزات من الرجال والسلاح؛ استجابة لنداء البابا أوربان الثاني[88].

كما وقع ميناء اللاذقية القريب من أنطاكية، تحت سيطرة القرصان البولوني ونمار، وكان يمد الصليبيين بما يحتاجونه من مؤن، وشعر الصليبيون بالارتياح، لمعرفتهم أنهم بوسعهم الآن الاتصال بأوطانهم عن طريق البحر، وهكذا أغلق الصليبيون الطرق المؤدية إلى أنطاكية، وسيطروا على الموانئ القريبة منها، ولم يعد أمام المسلمين المحاصَرين، إلا ما هو داخل المدينة من مؤن وسلاح.

على الرغم من ذلك، فإن الأيام مرت ثقيلة على الصليبيين، وهم يحاصرون المدينة، حيث إنهم يمرون بأزمة واضحة؛ إذ إن الجيوش هائلة، والمؤن ليست كافية، وقبل حلول عيد الميلاد 1097م / 490هـ، أخذت المؤن وكل أنواع الميرة في النفاد، وهم لا يستطيعون الابتعاد كثيراً عن أنطاكية؛ لكيلا يتعرضوا للقتل من جانب الأتراك الهابطين من الجبال، ولا يعطوا فرصة للمحاصَرين أن يخرجوا[89]، وهكذا صار الحصار صعباً، خاصةً أنه بدأ يوم الأربعاء 12 ذو القعدة 490هـ / 21 أكتوبر 1097م، وقد دخل الشتاء القارص وهم في العراء، يعانون الجوع والبرد، حيث إنه كان يموت شخص من بين كل سبعة أشخاص

بسبب المجاعة يومياً، ولذلك سارع النصارى والأرمن بتقديم كل ما استطاعوا جمعه للصليبيين[90].

كذلك لم تكفهم المعونة المتقطعة من اللحوم والفواكه والخمور، التي كانت تصلهم من جزيرة قبرص بناءً على طلب من أدهيمار أسقف لوبوي، الذي كان يتصرف بناءً على تعليمات نائب البابا أوربان الثاني البطريرك سمعان، الموجود آنذاك في جزيرة قبرص، حيث إن هذا المؤن لم تكفِ إلا لمدة قصيرة، وكان سكان المناطق المجاورة وهم مسيحيون من الأرمن، والسريان، واليونانيين يبيعون المنتوجات الغذائية بأسعار باهظة، وقد لقي الكثير من الصليبيين حتفهم، لافتقارهم إلى الأموال لدفع مثل هذا الثمن الباهظ[91].

ازداد الوضع سوءاً، مع بدايات السنة الميلادية الجديدة، ودخول شهر صفر 491هـ/ يناير 1098م، واشتداد البرد، وقلة الزاد، بدأت الأزمة تتفاقم في المعسكر الصليبي، وبدأ الجيش يتقلص يوماً بعد آخر؛ بسبب المجاعة وفرار الجنود، بل نشأت الفوضى بين الجند، وظهرت الاعتراضات هنا وهناك، وظهرت دعوات بفك الحصار، بل وأشد من ذلك؛ حدثت حالات هروب من المنطقة بكاملها، وكانت المفاجأة أنه كان على رأس الهاربين بطرس الناسك، الذي كان يُجمِّع الجيوش في فرنسا قبل ذلك، ومعه وليم النجار[92] William the Carpenter، هربا يوم الأربعاء 13 صفر 491هـ/ 20 يناير 1098م، مما يؤكِّد عدم وجود البُعد الديني تماماً في رؤيته، ولقد طارد تانكريد الفارين، حتى عثر عليهم وهم في طريقهم للقسطنطينية، وأجبرهم على العودة للبقاء مع الجيش الصليبي، وكانت عودته عودة مخزية مشينة[93]، ويكشف هذا الموقف، عن التناقض بين المقال والواقع، منذ بدايات المشروع الصليبي وتنفيذه على الأرض.

وسط تلك المخاطر، وفي شهر صفر 491هـ/ أوائل يناير 1098م، حاول

بوهيموند أن يوظِّف الظروف لخدمة مآربه الخاصة، ومطامعه الكبيرة في الحصول على أنطاكية بمفرده، وكان يعلم أن الأمراء الصليبيين سينافسونه فيها، كما أن صديقه الإمبراطور البيزنطي لن يسمح له بالسيطرة على أنطاكية[94]، التي تعتبر من أهم المطامع البيزنطية في المنطقة، حيث هدد بوهيموند بالانسحاب، وأنه ما عاد يطيق البقاء في هذه الظروف، وأنه لا يستطيع الاستمرار في تلك العملية الحربية الطويلة؛ التي لم يكن مستعداً لها، وأنه رجل ذو إمكانيات محدودة؛ ولا تكفي ثروته الشخصية لحصار طويل، ولا يمكنه أن يصبر على رؤية رجاله وفرسانه وهم يتساقطون كل يوم صرعى من الجوع أمام أسوار أنطاكية، وأن عنده ارتباطات كبيرة خاصَّة بمملكته في إيطاليا، ومن ثَمَّ فهو سيسحب جيشه من الحصار، ويقفل راجعاً إلى إيطاليا، ما لم يوافق الصليبيون على أن يجعلوا المدينة له من بعد سقوطها[95].

كان الجميع يعلم أن أقوى الفرق هي فرقة بوهيموند، وأنه أدى دوراً قيادياً في كل العمليات العسكرية التي قامت بها الحملة الصليبية، فدبَّ الهلع بزعماء الجيوش الصليبي، والتفوا حوله، يتوسلون إليه ألا يتركهم، ثم اجتمعوا على منحه أنطاكية، دون مشاركة في حال سقوطها، ما عدا القائد ريموند الصانجيلي؛ الذي رفض فكرة منحها له[96]، فتحقق له ما يريد، وحظي بتعاطف كبير بين صفوف عامة الجند[97].

عندما رضي الصليبيين بذلك، قرر بوهيموند البقاء ومواصلة العمليات الحربية، والعمل معهم بكل طاقته، ولا شك أن ذلك يثبت لنا، وخلال تلك المرحلة المبكرة من بدايات الغزو الصليبي لبلاد الشام، ظهور أطماع قادة الحركة الصليبية، على نحو عكس أن من زعم أنه كان من جند المسيح، كانوا شرهين للسلطة والنفوذ والمال[98].

لقــد اختار بوهيموند أصعب أوقات الحصار وأشــدها حرجــاً، كان تهديداً يحمل كارثة للصليبيين، وكان ذلك القائد الماكر يعلم قيمته في الجيش، ولم يكن في قرارة نفسه يفكر في العودة، فإنه ما جاء إلى هذه البلاد نصرة للرب، ولا حماية للحجيج، ولا صداقة للإمبراطور البيزنطي، إنما جاء من أجل أنطاكية، وأنطاكيــة فقــط، فموقفه هذا لم يكن إلا لعبة سياســية خطيرة، ولكنه مارســها بدرجة عالية من الاحتراف[99].

هكذا سيطر بوهيموند على الموقف[100]، وقد ذكر صاحب أعمال الفرنجة: أنه إذا قدر لبوهيموند التغلب على المدينة وحده أو بمعونة الآخرين، فعلينا أن نوليــه إياها عن طيب خاطر[101]، ولا نغفل أن المؤرخ المجهول كان من جند بوهيموند.

لكــن بقيت له مشكلة، وهي وجود الســرية البيزنطيــة بزعامة تاتيكيوس، واتفاقية القسطنطينية؛ التي تقضي بتسليم أنطاكية إلى الدولة البيزنطية، ويمين الــولاء الذي أقســمه لهذا الإمبراطــور قبل ذلك، حــاول بوهيموند أن يتملص بالحيلة والدهاء من وصاية الإمبراطور البيزنطي.

لقد بدأ بوهيموند في استفزاز القائد البيزنطي تاتيكيوس، الذي كان مرابطاً في معسكر بجوار أنطاكية؛ وذلك لحماية مصالح الدولة البيزنطية، وأن يعيدوا إلى الإمبراطوري البيزنطي المدن التي «يعيدها الرب» حســب تعبير الأميرة البيزنطيــة آنا كومنينا، ولم يكن ليتم البتة بمســاعدة الصليبيين في حصارهم، كمــا كانت تفتــرض الاتفاقيات، وبــدأ بوهيموند ينكر أي جهــود بيزنطية في المســـــاعدة، بل بدأ يفعل ما هو أخطر، إذ أشــاع أن هناك تنسيقاً سريّاً بين تاتيكيوس والأتراك المسلمين[102].

أثارت هذه الإشـــاعات غضب تاتيكيوس، فأســـرع إلى الزعماء الصليبيين يشكـــو لهم، غيـــر أنهم وجدوها فرصـــة للتخلص من الالتزامـــات تجاه الدولة البيزنطيـــة، وقالـــوا إن الدولة لم تســـاعدهم في أزمتهم بشيء يُذكـــر، ومن ثَمَّ فهـــي البادئة بنقض الاتفاقية، وهنا شـــعر تاتيكيوس بالخطر على نفســـه[103]، فانتهـــز الفرصـــة وهرب ليلاً إلى قبرص عن طريق ميناء الســـويدية في ربيع الأول 491هـــ / فبراير 1098م، تاركاً الجيش الصليبي، بعد أن صاحب الحملة الصليبيـــة من نيقيـــة، ومعه مجموعة صغيرة من مرافقيـــه، وفريق مكون من المرشـــدين[104]، هناك روايات كثيرة، تناولت انسحاب ورحيل تاتيكيوس[105]، وهكـــذا تحقق هـــدف بوهيموند، في إبعاد الدولة البيزنطيـــة، وبذلك يضمن أن تكون له أنطاكية[106].

فـــي هذا الوضع الصعب بالنســـبة إلى الصليبيين، فـــي صفر 491هـ / يناير 1098م، حيث استبد اليأس بهم، والسلاجقة ضيقوا عليهم الخناق في كل مكان، ولم تتوفر الشجاعة لأحد منهم ليترك المعسكر، حدث أمر غيَّر كثيراً في سير الأحداث، وأضاف قوة ملموســـة إلى المعسكر الصليبي؛ لقد جاءت سفارة من الدولـــة الفاطمية (العبيدية)، تعرض التفاهم والتفـــاوض مع الجيش الصليبي، لتحقيق مصالح مشتركة.

لقـــد كانـــت مصـــر فـــي ذلـــك الوقـــت تحـــت حكـــم العبيدييـــن المعروفين بالفاطمييـــن[107]، وهم من الشيعة الإســـماعيلية، وكانـــوا على خلاف كبير مع الســـلاجقة السُّـــنَّة، وكذلك مع الخلافة العباســـية السُّـــنِّيَّة؛ وعندما ســـمعوا بأن الصليبيين، الذين وصلوا إلى بلاد الشام، اشـــتبكوا مع الأتراك السلاجقة أعداء الدولة الفاطمية (العبيدية)، فكروا في عقد تحالف معهم، والتعاون مع الصليبيين لحرب الســـلاجقة الســـنة، وكان الخليفة الفاطمي (العبيدي) في ذلك الوقت هو

المستعلي بالله (487 – 495هـ / 1094–1101م)[108]، وإن كان صاحب السلطة الفعلية في مصر؛ الوزير الأفضل بن بدر الجماليّ[109].

وكان عرض الدولة الفاطمية الاتفاق مع الصليبيين يشمل البنود التالية:

– ينفرد الصليبيون بحكم أنطاكية وشمالي بلاد الشام.

– تحتفظ مصر ببيت المقدس وجنوبي بلاد الشام، وكان العبيديون بالفعل يسيطرون على بيت المقدس، حيث قاموا باحتلاله عام (491هـ / 1097م)، حينما كان السلاجقة منهمكين في حرب الصليبيين في آسيا الصغرى.

– السماح للصليبيين بزيارة الأماكن المقدسة في فلسطين، وتكون لهم الحرية الكاملة في أداء شعائرهم الدينية، على ألا تزيد مدة إقامتهم فيها على شهر واحد، وألا يدخلوها بسيوفهم.

– يتعاون الطرفان في القضاء على السلاجقة[110].

لقد ضمن الصليبيون أنهم في مأمن؛ من هجوم الدولة الفاطمية عليهم، والتي كانت تملك جيشاً كبيراً، إضافةً إلى أسطول بحري قوي، كان من الممكن أن يغيِّر الموقف في أنطاكية، وهناك أمر خطير هو اعتراف الدولة الفاطمية (العبيدية) بالأحقية الشرعية للصليبيين في أرض أنطاكية[111]، فاختار الصليبيون أن يتركوا الفاطميين على عماهم، ولم يفصحوا لهم عن نواياهم اتجاه فلسطين، بل أرسل الصليبيون سفارة إلى القاهرة، رداً على سفارة الأفضل بن بدر الجماليّ، تؤكد التعاون بين الطرفين للقضاء على العدو المشترك.

لقد ساهمت السفارة الفاطمية (العبيدية)؛ في استيلاء الصليبيين على

بيت المقدس فيما بعد، حيث وقف الصليبيون على مدى الخلاف السائد بين الفاطميين والسلاجقة في بلاد الشام، ومن ثَمَّ استقرّ رأيهم بعد استيلائهم على أنطاكية على إرسال حملة للاستيلاء على بيت المقدس، إذ علموا أنهم يتعاملون مع أمَّة ضائعة، ليس لها من همٍّ إلا التملك والثروة، وأنهم على استعداد لبيع بعضهم البعض، ولو كان المشتري هم الصليبيين، إن الدولة الفاطمية (العبيدية) ساهمت في احتلال الصليبيين للمنطقة، فبدلاً أن تقف مع السلاجقة ضد الصليبيين؛ راسلتهم وطلبت منهم الصلح.

يقول المؤرخ أبو المحاسن عن موقف الفاطميين (العبيديين)، وعدم مشاركتهم القوى الإسلامية التي نهضت للدفاع عن أنطاكية ضد الصليبيين، فيقول: «لم ينهض الأفضل بإخراج عساكر مصر، وما أدري ما كان السبب في عدم إخراجه مع قدرته على المال والرجال»[112]، ثم يسترسل أبو المحاسن؛ في وصف سوء حال الصليبيين، عندما زحفوا على الشام، وكيف أن المسلمين في العراق والشام حاولوا صدهم، فيقول: «كل ذلك وعساكر مصر لم تهيأ للخروج»[113].

كذلك أشار المؤرخ الجنوي كفارو الكاسيكفلوني: عن رحلة قام بها جودفري أوف بويون، وروبرت أوف فلاندرز إلى مصر والشام، على السفينة الجنوية Pomella عام (475 – 477هـ / 1083 – 1085م) وتعزى أهمية تلك الرواية إلى أنها أيدت بما لا يدع مجالاً للشك، عن وجود اتفاق مسبق بين الفاطميين والصليبيين، للقدوم إلى الشرق لقتال السلاجقة، واقتسام الشام فيما بينهم، على أن يكون شماله بما فيه أنطاكية من نصيب الصليبيين، ويكون جنوبه بما فيه بيت المقدس من نصيب الفاطميين، ويتفق هذا مع ما ذكرته المصادر الإسلامية في هذا الصدد[114].

فقـد قال كفارو في هذا الصدد: «ليكن معلوماً لدى الجميع الآن، أن عصر البابا أوربان الثاني الطيب الذكر، كان في الرحلة جودفري مع رفيقه فراندليس (روبرت أوف فلاندرز الفريزي)، ومع آخرين من النبلاء والسـادة، يرغبون في زيارة قبر السـيد المسـيح، فذهبوا إلى جنوة، ومنها ركبوا السفينة ليبحروا إلى الإسكندرية، وكان اسم السفينة Pomella، ووصل الجنوية إلى الإسكندرية، ومن الإسكندرية اتجهوا مع جنود المسلمين نحو بيت المقدس....»[115].

هنـاك فـي المراجع مـا يشير؛ إلـى أن الإمبراطور البيزنطي ألكسـيوس كومنين، نصح الصليبيين منذ وجودهم في القسـطنطينية، بأن يحاولوا محالفة الفاطميين (العبيديين) في مصر، لأنهم أعداء للأتراك، ومن سـماتهم التسامح مع المسـيحيين، وعلى اسـتعداد دائم للتعامل مع القوى المسيحية[116]، وهناك مراجع صليبية أشارت إلى أنهم أرسلوا من نيقية سفارة إلى مصر[117].

إن هذه الأحداث كلها تعطينا فكرة واضحة عن مدى انقسام العالم الإسلامي على نفسـه، في ذلك الحين بين سـنة وشـيعة، وترك وعرب، وما سـببه هذا الانقسـام من خسارة للمسـلمين جميعاً، الأمر الذي مكّن الصليبيين من تحقيق مكاسـب كبيرة على حساب المسلمين، وقد أشارت المصادر اللاتينية إلى هذا الانقسام بوضوح[118].

أما ياغي سيان حاكم أنطاكية، فقد أعد عدته للحصار، فشحن القلاع بالجند والمقاتليـن، واختزن المؤن الكافية، التي تكفـي الحياة المدنية لمدة طويلة من الزمن[119].

طلب ياغي سـيان مـن داخل المدينـة المحاصَرة، النجدة والمسـاعدة من زعماء الإمارات الإسـلامية المجاورة، إلا أن الخلافات والحروب التي كانت

بين الأخوين دقاق أمير دمشق، ورضوان أمير حلب، وانحياز ياغي سيان إلى هذا مرة، وذاك مرة أخرى، جعلته لا يستطع أن يرسل رسالة إلى رضوان أمير حلب؛ التي تقع على مسافة أقل من ستين كم من أنطاكية[120]؛ نظراً لما قام به ياغي سيان من انضمامه إلى دقاق، بعد أن كان محالفاً لرضوان، لذلك أرسل ياغي سيان إلى دقاق ملك دمشق، حيث سير إليه ولده، وجناح الدولة حسين بن ملاعب[121] أمير حمص، وهما يقعان على بُعد أكثر من مائة وأربعين كم، بل إنه أرسل إلى كربوغا[122] أتابك الموصل، التي تقع على بُعد سبعمائة كم، وكذلك إلى بركياروق[123] سلطان سلاجقة فارس (472 – 498هـ / 1094 – 1105م)[124].

إلا أن التشرذم السياسي، والمطامع الشخصية، حالت دون تقديم المساعدات المرجوة، كما أنه طلب النجدة من الخليفة العباسي، وقد كان الخليفة في هذا الوقت هو المستظهر بالله (472 – 512هـ / 1094 – 1118م)[125]، ولكن دون جدوى، حيث إن الخليفة لم يملك من أمره شيئاً، وإن كان يحمل لقب خليفة المسلمين، ولكنه كان تحت السيطرة السلجوقية التامة، وكانت جيوشه شرفيَّة، لا تستطيع أن تصد هجوماً، أو ترفع راية، أو تحرر أرضاً، ومن ثَمَّ فقد قابل أنباء الاحتلال الصليبي بشيء من الفتور، وهذا يعبر عن حالة الضعف الشديد، التي كان يعانيها، ولم يكلف نفسه أن يشير على سلطان السلاجقة بمقاومة هذا الاحتلال العنيف، ولعله كان مطمئناً إلى وضعه الآمن في بغداد، بعيداً عن الساحل الشامي الذي يتعرض للهجمة الصليبية.

من بعد مرور أكثر من شهرين على الحصار، تجمعت قرب شيزر[126] نجدة إسلامية لإنقاذ أنطاكية، وكان على رأسها دقاق ملك دمشق، وأتابكة جناح الدولة حسين بن ملاعب أمير حمص، ومعهم خمسة وعشرون ألف

مقاتــل[127]، ودارت معركة بينهم وبين الصليبيين بقيــادة بوهيموند وروبرت الثانــي أوف فلاندرز ومعهما نحــو عشرين ألف مقاتل[128]، في منطقة جنوب أنطاكيــة عنــد البارة في 21 محرم 491هـ / 29 ديســمبر 1097م، وكان الجيش الصليبــي يبحث في هذا المكان عن إمدادات غذائية، وتفوق فيها المســلمون؛ وإن لم يحقِّقوا نصراً حاســماً، وقتلوا من الصليبيين جماعة كبيرة عند ضفاف نهر العاصي[129]، وانســحب الصليبيون إلى معســكرهم خارج أنطاكية، ومع ذلــك فقد قرر دقاق الانســحاب وعــدم مطاردتهم والعودة إلــى دمشق ليؤمِّن مدينته[130]، دل تصرف دقاق على عدم صدق النية في الجهاد ضد الصليبيين، إذ في حالة أنه تتبعهم نحو أنطاكية، لكانت فرصته في النصر مرجحة.

في هذه الأثناء، أرسل الصليبيون لدقاق رسالة يسكِّنونه فيها ويخدِّرونه، إذ قالوا له إنهم ما جاؤوا إلى هذه المناطق، إلا لتحرير المدن الشمالية التي كانت ملكاً للدولة البيزنطية، مثل الرها وأنطاكية، وأنهم ليس لهم حاجة في دمشق ما دامت لا تقاتلهم، وقد أقنعت هذه الكلمات دقاق، فترك أنطاكية تواجه مصيرها، وقــد ذكــر ابن الأثير: «وكان الفرنج قد كاتبوا صاحب حلب، ودمشق، بأننا لا نقصــد غيــر البلاد التي كانت بيد الروم، لا نطلب ســواها، حتى لا يســاعدوا صاحــب أنطاكية»[131]، مما يوضح انشغال حكام المســلمين آنذاك بمصالحهم الشخصية، دون الصالح الإســلامي العام، فجاءت ردود الفعل الإســلامية إما متأخرةً، وإما ضعيفة، وإما تتسم بالجهل بطبيعة الحركة الصليبية.

هكذا انتظر المحاصرون في المدينة من يوم إلى آخر، في ترقب وقلق، من الاســتيلاء على مدينتهم، وإبادة شعبهم، حيث أيقنوا أن حصاراً بهذه الأهمية، لن ينتهي دون أن يستدعي الأمر تدمير المدينة وفقدانها لحريتها[132].

خــرج رضــوان ملك حلب في آخر صفــر 492هـ / بدايــة فبراير 1098م،

وبصحبة سقمان بن أرتق، وأمير حماة، استجابة لاستغاثة ياغي سيان، وفي يوم الثلاثاء 4 ربيع أول 492هـ / 9 فبراير 1098م، وقعت معركة بين الصليبيين والسلاجقة بين بحيرة أنطاكية ونهر العاصي، انتصر السلاجقة في البداية، وألحقوا خسائر فادحة بالصليبيين، ولكن انتصر الصليبيون في النهاية، وطاردوا السلاجقة حتى حصن حارم، وقدر ريموندداجيل عدد السلاجقة بثمانية وعشرين ألفاً[133]، وكان هذا هو رد الفعل الإسلامي الثاني ضد الوجود الصليبي في بلاد الشام، ولكنه كالعادة جاء متأخراً وهزيلاً؛ كما جاء من دمشق من قبل، ففي حالة نسيان رضوان خلافه مع ياغي سيان، وأخيه دقاق وهاجم الصليبيين أثناء أزمتهم الاقتصادية، لحملهم على فك الحصار عن أنطاكية.

عندما رأى ياغي سيان أن الهزيمة حلت بالحلبيين، مثلما حلت بالدمشقيين، جدد استغاثته بسلطان سلاجقة الفرس بركياروق، وكذلك بواليه على الموصل كربوغا[134]، وقد استجاب كربوغا لنداء ياغي سيان، وجهَّز جيشاً كبيراً[135]، وكان معه إلى جانب جنوده، رجال أرسلهم سلاطين بغداد وفارس، وأمراء الأرتقة في شمالي العراق[136]، وكان دقاق في انتظاره في دمشق؛ كي ينضم إليه، وبدأ مسيرته في 26 جمادى الأولى 491هـ / أوائل مايو 1098م، لكنه توقف في الطريق لمحاولة الاستيلاء على الرها من بلدوين، فقرر أن يحاصرها ويحاول إسقاطها قبل أن يأتي إلى أنطاكية، والذي دفعه إلى ذلك قرب إمارة الرها من إمارة الموصل، فخَشِي كربوغا؛ إن أخذ جيشه وذهب إلى أنطاكية (وهي على بُعد أكثر من سبعمائة كم من الموصل) أن يهاجم بلدوين الموصل الخالية من الجيوش، وهكذا أضاع كربوغا الأسابيع الثلاثة الأخيرة من شهر جمادى الآخرة 491هـ / مايو 1098م، وهو يهاجم أسوار الرها دون جدوى، في

محاولة فاشلة لإسقاطها، ولم يتحرك في اتجاه أنطاكية إلا في أواخر جمادى الآخرة 491هـ / أواخر شهر مايو 1098م[137].

كان ذلك عرضاً عن حصار الصليبيين لأنطاكية، أما نتائج ذلك الحصار، فيتناوله المبحث التالي.

المبحث الثالث:

نتائج الحصار

في صباح يوم الخميس آخر جمادى الآخرة 491هـ / 3 يونيو 1098م، ليلة الجمعة مستهل رجب، سقطت المدينة بأيدي الصليبيين، على الرغم من حصانة المدينة، وكفاءة حاكمها، ودفاع الجند عنها، وقد أظهر ياغي سيان من شجاعة وجودة رأيه وحزمه واحتياطه ما لم يشاهد عند غيره[138]، ولكن في هذه الأثناء لعبت الخيانة دورها؛ لقد ظهر في أنطاكية رجل أرمني الأصل تظاهر بالإسلام، اسمه نيروز أو فيروز[139].

حيث اعتمد ياغي سيان في حراسة بوابات المدينة وأبراجها، على من يثق بهم ثقة كاملة، ومن أولئك رجل يدعى فيروز، إذ اعتمد على إخلاصه الصادق اعتماداً كبيراً في حفظ برج مهم هو برج الأختين[140]، الذي يقع في الجانب الغربي من المدينة، ومجاوراً للبوابة التي تعرف اليوم باسم القديس جورج[141]، ويعد هذا البرج من الأبراج المهمة بالنسبة إلى حصانة أنطاكية والحفاظ عليها، ولأنه كان بعيداً عن المدينة.

اشــتهر هذا الرجل باســم فيروز، وهو من أســرة أطلق عليها (زردة)، أو أسرة الزرادين، وتعني أبناء صانعي السلاح، لأن جدّهم اشتغل بهذه الصنعة، ولم يحدد المؤرخون تاريخ ســكنى هذه الأســرة لأنطاكية، إلا أنه من الواضح أنها ســكنتها منذ فترة ليست بالقصيرة، اختلف المؤرخون حول أصله، فمنهم من أشار إلى أنه تركي الأصل، ومنهم من أشار إلى أنه أرمني الأصل، وهذا هــو الراجح، حيث إن جميع المصــادر العربية والأجنبية تشير إلى أنه أرمني الأصــل، ما عدا المؤرخ المجهول، وكذلــك اختــلف المؤرخون حول ديانته، فمنهم من أشـــار إلى أنه مسـيحي، ومــنهم من قال إنه مسلم، والراجح والله تعالى أعلم أنه تظاهر بالإسلام[142].

كــان فيــروز من المقربين إلى ياغي ســيان، وكان ينعم عليــه، وكان كاتم الســر في قصره، إلى جانب وظائف ســامية أخرى، ومع ذلك قام ياغي سيان بمصــادرة أمواله؛ عندما قام بإخفاء ما بحوزته من حبوب ومؤن، نافياً وجود أي مــن ذلك، فصادر أمواله دون أن يقصيه مــن منصبه، فارتكب بذلك خطأً جســيماً، إذ قرر فيروز الانتقام[143]، وقد ذكر ابن القلانسي: «في آخر جمادى الأولــى منهــا ورد الخبر بأن قومــاً من أهل أنطاكية، مــن حملة الأمير ياغي سيان من الزرادين، عملوا على أنطاكية وواطؤوا الإفرنج على تسليمها إليهم، لإساءة تقدمت منه في حقهم ومصادرتهم»[144].

تبادل فيروز الرسائل السرية مع الأرمن الموجودين في الجيش الصليبي، الذيــن خرجوا من المدينة عند بدء الحصــار، وانضموا إلى الجيش الصليبي، وقــال إنه يعلم أســراراً؛ قد تســهِّل فتح أنطاكية، وصلت هــذه المعلومات إلى بوهيمونــد شــخصياً، فتكتمها عــن بقية الزعمــاء الصليبيين، ولــم يخبر قادة الصليبيين عن وسيلته لدخول أنطاكية؛ إلا عشية الهجوم عليها، حتى يتسنى له

فرض شروطه عليهم بالتسليم بأحقيته في امتلاكها دون غيره منهم، والتغاضي عن حقوق الإمبراطورية البيزنطية في المدينة[145]، وتراسل مع فيروز الذي طلب مالاً وإقطاعاً في المدينة بعد سقوطها، فأقره بوهيموند على ذلك[146]، جمع بوهيموند زعماء الحملة الصليبية وأعاد على أسماعهم خطورة الموقف، وتيقن مرة ثانية من أنهم سيسلمونه أنطاكية إذا تم فتحها، ثم بدأ يحدِّد لحظة الهجوم وساعة الصفر[147].

أعلن بوهيموند في يوم الهجوم على المدينة للقادة الصليبيين خطة الهجوم، وأصدر توجيهه بأن تتظاهر الجيوش الصليبية بالابتعاد عن أسوار المدينة في المساء، والتوجه نحو الخارج، وعند حلول الليل تعود القوات إلى أسوار المدينة في جنح الظلام، والتوجه إلى الطرف الغربي من السور، حيث يتولى فيروز الحراسة، فهناك سلالم معدة للصعود إلى البرج المتفق عليه مع فيروز[148]، من المتصور افتراضاً أن هناك من عاون فيروز على الأمر من داخل أنطاكية، فمن المستحيل أن يقوم بهذه المهمة شخص واحد بمفرده.

فتح فيروز الأرمني الأبواب في برجه، وفي بعض الأبراج المجاورة، بعد اتفاق مسبق، وتحديد ساعة الصفر[149]، مع القائد الصليبي بوهيموند، بل إن بعض الروايات تذكر أنه قتل أخاً له؛ لكيلا يكشف قصة المؤامرة، فقد ذكر وليم الصوري: «أن فيروز دخل البرج قبل بدء الهجوم، فوجد أخاه غارقاً في النوم، وبما أنه كان متأكداً أن عواطف أخيه كانت ضد المشروع الذي كان مصمماً عليه، فقد خشي أن يكون عائقاً في تنفيذ الخطة، فهوى عليه بسيفه بضربة مميتة أودت بحياته»[150]، دون إمكانية التأكد من ذلك.

ذكر صاحب الملحمة (أنشودة أنطاكية)، وهو شاهد عيان على فتح

أنطاكية، أن رجلاً يدعى فوشية اليتيم كان أول من تسلق السلالم، بعد أن رفض بوهيموند أن يفعل ذلك، معلناً للحاضرين أنه لن يغامر بتعريض نفسه للهلاك، ولــو كان البــرج كله من ذهب[151]، وصعد بعده الباقــون، حتى وصل عددهم إلــى خمســمائة، فضربوا البوق، وقد ذكر ابن الأثيــر: «وصعد جماعة كثيرة بالحبال، فلما زادت عدتهم على خمســمائة ضربوا البوق، وذلك عند الســحر، وقد تعب الناس من كثرة السهر والحراسة»[152]، مع ذلك فمن المستبعد منطقياً صعود هذا العدد الكبير دون الشعور بهم.

وبعــد وقت قصير؛ انســابت الجيــوش الصليبية الهائلة داخــل المدينة مع الســاعات الأولى مــن الصباح، وابتهج الســريان والأرمن مــن أهل أنطاكية كثيراً بما كان يحدث، وأســرعوا بالانضمام إلى الصليبيين، وبادروا إلى حمل أسلحتهم على الفور، وعملوا كمرشدين للصليبيين خلال طرق المدينة المعقدة وخفاياهــا، لأنهم كانوا مطلعين على جميع المواقــع بشكل جيد[153]، وقتل من فيها من المسلمين[154].

وســادت موجــة من الذعر فــي أنطاكيــة، وانطلق الصليبيون يســتبيحون المدينــة بعــد الحصــار الطويل، وقتــل من الرجــال والنســاء والأطفال ما لا يمكن حصره[155]، وســبيت أعداد هائلة من النســاء والأطفال، وقال أحد كبار القساوســة: «مــا من جريمة فظيعة، وما من نهــب مريع، وما فعلة مخجلة إلا ارتكبوهــا»[156]، وقتلــوا كل من وقــع نظرهم عليه، فغطيــت الأرض بجثث القتلى من المسلمين، وسالت الدماء كسيول في الشوارع، ويقول لوبون: «يدل سلوك الصليبيين في جميع المعارك؛ على أنهم من أشد الوحوش حماقة»[157]، وأفــاد ريموندااجيل: «لم يأســروا أياً ممن التقوا بهــم في الطريق، وقد امتلأت جميع الســاحات، بحيث إن أحداً لم يكن بوسعه أن يتواجد هناك بسبب الرائحة

الكريهة القوية، ولم يكن بوسع المرء أن يسير في شوارع المدينة دون أن يطأ الجثث، التي تعفنت سريعاً بفعل حرارة الصيف»[158]، وسرعان ما ارتفعت أعلام بوهيموند على أسوار أنطاكية وأبراجها.

لم يبق في ذلك اليوم مسلم واحد على قيد الحياة في أنطاكية، بل إن السكان المسلمين في القرى المجاورة، التي لم يدخلها الصليبيون بعد، هربوا مستنجدين بكربوغا، وراح الصليبيون ينهبون منازل مواطني أنطاكية[159].

وهنا كشّرت الحركة الصليبية عن أنيابها، وتحول جند المسيح؛ إلى قتلة وسفاكي دماء ومغتصبين[160]، فقد تصرف الصليبيون إزاء سكان أنطاكية المغلوبين على أمرهم، بهمجية لا حدود لها[161].

استيقظ ياغي سيان على دخول الفرنجة المدينة فسأل عن الحال، فقيل: إن هذا البوق من البرج، ولا شك أنها قد ملكت، فداخله الرعب، وأدرك المؤامرة بعد فوات الأوان، فسأل عن نائبه في حفظ البلد، فقيل إنه هرب، فخرج من باب آخر هارباً، فلما طلع عليه النهار وجد نفسه قد ابتعد عن أنطاكية، فندم على عدم قتالهم، فسَقَطَ عَنْ فَرَسِهِ مغشياً عليه، وقارب على الموت، فَتَرَكَهُ أصحابه وَسَارُوا عَنْهُ، فوجده أرمني كَانَ يَقْطَعُ الْحَطَبَ، وَهُوَ بِآخِرِ رَمَقٍ، فَقَتَلَهُ وَأَخَذَ رَأْسَهُ وَحَمَلَهُ إِلَى الصليبيين بِأنطاكية؛ لتسقط بذلك كل عزيمة عند الشعب المسلم والجنود على حد سواء[162].

لكن هناك رواية أخرى لاتينية، تختلف تماماً عن هذه الرواية العربية، حيث تقول: عندما رأى ياغي سيان أنه قد تم تسليم المدينة إلى العدو، وأن العدو قد استولى على جميع الأبراج والحصون، وعلاوة عن ذلك أن جميع الذين نجوا من الموت قد انسحبوا بسرعة إلى القلعة، اندفع بجنون من خلال

أحد الأبواب الخلفية هارباً وحده، دون أن يكون معه أحد، ساعياً للحفاظ على حياته فقط، وحدث أن صادف العديد من الأرمن، عندما كان يتجول قلقاً بائساً، بدون هدف محدد، وعرفه الأرمن على الفور، واقتربوا منه كأنهم يريدون أن يظهروا له التبجيل المألوف، وسمح لهم بالاقتراب منه، بعدما كان الفزع قد روعه، وأدركوا على الفور حقيقة أنه كان قد فرّ وحده، وأنه قد تم الاستيلاء على المدينة، وهكذا طرحوه بعنف أرضاً، واستلوا سيفه، وقطعوا رأسه، وحملوه إلى المدينة، وقدموه إلى القادة بحضور جميع الناس، ونال الذي جاء برأسه إلى بوهيموند جائزة ثمينة[163].

الراجح والله أعلم أن الرواية العربية أدق وأصح، حيث أورد ابن الأثير في ياغي سيان: «وظهر من شجاعة ياغي سيان، وجودة رأيه وحزمه، واحتياطه ما لم يشاهد من غيره»، وكذلك أشار إليه ابن القلانسي[164]، وأن الروايات الأجنبية تجعل القادة المسلمين في صورة مزرية ومخزية وتقلل من قيمتهم كنوع من الحرب النفسية، ودعاية للصليبيين في الغرب الأوروبي.

سقطت المدينة أخيراً، بعد حصار طويل وشاق، وقد دافع أهالي أنطاكية عن مدينتهم حتى آخر رمق، فيذكر ابن القلانسي: «وقع السيف في الرجال المتطوعين والمجاهدين والمغالين في الرغبة في الجهاد وحماية المسلمين»[165]، كما ذكر أيضاً ابن العديم: «وقتل من المطوعة والغلمان والسواقة خلق كثير»[166].

كان أمام الصليبيين بعد الاستيلاء على أنطاكية مهام خطيرة وعاجلة، فأسرعوا في الانتشار في الحصون والأبراج، وسيطروا سيطرة كاملة على مداخل المدينة ومخارجها، وأعدوا عدتهم للدفاع عنها ضد هجوم كربوغا

المنتظر، وفي الوقت نفسه كان عليهم تنظيف المدينة من أثر المذبحة الرهيبة، التي أحدثوها بالمسلمين، فعجلوا بدفن الجثث حتى لا تكون سبباً في انتشار الوباء في المدينة، وإعداد كاتدرائية القديس بطرس، وغيرها من الكنائس التي سبق أن استولى عليها المسلمون، وإخراج البطريرك الأرثوذكسي حنا الرابع من سجنه، الذي وضعه فيه ياغي سيان، وأعيد إلى كرسي البطريركية في أنطاكية رغم أنه يمثل الكنيسة الشرقية[167].

أعد كربوغا عدته لنجدة أنطاكية، بناءً على استغاثة ياغي سيان بسلطان سلاجقة فارس بركياروق؛ قبل سقوط أنطاكية، ولكنه توقف في الطريق لمحاولة الاستيلاء على الرها من بلدوين، وبذلك أضاع الأسابيع الثلاثة الأخيرة من شهر مايو 1098م في حصار الرها دون جدوى، مما أعطى الصليبيين أمام أنطاكية فرصة من الوقت مكنهم من الاستيلاء على أنطاكية[168].

تحرك كربوغا بجيشه من الرها بعد أن يَئِس من إسقاطها، ثم توقف في مرج دابق على بُعد ستمائة وخمسين كم تقريباً من أنطاكية، حيث عقد اجتماعاً مع دقاق بن تتش أتابك دمشق، والأتابك طغتكين، وجناح الدولة أمير حمص، وأرسلان بن تتش، صَاحِب سِنْجَارَ، وسليمان بن أرتق، وغيرهم من الأمراء ليكون جيشاً كبيراً لإنقاذ أنطاكية، وكان جيش كربوغا هذا مرسَلاً من قِبل بركياروق سلطان السلاجقة، وأقوى الشخصيات السلجوقية في ذلك الوقت؛ لذلك أذعن لكربوغا عدد كبير من الأمراء، إلا أن رضوان صاحب حلب، رفض الخروج في جيش فيه أخوه دقاق؛ عدوه اللدود[169]، وقد ذكر ابن العديم: أن رسل رضوان كثر ترددهم في تلك الأثناء على كربوغا، الأمر الذي أخاف دقاق، وأثار الظنون في نفسه[170].

اجتمع جيش كربوغا في مرج دابق، ومنها أخذ يزحف إلى أنطاكية، عبر

نهر العاصي، ووصل إليها بعد نحو ستة أيام من سقوطها، وحاول كربوغا اقتحام المدينة عن طرق قلعتها؛ التي كانت لا تزال باقية في أيدي المسلمين، وساعدهم على ذلك شمس الدولة بن ياغي سيان، ولكنه فشل لحصانتها، فلجأ إلى تجويع الصليبيين داخل المدينة، فقام بضرب الحصار حولها، لتنقلب الآية؛ فالصليبيون داخل أنطاكية محصورون، والمسلمون من خارجها مُحاصِرون لها[171]، وقد عانى الصليبيون معاناة كبيرة، فالمدينة كانت قد خلت تقريباً من الغذاء، بعد حصارها لأكثر من سبعة أشهر متصلة.

أقام الصليبيون بأنطاكية اثني عشر يوماً، ليس لهم ما يأكلونه، وقد كانوا على أبواب مجاعة مهلكة، وتقوت الأقوياء بدوابهم، والضعفاء بالميتة وورق الشجر، واستمروا على هذا الوضع ثلاثة أسابيع من 5 إلى 25 رجب 491هـ / 8 إلى 28 يونيو 1098م[172].

لم يبق أمل للصليبيين في أنطاكية للخلاص من تلك المحنة، سوى الاستعانة بالإمبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنين، ليطعن كربوغا وجيوشه من الخلف، إنها سياسة المصالح، إنهم يحتاجون إليه الآن، فلا مانع عندهم من التزلف مرة ثانية، والتملق والنفاق.

لذلك استنجد الصليبيون بذلك الإمبراطور، فوجدها فرصة لامتلاك أنطاكية، فاستجاب لندائهم وخرج بنفسه على رأس جيش كبير، مخترقاً آسيا الصغرى نحو أنطاكية، لكنه في الطريق وصلته أنباء بكبر حجم جيش كربوغا، فخاف على نفسه وسلطانه، فقرر الرجوع، فكانت ضربةً خطيرةً للصليبيين المحصورين داخل أنطاكية، وتشجيع لكربوغا بمحاصرتهم[173].

ساء وضع الصليبيين أكثر، وبعد أربعة أيام فقط من الحصار، بدؤوا

يتركــون مواقعهــم الأمامية، مــن الإجهــاد، ويتجهون إلى البيــوت في داخل المدينــة، وهــذا يوضِّح روح اليــأس والإحباط التي ســيطرت عليهم، وواجه بوهيموند الموقف بكل حزم، حيث أحرق يوم السبت 9 رجب 491هـ / 12 من يونيــو 1098م؛ الدور والبيوت الداخلية؛ ليجبر الجنود على تركها والعودة إلى مواقعهم الأمامية[174]، ودل هذا على حنكته السياســية والعســكرية خلال ذلك الموقف العصيب.

قام بوهيموند بإرســال ســفارة من رجلين، أحدهما بطرس الناســك ومعه مترجــم يدعــى هرلوين إلى كربوغا، يوم الأحد 25 رجــب 491هـ / 27 يونيو 1098م، بعد تســعة عشر يوماً من الحصــار، لإقناعه بفك الحصار، ويطلبون الأمان لخروج الجيش الصليبي من المدينة، ولكن كربوغا رفض وأصر على استســلام الصليبيين دون قيد أو شرط، وذلك مخافة خيانة من بوهيموند وهي خيانة متوقعة، ثم إنه شــعر بضعف الصليبييــن فطمع في القضاء عليهم تماماً فــي معركة فاصلة[175]، وهكذا رفض كربوغا الســفارة، ومــن ثَمَّ لم يعد أمام بوهيمونــد إلا قرار الحرب، والحرب الســريعة قبل أن يهلك الجيش الصليبي من الجوع[176].

انخفضت معنويات الجيش الصليبي بسرعة؛ تحت تأثير الجوع، واستمرار الفــرار من الجيش[177]، ومن أشــهر من هرب ســتيفن أوف بلــوا، الذي عاد أدراجه إلى فرنسا، متظاهراً بالمرض، على نحو جعله موضع سخرية، نظراً لحنثه بالقسم الذي قطعه على نفسه[178].

ظهرت إشاعة مفادها أن الكاهن بطرس بارثلوميو[179] Peter Bartholomew من أهل مرســليا من عامة الشعب، أفاد بأن القديس أندرياس الرسول قد ظهر

لـه ثلاث مرات في المنام، وأعلمه أن الحربة التي طعن بها القائد الروماني؛ السيد المسيح في الجنب وهو على الصليب، (كما يعتقد المسيحيون) مطمورة في كنيسة القديس بطرس بأنطاكية، وأنهم إذا حفروا، وجدوا الحربة، فإنهم يحملونها أمام جيوشهم، وهذا الجيش يتحقق له النصر لا محالة، وشك أدهيمار في هذه الحكاية، فإن مثل هذه الحربة توجد بين مجموعة من البقايا في القسطنطينية[180].

أمر بوهيموند الكاهن بطرس وبعض الرجال بالحفر، وعندما شرعوا بالحفر في الكنيسة، وبعد أيام عدة كشف الكاهن بطرس عن الحربة، ثم أخرجوا الحربة من الحفْرة، وقالوا: إن هذه معجزة، وإن هذا الجيش منصورٌ[181].

المرجح أن هذه قصة لفَّقها بوهيموند وأتباعه، وأن الهدف من هذه التمثيلية الدينية، إشاعة الحماس[182]، وقد تحقق لهم مرادهم، وكان التأثير كبيراً، وقد رفعت الحربة من معنويات الجيش، وقرروا الخروج في اليوم التالي مباشرة لحرب المسلمين، يتقدمهم ريموند الرابع؛ حامل الحربة المزعومة[183]، وقام الأسقف أدهيمار يخطب في الصليبيين، ويحثهم على القتال بكل شجاعة، محاولاً نزع الخوف من قلوبهم[184]، ويضيف صاحب كتاب أعمال الفرنجة؛ أن الأساقفة والقس والكهنة والرهبان، قد ارتدوا حللهم المقدسة، وخرجوا حاملين الصلبان ممجدين الرب، ومبتهلين إليه أن ينقذهم من كل شر، بينما اعتلى آخرون الباب رافعين الصليب في أيديهم، ورسموا عليهم علامة الصليب وباركوهم، ولما تجهزوا وتدرعوا بالصليب خرجوا للقتال[185].

أثناء ذلك شعر كربوغا، أن جيشه وإن كان كبيراً؛ إلا أن جيوش الصليبيين أكبر، ولو حدث وخرج الصليبيون للقتال، فقد تدور الدائرة على المسلمين إن

طـــال الحصــار، فأعاد التفــاوض مع رضوان بن تتش أمير حلب، الذي رفض المشاركة في الحلف الإســلامي؛ للعمل على استرداد أنطاكية من الصليبيين، لينضـــم إليهم بجيشـــه؛ فجيش حلـــب كبير، ورضوان نفســه كفاءة عســكرية معروفة، والأهم من ذلك أن حلب مدينة قريبة وغنية، وتســتطيع إمداد الجيش الإسلامي بالمؤن اللازمة، والسلاح وأدوات الحصار.

كـــان على رضـــوان أن يتخذ موقفاً أكثـــر حكمة واتزانـــاً، بعد أن صارت حلـــب بين الرها في الشرق وأنطاكية في الغرب، وكلتاهما ســقطت في قبضة الصليبيين[186]، فخشي دقاق صاحب دمشق من ذلك[187]، فوقعت نزاعات بين جيش كربوغا وفرقة دمشق، بســبب طلب مســـاعدة حلب، ووصل الأمر إلى إثارة قلق دقاق نفســه، وأعلن دقاق عن رغبته في العودة إلى دمشق، لمراقبة توسع الفاطميين في فلسطين، وهذا خلق جوّاً من التوتر في الجيش الإسلامي، وأضاف إلى هذا؛ فإن جناح الدولة حسين بن ملاعب أمير حمص، ظل يشعر بقلق دائم، والخوف من انتقام يوســف بن أبق أميــر الرَّحبة ومَنْبِج، الذي كان علـــى اتفاق مع رضـــوان، فاعتبر جناح الدولة وجوده في الجيش الإســـلامي؛ عداءً لرضوان وحلفائه، مما انعكس سلبياً على معنويات الجيش بأكمله.

ثم زاد الطينة بلة، وظهرت فتنة عنصرية في الجيش الإسلامي، حيث نشأ خـــلاف بين أتراك كربوغا قائد الجيوش وأميــر الموصل من ناحية، والعرب بزعامـــة أمير اســمه وثـــاب بن محمود المرداســـي من جهة أخــرى، وزكَّاها رضوان من بعيدٍ برسائله المحفزة للتركمان ضد العرب[188].

قام الصليبيون بتشكيل ست فرق داخل أنطاكية، ضمت الفرقة الأولى هيو أوف نورمانـــدي والفرنســيين وكونت الفلاندر؛ بينما تألفــت الفرقة الثانية من

الدوق جودفري وقواته، والفرقة الثالثة من روبرت النورماندي ورجاله، بينما ضمت الفرقة الرابعة أدهيمار أسقف لي بويه الذي كان يحمل الحربة[189]، وبصحبته قواته، وبقي ريموند الصانجيلي في المؤخرة داخل أنطاكية لحماية الجبل خشية قيام الأتراك الموجودين بالقلعة بالهجوم على المدينة، وضمت الفرقة الخامسة تانكريد وقواته، وضمت الفرقة السادسة بوهيموند ورجاله[190]، ودل هذا على حسن تنظيم الجيش الصليبي مقارنة بالمسلمين.

بدأ الصليبيون صبيحة يوم الاثنين 25 رجب 491هـ / 28 من يونيو 1098م، في الخروج من المدينة فرقة تلو الأخرى للقتال، وأشار المسلمون على كربوغا، أن يبدأ في قتالهم قبل أن يكتمل خروجهم، إذ كانوا يخرجون في جماعات صغيرة، غير أنه رفض وأصرَّ على اكتمال خروجهم، ثم يبدأ بقتالهم، يقول بعض المؤرخين: إن هذا ضيَّع عليه فرصة قتالهم منفردين، وكان خطأ كربوغا القاتل؛ هو عدم أخذه بنصيحة قائده وثاب بن محمود، بأن ينقض على الصليبيين بمجرد خروجهم من أنطاكية[191]، ولكن يبدو أنه كان يريد خروجهم بالكامل، حتى لا يبقى أحد منهم بداخل المدينة متحصناً، فخشي إن قاتل الجماعات الصغيرة؛ التي تخرج أن يمتنع بقية الجيش من الخروج، ومن الواضح أن كربوغا كانت تملؤه الثقة بالنفس، والاعتزاز بالأعداد التي معه، وأغرته حالة البؤس التي كانت عليها الجيوش الصليبية، بعد الحصار الطويل، وأيضاً طلبهم منه أن يرفع الحصار، كل ذلك أدى إلى تركه لهم حتى اكتمل عددهم، ورتبوا صفوفهم تحت قيادة كل زعمائهم[192].

دارت معركة شرسة أمام أسوار أنطاكية، وكانت الغلبة في البداية للمسلمين، لكنَّ الصليبيين كانوا يقاتلون قتال حياة أو موت، وعلى العكس كان قادة المسلمين؛ يقاتلون للحفاظ على ملكهم وثرواتهم، وكان من أوائل الذين

فروا التركمان[193]، بمن فيهم دقاق ملك دمشق، في حين ظل سكمان بن أرتق، وجناح الدولة حسين آخر من انهزم من الأمراء، ثم فرَّ كربوغا في النهاية، وأسرع المسلمون في كل اتجاه، وكانت الأوامر من قادة الصليبيين؛ ألا يلتفت الجيش إلى الأسلاب والغنائم، وإنما يتتبعون المسلمين، وهكذا تمت مطاردة المسلمين حتى حصن حارم، وشارك معهم في تلك المطاردة؛ أهل المنطقة من السريان والأرمن، مما أكد دور المسيحيين الشرقيين في دعم المركز الصليبي[194]، وقُتل فيها عدد كبير من المسلمين[195]، وواصل كربوغا فراره إلى الموصل، وكذلك عاد دقاق إلى دمشق[196]، وبذلك لم يحقق الصليبيون انتصاراً على سلاجقة الروم فقط، وإنما أيضاً على سلاجقة الشام وفارس[197].

عاد الصليبيون إلى أنطاكية فرحين بالنصر، وعندما شاهد الأمير أحمد بن مروان متولي أمر القلعة هزيمة كربوغا وفراره من الميدان، قام بتسليم القلعة لبوهيموند، ورفع علمه فوق القلعة[198].

يمثل حصار أنطاكية Antioch إحدى أهم الحلقات المهمة في الصراع الذي دار بين الجيوش الإسلامية وجيوش الصليبيين في تلك المرحلة الباكرة، والذي استمر قرابة ثمانية أشهر، من يوم الأربعاء 12 ذو القعدة 490هـ / 21 أكتوبر 1097م، وحتى سقوط المدينة يوم الخميس 29 جمادى الآخرة 491هـ / 3 يونيو 1098م بعد صمودها لمدة 226 يوماً.

بعد أن انتهينا من حصار أنطاكية، سنقوم بدارسة الأسباب التي أدت إلى سقوط المدينة في أيدي الصليبيين، وكذلك النتائج المترتبة على هذا السقوط.

يمكن إجمال عوامل وأسباب سقوط أنطاكية في أيدي الصليبيين على النحو التالي:

أولاً: إن السـبب الأكبر فـي النجاح الذي حققه الصليبيـون، لم يرجع إلى قوتهـم أو كثـرة عددهم، أو ما تلقوه من مسـاعدات من الدولـة البيزنطية، أو المسـاعدات التـي كانت تصلهم مـن الغرب الأوروبي، بل يرجع أساسـاً إلى تفرق المسـلمين، من الناحيتين السياسية والدينية، لأن القوات الصليبية عندما تقدمت إلى الشرق الإسلامي، لم تصادف قوات إسلامية متحدة، وإنما صادفت قـوى متنازعة، فالتشرذم السياسـي في بلاد الشام، عند نهايـة القرن الحادي عشر، هو العامل الرئيسي وراء ذلك.

ثانياً: ضعف الوازع الديني عند الكثير من قادة المسلمين، قبل وأثناء الغزو الصليبـي، وغياب التوجُّه الإسـلامي، الذين خافوا علـى مناصبهم وفضلوها على مواجهة الصليبيين.

ثالثاً: الصراعات المسـتحكمة بين قادة المسلمين، وتفرُّق كلمتهم، والنزاع الدائر بينهم على معظم الجبهات، وعدم اكتراث المسـلمين في الشام والعراق ومصر بالحدث، وترك سـلاجقة آسـيا الصغرى؛ يواجهـون الأمر بمفردهم، وهذا كان له المردود السلبي على الجميع.

رابعاً: غياب الاستعداد العسكري المناسب، حيث كانت مخابرات السلاجقة ضعيفة، لم تدرك كل هذه التحركات الصليبية؛ إلا بعد فوات الأوان، بينما بذل الصليبيون والبيزنطيون، الجهد كله في الإعداد لهذا اليوم.

خامسـاً: تأخر كربوغـا في الهجوم علـى الصليبيين، وعلينـا عدم إغفال إمكانات الصليبيين العسكرية.

عندما نتناول نتائج سقوط أنطاكية في أيدي الصليبيين نجدها متعددة منها:

أولاً: أصبح الطريق إلى بيت المقدس مفتوحاً أمام الصليبيين، بانتصار على سلاجقة فارس والشام، لأن أنطاكية تعتبر مفتاح بلاد الشام.

ثانياً: قيام إمارة أنطاكية الصليبية، وهي ثاني إمارة صليبية في الشرق الإسلامي بعد إمارة الرها، ويلاحظ أنها استمرت تاريخياً حتى عام 666هـ / 1268م، عندما تمكن المماليك بقيادة الظاهر بيبرس من إسقاطها.

ثالثاً: لا نغفل وجود صلة مشتركة بين الإمارات الصليبية مثل أنطاكية والرها، ثم طرابلس ومملكة بيت المقدس، على نحو ساعد على تمزيق وحدة بلاد الشام السياسية.

رابعاً: صار جزء من طريق الحرير الدولي العابر للقارات في أيدي الصليبيين، على نحو خنق الاقتصاد الإسلامي في شمالي بلاد الشام.

خامساً: صار وجود تلك الإمارة الصليبية، تهديداً مباشراً لحلب حاضرة شمالي بلاد الشام، وأنفق المسلمون الأرواح والأموال والجهد، في سبيل مواجهة ذلك الكيان الغازي الدخيل.

ذلك عرض عن حصار الصليبيين لأنطاكية، أما الفصل التالي فيتناول حصار الصليبيين لبيت المقدس.

هوامش الفصل الأول:

1 – أوربان الثاني: هو أودو دي لاجني، وكان من رهبان دير كلوني، خلف البابا فيكتور الثالث، كان صديقاً وتلميذاً لجريجوري السابع حامل لواء حركة الإصلاح الكلونيه، وقد نازع كليمنت الثالث على البابوية إلى أن انفرد بها من عام 1088 – 1099م، وهو الذي أطلق جماح الحركة الصليبية، الشارتري، فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة إلى القدس، ترجمة زياد العسلي، ط: الأولى، عمان: الأردن، دار الشروق، 1990م، ص87، حاشية؛ بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ترجمة: حسين محمد عطية، ط: الأولى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية: مصر، 1998م، ص65.

2 – كليرمونت: هي من المدن الفرنسية الواقعة في إقليم أوفرين جنوبي فرنسا، وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، 1/186.

3 – للمزيد عن خطاب البابا أوربان الثاني، انظر: عوض، محمد مؤنس، السيد محمود، هنادي، خطاب البابا أوربان الثاني في كليرمونت 27 نوفمبر 1095م، دار الآداب، القاهرة: مصر، 2019م.

4 – الجنابي، طلب صبار، إمارة أنطاكية، دراسة في علاقتها السياسية بالقوى الإسلامية، دمشق: سوريا، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، 2013م، ص79.

5 – تجدر الإشارة إلى أن مصطلح (الحركة الصليبية) لم يستخدم من قبل معاصري تلك الحروب، فقد أطلق عليهم في العصور الوسطى تسميات أخرى، مثل الارتحال، والحملة، والتجوال، والطريق إلى الأراضي المقدسة، السير على درب الرب، إلا حين استخدمه المؤرخ الفرنسي لويس ممبور، مسمياً بحثه، تاريخ الحروب الصليبية ذلك عام 1086هـ / 1675م، زابوروف، ميخائيل، الصليبيون في الشرق، ص13 – 14.

6 – ألكسيوس كومنين، نجح في الوصول إلى العرش بعد سلسلة من الفتن والمؤامرات

الداخلية، الحدم، بشير، مواقف بعض القوى الإسلامية المساندة للغزو الصليبي في بلاد الشام ومصر، ص44، حاشية 2.

7 – عاشور، سعيد عبد الفتاح، الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد الإسلامي في العصور الوسطى، ط: الخامسة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة: مصر، 1999م، 1/134. رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 1/188.

8 – أطلق المسلمون عليهم اسم «الفرنج» بدل الصليبيين، (وهذا يعني الفرنسيين، فالقسم الأعظم من المساهمين في إلحملة الصليبية الأولى فرنسيو الأصل)، ماير، هانس أبراهارد، تاريخ الحروب الصليبية، ص86.

9 – الحملة الشعبية، فقد ارتبطت باسم بطرس الناسك، إلى جانب زعيم آخر يدعى والتر المفلس، وبحلول ربيع (1096م / 489هـ)، عبرت هذه الحلمة المجر إلى أراضي الدولة البيزنطية، وفي الطريق نسيت تلك الجموع، أنهم يخترقون بلاداً مسيحية، فأخذوا ينهبون ويسلبون ويعتدون على الأهالي الآمنين، ومع ذلك في بادئ الأمر رحب الحكام البيزنطيون؛ في البلقان بتلك الجموع الصليبية، رغم مظهرهم الرث الذي يدل على سوء تنظيمها وجهل أفرادها بأبسط مبادئ القتال، الزبدة، عبلة المهتدي، صلاح الدين وتحرير القدس، ط: الأولى، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان: الأردن، 1422هـ / 2004م، ص28، وهذا هو الواقع الذي نعيشه الآن، حيث إن معظم الجماعات الإرهابية تتكون من عامة الناس، من البسطاء والمغلوب على أمرهم، والمغسول أدمغتهم بأفكار متطرفة.

10 – بطرس الناسك داعية الحملة الصليبية الأولى، ولد عام 442هـ / 1050م، وتوفي عام 509هـ / 1115م، يمشي حافي القدمين، مرتدياً ملابس رثة، وكان راهباً هجر الدير بتكليف من البابا؛ لكي يقوم بالدعوة إلى الحملة الصليبية، فطاف بمختلف أقاليم فرنسا وأقطار أوروبا، بهيئته المزرية، داعياً إلى حملة البابا، كان يسحر ألباب الناس، بفصاحته حتى تجمع حوله أعداد هائلة من الأتباع، بلغوا خمسة عشر ألفاً، منهم فلاحون وأهل مدن، وفئات من صغار النبلاء، وبعض المجرمين وقطاع الطرق، ولم يكن يجمع هؤلاء الشراذم إلا الحماسة والرغبة في قتال المسلمين، والاستيلاء على الأرض، اشتهر بكنية «الناسك» بسبب غطاء الرأس الذي اعتاد أن يرتديه، للمزيد عنه، انظر: بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص67؛ ريموند اجيل، تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، ترجمة: حسين محمد عطية، ط: الأولى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية: مصر، 1990م، ص83

– 83؛ رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 1/198؛ باركر، إرنست، الحروب الصليبية، ص23؛ تمام، أحمد تمام، الحروب الصليبية، حملة الرعاع، موقع أرشيف إسلام أون لاين، www.archive.islamonline.net.

11 – وكان البابا قد حدد موعداً لإطلاق الحملة، ولكن بعض المتحمسين لم ينتظروا ذلك الموعد، فساروا حتى وصلوا إلى بلاد السلاجقة، فسحقهم السلاجقة هناك، وسميت تلك الحملة حملة الشعوب، الحدم، بشير، مواقف بعض القوى الإسلامية المساندة للغزو الصليبي في بلاد الشام ومصر، ص49، حاشية 2؛ رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 1/188.

12 – بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص62.

13 – للمزيد عن حملة الشعوب، انظر: بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص62 – 64؛ قاسم، قاسم عبده، ماهية الحروب الصليبية، الأيديولوجية – الدوافع – النتائج، ط: الثانية، ذات السلاسل للطباعة والنشر والتوزيع، الشامية: الكويت، 1993م، ص117 – 120.

14 – رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 1/241.

15 – أحد قادة الحملة الصليبية الأولى (1096 – 1099م) وهو الحاكم الصليبي الأول لبيت المقدس (1099 – 1100م)، ولد عام 452هـ / 1060م، وهو الابن الثاني لإيوستاس الثاني كونت بولونيا، وإيدا أوف بويون، ابنة جوفري الثاني دوق اللورين، في عهده تمكن الصليبيون من إلحاق الهزيمة بالفاطميين في معركة عسقلان في 22 رمضان 492هـ / 12 أغسطس 1099م، للمزيد انظر: بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص68؛ رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 1/245، 246؛ عوض، محمد مؤنس، معجم أعلام عصر الحروب الصليبية، ص388 – 389.

16 – شارك في الحملة الصليبية الأولى (1096 – 1099م)، ثم تولى كونتية الرها (1097 – 1100م)، وهو الملك الأول لمملكة بيت المقدس الصليبية (1100 – 1118م)، ولد ما بين عامي 1061م، 1070م، وهو الابن الثالث ليوستاس الثاني كونت بولون، وإيدا أوف بويون، ابنة جوفري الثاني دوق لوثرنجيا العليا والسفلى، وعندما قرر أخوه جودفري دي بويون الاشتراك في الحروب الصليبية؛ صاحبه بلدوين وزوجته، وعندما توفي شقيقه جودفري دي بويون الحاكم الصليبي الأول لبيت المقدس اتفق الفرسان على استدعائه من الرها،

وتم تتويجه ملكاً على مملكة بيت المقدس، عشية يوم عيد الميلاد، في بيت لحم عام 493هـ / 1100م، وقد سعى إلى إسقاط مدن الساحل الشمالي في قبضة الصليبيين، توفي في 1 ذو الحجة 511هـ / 26 مارس 1118م ودفن بجوار أخوه جودفري دي بويون في كنيسة الضريح المقدس، للمزيد انظر: بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص68؛ رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 1/246 – 247؛ عوض، محمد مؤنس، معجم أعلام عصر الحروب الصليبية، ص362 – 364.

17 – روبرت النورماندي: كان روبرت دوق نورمانديا الابن الأكبر لوليم الفاتح، ولد تقريباً عام 446هـ / 1054م، كان أخوه الأصغر ويليام روفوس ملكاً لإنجلترا، ولقد كانت مشاركته في الحروب الصليبية مخرجاً له من مصاعبه التي كانت قائمة مع عائلته، وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، 1/225، حاشية 2.

18 – أحد قادة الحملة الصليبية الأولى (1096 – 1099م)، وكان أول من موطنه، هو الابن الأصغر لهنري الأول ملك فرنسا، والأخ الأصغر لملك فرنسا فيليب الأول، توفي في طرسوس بتركيا عام 494هـ / 1101م، بعد إصابته في معركة هرقلية الثانية، للمزيد انظر: ريموند اجيل، تاريخ الفرنجة، ص149؛ بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص84؛ رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 1/242؛ عوض، محمد مؤنس، معجم أعلام عصر الحروب الصليبية، ص456.

19 – ريموند أوف صنجيل: أحد كبار قادة الحملة الصليبية الأولى (1096 – 1099م)، وكان القائد الأكثر ثراءً، هو كونت تولوز وإمارة طرابلس الصليبية فيما بين عامي (1102م، 1105م)، ولد عام 435هـ / 1043م، وهو الابن الأصغر لريموند الثالث كونت تولوز، وقع خلاف بينه وبين بوهيموند عام 491هـ / 1098م، بعد أن استولى على عدة مناطق في وادي نهر العاصي، توفي في عام 498هـ / 1105م في طرابلس، للمزيد انظر: بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص83؛ وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، 1/217، حاشية 1؛ رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 1/264 – 268؛ عوض، محمد مؤنس، معجم أعلام عصر الحروب الصليبية، ص405.

20 – هو قائد الفرقة النورمانية الإيطالية في الحملة الصليبية الأولى (1096 – 1099م)، وفيما بعد أصبح أميراً لأنطاكية فيما بين عامي (1098م، 1111م)، تم أسره من جانب الدانشمنديين، ما بين عامي (1101، 1103م)، وحكم ابن أخته تانكريد في غيابه، وتم دفع

فدية مقدارها 100.000 بيزنت من جانب الملك بلدوين الأول والبطريرك الأنطاكي لإطلاق سراحه، توفي عام 504هـ / 1111م، للمزيد انظر: بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص91؛ ريمونداجيل، تاريخ الفرنجة، ص73، حاشية 5؛ رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 1/256، 258.

21 – أمير الجليل الصليبي (1099م – 1101م)، وحاكم إمارة أنطاكية (1101م – 1103م)، و(1104م – 1112م) ولد نحو عام 469هـ / 1076م في جنوب إيطاليا التحق عام 1096م بخاله بوهيموند في الحملة الصليبية الأولى (1096 – 1099م)، وكان له دور بارز في حصار أنطاكية وغزوها (1097م – 1098م)، شارك في حصار بيت المقدس، تم تعيينه حاكماً لأنطاكية عام 494هـ / 1101م بعد أسر خاله بوهيموند، توفي عام 505هـ / 1112م عن عمر 36 عاماً، للمزيد انظر: بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص94؛ عوض، محمد مؤنس، معجم أعلام عصر الحروب الصليبية، ص382 – 383.

22 – رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 1/241 – 248؛ الزيدي، مفيد، تاريخ الحروب الصليبية، ط: الأولى، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان: الأردن، 2004م، ص62؛ الحدم، بشير، مواقف بعض القوى الإسلامية المساندة للغزو الصليبي في بلاد الشام ومصر، ص49، حاشية 2.

23 – التركبولية: مرتزقة بيزنطيون، وهم فرسان استخدمهم البيزنطيون في جيوشهم، والتركيلي كلمة يونانية معناه أبناء أو سلالة الترك، وينحدر أفرادها من أب تركي أو عربي وأم يونانية، للمزيد انظر: ريمونداجيل، تاريخ الفرنجة، ص98؛ بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص87.

24 – البجناكية: وعرفوا أيضاً باسم البتشنجز، مرتزقة استخدمهم البيزنطيون في جيوشهم، استقروا بجوار نهري الدانوب والدرن، للمزيد عنهم انظر: بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص87 – 88.

25 – للمزيد عن الاتفاقية، انظر: بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص75 – 76؛ ريمونداجيل، تاريخ الفرنجة، ص71 – 76.

26 – الزبدة، عبلة، صلاح الدين وتحرير القدس، ص21.

27 – ملكشاه: هو أبو الفتح جلال الدولة معز الدين ملكشاه ابن ألب ارسلان، ولد سنة 447هـ / 1055م، وهو السلطان الكبير الثالث لدولة السلاجقة (463 – 485هـ / 1072 –

1092م)، وكان ملكشاه يعرف بالسلطان العادل، وقد اهتم بأمور الدولة وعمارتها وعمل على تحصين مدنها، كما أنشأ الرباطات، وعمر طرق القوافل التجارية، توفي سنة 485هـ / 1092م، ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، 5/283؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، 19/ 55 – 54.

28 – الأتابك: لفظ تركي مكون من (أتا) أي الأب المربي، و(بك) أي الأمير، ومعنى ذلك أنه مربي الأمير أو الملك، وكان آل سلجوق إذا امتاز أحد قادتهم وأرادوا تشريفه أضافوا عليه هذا اللقب تكريماً له، الزبدة، عبلة، صلاح الدين وتحرير القدس، ص23، حاشية 1.

29 – رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 1/283 – 284.

30 – هو عز الدين قلج أرسلان الأول بن سليمان الأول ابن قتلمش مؤسس سلطنة السلاجقة الروم في غربي الأناضول، ويعتبر الحاكم الثالث لسلاجقة الروم، وعندما توفي والده سليمان في معركة في شيزر في بلاد الشام سنة 1086م أثناء محاربته للسلطان ملكشاه، وأخيه تتش، وقع في الأسر، وأمضى عدة أعوام في الأسر في بغداد، وتم إطلاق سراحه بعد وفاة ملكشاه، وقد قضت قواته عام 489هـ / 1096م على قوات بطرس الناسك، خلال أحداث ما عرف (بالحملة الشعبية)، فقد عاصمته نيقية خلال الحملة الصليبية الأولى، وانتقل إلى مدينة قونية، وقتل في معركة وقعت بينه وبين قوات محمود الأول عند نهر الخابور في 9 شوال 500هـ / 3 يونيو 1107م، بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص127؛ عوض، محمد مؤنس، معجم أعلام عصر الحروب الصليبية، ص116.

31 – نيقية هي مدينة إغريقية قديمة تقع على ساحل الأناضول الغربي عند بحر مرمرة، ويسميها البعض أنيقية وهي من أعمال إسطنبول، وهي المدينة التي اجتمع فيها آباء الملة المسيحية وكانوا ثلاثمائة وثمانية عشر أباً، ويزعمون أن المسيح كان معهم في هذا المجمع، وهو أول المجامع لهذه الملة، وهي محصنة تحصيناً قوياً منذ القرن الرابع، ويبلغ طول أسوارها نحو أربعة أميال، ويبلغ عدد أبراجها مائتين وأربعين برجاً، للمزيد انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 4/266؛ بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص71؛ ريموندداجيل، تاريخ الفرنجة، ص77 – 81؛ رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 1/284.

32 – بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص110.

33 – مجهول، أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ترجمة: حسن حبشي، د.ط، دار الفكر

العربي، القاهرة: مصر، 1958م، ص37؛ بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص121 – 122.

34 – للمزيد عن حصار نيقية، انظر: مجهول، أعمال الفرنجة، ص37؛ ريموندا جيل، تاريخ الفرنجة، ص77 – 78؛ بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص110 – 115؛ رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 1/284، 290؛ باركر، إرنست، الحروب الصليبية، ص33.

35 – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 8/416، ريموندا جيل، تاريخ الفرنجة، ص75، حاشية 10؛ بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص80.

36 – ريموندا جيل، تاريخ الفرنجة، ص71؛ بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص80.

37 – يقول ريموندا جيل: «بأن الكونت ريموند الصانجيلي كان دائم التفكير في الانتقام من الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنين بسبب المعاملة الظالمة التي لقيها هو ورجاله، وسعى إلى محو عار هذه الفضيحة»، تاريخ الفرنجة، ص71.

38 – ريموندا جيل، تاريخ الفرنجة، ص75، حاشية 10.

39 – رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 1/251 – 253؛ هولت، ب. م. هولت، عصر الحروب الصليبية، تاريخ الشرق الأدنى من القرن الحادي عشر حتى عام 1517م، ترجمة وتعليق: عادل إسماعيل هلال، دمنهور: مصر، المعارف للنشر والتوزيع 2001م، ص52.

40 – يقول ريموندا جيل: «إن هذا تصرف غير حكيم، حيث تعرض جيشه لهجوم من السلاجقة، مما أجبر على استدعاء مساعدة الكونت ريموند الذي كان على بعد ميلين منه»، تاريخ الفرنجة، ص79.

41 – روبرت الثاني أوف فلاندرز: هو كونت فلاندرز فيما بين عامي (456 – 504هـ / 1093 – 1111م)، وهو أحد قادة الحملة الصليبية الأولى فيما بين عامي (459 – 492هـ / 1096 – 1099م)، وقد تولى قيادة جيوش الفرسان التي تجمعت من مناطق الشمال الفرنسي، ولد في الربع الثالث من القرن الحادي عشر الميلادي، ويعد الابن الأكبر لروبرت الأول، وكان له دور في الهجوم على أنطاكية عام 491هـ / 1098م، وكذلك كان له دور في معركة عسقلان ضد الفاطميين عام 492هـ / 1099م توفي عام 04هـ / 1111م في فرنسا، بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص84؛ وليم الصوري، تاريخ الحروب

الصليبية، 1/216، حاشية 1؛ عوض، محمد مؤنس، معجم أعلام عصر الحروب الصليبية، ص407 – 408.

42 – بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص112؛ رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 1/293 – 294.

43 – الدانشمنديون هي عائلة تركمانية يرجع تأسيسهم إلى دانشمند غازي، حكمت في المناطق الشمالية والشرقية للأناضول في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلادي، وتمركزوا بشكل أساسي حول سيفاس وتوكات ونيكسار، ثم امتدوا غرباً حتى وصلوا أنقرة وكاستامونو وجنوباً حتى ملطية، وقد كان الدانشمنديون في تنافس مع سلاجقة الروم والذين سيطروا على أراضٍ كثيرة كانت تحيط بهم، كما قاموا بحروب واسعة ضد الصليبيين، للمزيد عن الدانشمنديون انظر: المّحيميد، علي بن صالح، الدانشمنديون وجهادهم في بلاد الأناضول، ط: الأولى، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية: مصر، 1414هـ – 1994م، صفحات متفرقة.

44 – استهدفت خطة قلج أرسلان بعد معركة دوريليوم؛ سياسة الأرض المحروقة، حتى لا يستفيد العدو منها، والانسحاب إلى الداخل وإخلاء المدن أمام الصليبيين، فوجدوا قونية خالية من سكانها ومن الزاد، مجهول، أعمال الفرنجة، ص44؛ بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص115 – 128.

45 – مجهول، أعمال الفرنجة، ص43 – 44.

46 – مجهول، أعمال الفرنجة، ص43؛ رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 1/298.

47 – قيصرية: أو قيسارية مدينة عظيمة في بلاد الروم وهي كرسيّ ملك بني سلجوق ملوك الروم أولاد قلج أرسلان، وبها موضع يقولون إنه حبس محمد بن الحنفية ابن علي بن أبي طالب، وفيه الحمّام الذي ذكروا؛ أن بليناس الحكيم عمله للملك قيصر يحمى بسراج، حاصرها معاوية سبع سنين إلا أشهراً، وقاتل الروم حتى فتحها، بينها وبين أنطاكية (300 كم) تقريباً، وبين حلب (350 كم)، ويلاحظ أن هناك مدينة على ساحل فلسطين تسمى قيسارية، ياقوت الحموي، معجم البلدان، 4/421.

48 – الرُّها: مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام، جنوب شرقي تركيا، وتسمى حالياً أورفا Orpha، سميت باسم الذي استحدثها، وهو الرها بن البلندي بن مالك ابن دعر، وقال قوم: إنّها سمّيت بالرّها ابن الروم بن لنطي بن سام بن نوح، عليه السلام، اسمها بالرومية

أذاســا، بنيت في الســنة السادسة من موت الإســكندر، بناها الملك سلوقس، وكانت مقدسة لدى الصليبيين لوجود منديل الســيد المســيح في كنيســتها، ياقوت الحموي، معجم البلدان، 3/106، للمزيد عن إمارة الرها الصليبية، انظر: الجنزوري، علية عبد السميع، إمارة الرها الصليبية، ط: الأولى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة: مصر، 2001م، الرويضي، محمــود محمد فالح، إمارة الرهــا الصليبيــة (1097م – 1155م)، الجامعة الأردنية، عمان: الأردن، 1991م.

49 – بطــرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص117 – 118؛ باركر، إرنســت، الحروب الصليبية، ص34،33؛ زابوروف، ميخائيل، الصليبيون في الشرق، ص83 – 84، انظر: خريطة رقم (2) مسار الحملة الصليبية الأولى سنة 491 – 492هـ / 1097 – 1099م.

50 – ماير، هانس أبراهارد، تاريخ الحروب الصليبية، ص86.

51 – تتش: هو أبو الســعيد تتش بن ألب ارســلان؛ ســيره أخوه السلطان ملكشاه إلى الشام وأمــره بفتحها من الفاطميين، جرى بينه وبين أخيه بركياروق حروب، وقتل في المعركة التي دارت بينهما قرب الري عام 488هـ / 1095م، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 8/390.

52 – ماير، هانس أبراهارد، تاريخ الحروب الصليبية، ص86.

53 – نقلي، آســيا ســليمان، دور الفقهاء والعلماء المســلمين في الشرق الأدنى في الجهاد ضد الصليبيين خلال الحركة الصليبية، ط: الأولى، مكتبة العبيكان، الرياض: الســعودية، 2002م، ص243.

54 – رضوان بن تتش: هو الابن الأكبر للملك الســلجوقي تتش، ولد عام 473هـ / 1081م، ولقــب بتاج الملوك، تولى حكم حلب من ســنة (488 – 506هـــ / 1095 – 1113م)، دخل في صــراع عنيف مع أخيه دقاق صاحب دمشق، على نحــو أدخل بلاد الشام في حرب أهلية استمرت حتى عام 492هـ / 1099م، تخاذل عن تقديم المساعدة لأنطاكية حين حصارها من الصليبيين، عقد معاهدة مع إمارة أنطاكية الصليبية عام 496هـ / 1103م، بدفع مبلغ من المال سنوياً مقابل السلام، وكان رضوان يحب المال، ولا تسمح نفسه بإخراجه، وهو الذي أفسد أحوالــه وأضعــف أمره، مرض رضوان بحلب وتوفي فــي 28 جمادى الآخرة 507هـ / 10 ديسمبر 1113م، وخلفه في حكم حلب ابنه ألب أرسلان، هو أول من أظهر مذهب الباطنية في حلب والشام، ابن العديم، عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي، كمال الدين ابــن العديــم الحلبــي، (ت: 660هـ / 1262م)، زبــدة الحلب من تاريخ حلــب، تحقيق: خليل

المنصور، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت: لبنان، 1417هـ – 1996م، ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص230.

55 – دقاق بن تتش: هو ملك دمشق وشمال بلاد الشام خلال الأعوام من (488 – 497هـ / 1095 – 1104م) اتخذ لقب شمس الملوك، ولد نحو 476هـ / 1083م، وهو أحد خمسة أبناء تتش ابن أرسلان الحاكم السلجوقي لبلاد الشام، وعندما قتل تتش في فارس عام 488هـ/1095م، اندلع صراع بين ابنيه دقاق في دمشق، ورضوان في حلب، وامتدت دولته من الجولان حتى حمص، كما أنه حكم يافا وحيفا، ويذكر التاريخ عدم حرصه على جهاد الصليبيين منذ مقدمهم إلى أنطاكية، وكانت وفاته بدس السم له من قبل أمه عام 497هـ/1104م بالاشتراك مع أتابك طغتكين زوج أمه، ابن العديم، زبدة الحلب من تاريخ حلب، 1/229 – 231، عوض، محمد مؤنس، معجم أعلام عصر الحروب الصليبية، ص68 – 69.

56 – ابن القلانسي. ذيل تاريخ دمشق، ص215.

57 – أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن شاهنشاه، الملك المؤيد، صاحب حماة، (ت: 732هـ / 1332م)، المختصر في أخبار البشر، دار المعرفة، بيروت: لبنان، د.ت، 2/208.

58 – رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 1/336.

59 – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 8/416 – 417.

60 – مجهول، أعمال الفرنجة، ص50؛ عاشور، سعيد، الحركة الصليبية، 1/191.

61 – نقلي، آسيا، دور الفقهاء والعلماء المسلمين، ص242.

62 – بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص135؛ مجهول، أعمال الفرنجة، ص49؛ رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 1/338.

63 – بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص135؛ رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 1/338.

64 – وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، ص281.

65 – يقدر ريمونداجيل عددهم مائة ألف من الرجال المسلحين، ريمونداجيل، تاريخ الفرنجة، ص86.

66 – ريمونداجيل، تاريخ الفرنجة، ص86.

67 – ريمونداجيل، تاريخ الفرنجة، ص145؛ ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص218؛ ابن العديم، زبدة الحلب من تاريخ حلب، ص237؛ رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 1/338.

68 – تاريخ الفرنجة، ص145.

69 – بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص135؛ ماير، هانس أبراهارد، تاريخ الحروب الصليبية، ص87.

70 – الناصر، محمد حامد، الجهاد والتجديد في القرن السادس، ص97.

71 – بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص135.

72 – ريمونداجيل، تاريخ الفرنجة، ص86.

73 – العريني، السيد الباز، الشرق الأوسط والحروب الصليبية، القاهرة: مصر، 1383هـ – 1963م، 1/237؛ رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 1/342.

74 – بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص135.

75 – ريمونداجيل، تاريخ الفرنجة، ص85.

76 – ريمونداجيل، تاريخ الفرنجة، ص85.

77 – وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، ص280 – 281؛ ريمونداجيل، تاريخ الفرنجة، ص85.

78 – هو كونت بلوا وشارتر، وأحد قادة الحملة الصليبية الأولى (1096 – 1099م)، ولد نحو عام 436هـ / 1045م، تزوج أديلا، ابنة وليم الفاتح، وشقيقة روبرت النورماندي، وخلال حصار أنطاكية (1097م – 1098م)، وما صاحبه من ظروف قاسية على الصليبيين، هرب ستيفن وعاد أدراجه إلى فرنسا، متظاهراً بالمرض، على نحو جعله موضع هزلة، يجر أذيال العار، نظراً لحنثه بالأقسام التي قطعها على نفسه، ثم التحق بالحملة الصليبية ثانية عام 494هـ / 1101م من أجل استعادة سمعته، قتل في معركة عسقلان عام 495هـ / 1102م ضد الفاطميين، للمزيد انظر: بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص225 – 238؛ ريمونداجيل، تاريخ الفرنجة، ص141؛ عوض، محمد مؤنس، معجم أعلام عصر الحروب الصليبية، ص419.

79 – كان أدهيمار أسقفاً إصلاحياً لكنيسة لي بويه، وكان وثيق الصلة بالبابا أوربان الثاني، وكـان ذا تأثيـر قوي علـى الصليبيين، وقد عينه البابـا أوربان الثاني رئيسـاً دينياً للحملة الصليبيـة الأولى، إلى جانب رئيسـها العلمانـي ريموند كونت تولـوز، بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص83.

80 – رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 1/340 – 341.

81 – تاريخ الفرنجة، ص86.

82 – تاتيكيـوس: يعد من رجال الحرب البيزنطيين، وقد صاحب الجيوش الصليبية خلال الحملـة الصليبية الأولـى. لم يكن من أصل نبيل، بل انحدر مـن الطبقة الدنيا، عمل والده خادمـاً تركياً لدى الإمبراطـور كومنينوس، وقد عارض فكرة حصـار أنطاكية، بطرس توديبـود، تاريخ الرحلـة إلى بيت المقدس، ص156؛ عوض، محمـد مؤنس، معجم أعلام عصر الحروب الصليبية، ص574.

83 – ريمونداجيـل، تاريـخ الفرنجـة، ص86؛ بطـرس توديبود، تاريـخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص140.

84 – وهـي قلعـة حصينـة على بعد 16 ميلاً مـن أنطاكية من جهة الشـرق؛ وكانت تحت سيطرة السلاجقة، ولعبت دوراً مهماً أثناء حصار أنطاكية، ياقوت الحموي، معجم البلدان، 2/184.

85 – بطـرس توديبـود، تاريخ الرحلة إلى بيـت المقـدس، ص136؛ ريمونداجيل، تاريخ الفرنجة، ص86؛ مجهول، أعمال الفرنجة، ص51.

86 – بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص147.

87 – مدينة ساحلية تقع على بحر الأبيض عند مصب نهر العاصي غربي أنطاكية نحو 14 ميـلاً (10 كم)، ريمونداجيل، تاريخ الفرنجـة، ص94؛ بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص171.

88 – ريمونداجيل، تاريخ الفرنجة، ص87؛ رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 1/343.

89 – بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص136 – 137.

90 – الجنزوري، علية عبد السـميع، الحرب الصليبية، (المقدمات السياسية)، ط: الأولى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة: مصر، 1999م، ص269.

91 – بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص139؛ رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 1/346. زابوروف، ميخائيل، الصليبيون في الشرق، ص87.

92 – وليم النجار: كان من أقارب هيو فيرماندوا، وصحب جيش جودفري، بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص153.

93 – للمزيد عن ذلك، انظر: بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص139؛ مجهول، أعمال الفرنجة ص55؛ رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 1/347 – 348؛ عاشور، سعيد، الحركة الصليبية، 1/195.

94 – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص220.

95 – ريمونداجيل، تاريخ الفرنجة، ص90؛ عاشور، سعيد، الحركة الصليبية، 1/194 – 195؛ رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 1/350 – 351؛ زابوروف، ميخائيل، الصليبيون في الشرق، ص89.

96 – ريمونداجيل، تاريخ الفرنجة، ص92.

97 – رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 1/350 – 351.

98 – الجنزوري، علية، الحرب الصليبية، ص80.

99 – عاشور، سعيد، الحركة الصليبية، 1/195.

100 – عاشور، سعيد، الحركة الصليبية، 1/195؛ رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 1/351.

101 – الجنابي، طلب صبار، إمارة أنطاكية، ص108.

102 – زابوروف، ميخائيل، الصليبيون في الشرق، ص89.

103 – هناك رواية تقول: إن القائد البيزنطي تاتيكيوس؛ نفسه كان يميل إلى فكرة ضرورة سحب فصائله من أمام أنطاكية، نظراً لوضع الصليبيين الصعب، إن لم يكن الميئوس منه، وكذلك اقتنع نفسه أنه ليس بمقدوره فعلاً أن يؤثر بقواته القليلة في مجرى الأحداث، زابوروف، ميخائيل، الصليبيون في الشرق، ص89.

104 – ريمونداجيل، تاريخ الفرنجة، ص92؛ بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص140. رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 1/349.

105 – للمزيد عن هروبه، انظر: ريمونداجيل، تاريخ الفرنجة، ص98 – 99؛ بطرس

توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص140 – 156 – 157؛ رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 1/349. زابوروف، ميخائيل، الصليبيون في الشرق، ص89.

106 – عاشور، سعيد، الحركة الصليبية، 1/196.

107 – وصف المؤرخ الفرنسي رينيه غروسيه، الفاطميين بسبب موقفهم أثناء الحروب الصليبية، بأنهم «بيزنطيو الإسلام» بسبب وجود أوجه شبه عميقة بين الفاطميين والبيزنطيين آنذاك، فقد كان الفاطميون الشيعة يرفضون الخضوع للخلافة العباسية السنية، ويرون أنفسهم الشرعيين لرسالة الإسلام، وكان البيزنطيون الأرثوذكس، يرفضون الخضوع لسلطة بابا روما، ويرون أنفسهم الورثة الشرعيين للإمبراطورية الرومانية، وللعقيدة المسيحية، الشنقيطي، محمد بن مختار الشنقيطي، أثر الحروب الصليبية على العلاقات السنية الشيعية، ط: الأولى، بيروت: لبنان، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2016م، ص187.

108 – الخليفة المستعلي بالله بن المستنصر بالله، ولد عام 468هـ / 1074م، وتوفي عام 495هـ / 1101م، وعمره سبعة وعشرون عام، وكانت مدة خلافته سبع سنين وشهرين، ونقش خاتمه الإمام المستعلي بالله أمير المؤمنين، وقد وصفه ابن القلانسي بأنه كان حسن الطريقة، جميل السيرة في كافة الأجناد والعسكرية وسائر الرعية لازماً قصره كعادة أبيه المستنصر بالله منكفئاً بالأفضل سيف الاسلام ابن أمير الجيوش فيما يريده بأصالة رأيه وصواب تقديره وإمضائه، وقام في الأمر بعده ولده أبو علي المنصور بن المستعلي بالله، ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص228.

109 – رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 1/355 – 356؛ الأفضل بن بدر الجماليِّ: وزير فاطمي خلال الفترة ما بين عامي (487 – 516هـ / 1094 – 1122م)، من أصل أرميني، والده الوزير بدر الجمالي حاكم عكا، واجه الصليبيين في معركة عسقلان عام 492هـ / 1099م، حيث هزم، وكذلك مني بالهزيمة في معارك الرملة الثلاث، أعوام (494هـ / 1101م)، (495هـ / 1102م)، (498هـ / 1105م)، قام الخليفة الآمر الفاطمي بالتآمر على الأفضل بن بدر الجمالي، وتم اغتياله عام 516هـ / 1122م، عوض، محمد مؤنس، معجم أعلام عصر الحروب الصليبية، ص50.

110 – طقوش، محمد سهيل، تاريخ الفاطميين في شمال إفريقية ومصر وبلاد الشام، ط: الأولى، دار النفائس، بيروت: لبنان، 2014م، ص428.

111 – عاشور، سعيد، الحركة الصليبية، 1/199.

112 – ابن تغري بردي، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين (ت: 874هـ / 1469م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، قدم له وعلق عليه: محمد حسن شمس الدين، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت: لبنان، 1412هـ – 1992م، 5/147.

113 – نفس المصدر، 5/148.

114 – الكناني، مصطفى حسن محمد، المؤرخ الجنوي كفارو الكاسيكفلوني، ضمن كتاب ندوة التاريخ الإسلامي الوسيط، تحرير: قاسم عبده قاسم، ورأفت عبد الحميد، مج: الثالث، دار المعارف، القاهرة: مصر، 1985م، ص358 – 359؛ لمزيد من التفاصيل عن ذلك الاتفاق، انظر: العلاقات بين جنوة والشرق الأدنى الإسلامي (1171 – 1291م / 567 – 690هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية: مصر، 1981م، ص86 – 102.

115 – الكناني، مصطفى حسن محمد، المؤرخ الجنوي كفارو الكاسيكفلوني، ص360.

116 – رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 1/355 – 356.

117 – عاشور، سعيد، الحركة الصليبية، 1/198.

118 – وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، ص297؛ زابوروف، ميخائيل، الصليبيون في الشرق، ص88.

119 – نقلي، آسيا، دور الفقهاء والعلماء المسلمين، ص244.

120 – رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 1/337.

121 – جناح الدولة حسين بن ملاعب: أمير حمص، قام تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان بتوليه على حلب، وقد وصف بأنه عمل كأتابك لرضوان بن تتش، اغتيل عام 493هـ / 1100م على يد عناصر الإسماعيلية النزارية، بتحريض من رضوان صاحب حلب، ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، 230؛ عوض، محمد مؤنس، معجم أعلام عصر الحروب الصليبية، ص63.

122 – كربوغا: القائد التركي الذي تولى حكم الموصل بين عامي (473 – 495هـ / 1095 – 1102م)، توفي في أذربيجان عام 495هـ / 1102م، عوض، محمد مؤنس، معجم أعلام عصر الحروب الصليبية، ص120.

123 – بركياروق: هو من سلاطين سلاجقة فارس، حكم بين عامي (472 – 498هـ / 1094 – 1105م)، وهو الابن الأكبر للسلطان ملكشاه، وصل إلى السلطة عندما بلغ الثالثة عشرة من عمره، بعد هزيمة أخيه السلطان محمود الأول، تميز عهده بمواصلة الحروب الأهلية بين أبناء عمه وأخوته، على امتداد الدولة السلجوقية، توفي عام 498هـ / 1105م، عوض، محمد مؤنس، معجم أعلام عصر الحروب الصليبية، ص55.

124 – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص218 – 219؛ رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 1/337.

125 – الخليفة المستظهر بالله: هو أبو العباس أحمد المستظهر بالله بن المقتدي بأمر الله، والذي حكم من عام (487هـ – 512هـ / 1094م – 1118م)، وكان يبلغ من العمر عند ولايته الحكم ستة عشر عاماً.

126 – شَيْزَر: هي قرية سورية تتبع محافظة حماة على نهر العاصي. وكانت شيزر قديماً من المدن السورية المهمة وكان اسمها (سيزار)، وسميت في العهد السلوقي (لاريسا)، وهي قلعة تشتمل على كورة بالشام قرب المعرّة، بينها وبين حماة يوم، في وسطها نهر الأردن، قال البلاذري: سار أبو عبيدة من حماة؛ بعد أن فتحها صلحاً على الجزية إلى شيزر، فتلقاه أهلها وسألوه الصلح، على مثل صلح حماة ففعل، وذلك عام 17هـ / 638م، وينسب إلى شيزر جماعة، منهم الأمراء من بني منقذ وكانوا ملكوها، ومن أشهرهم أسامة بن منقذ، ياقوت الحموي، معجم البلدان، 3/383.

127 – بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص141، لم أجد في أي مصدر آخر عدد المسلمين غير هذا المصدر.

128 – ريموندا جيل، تاريخ الفرنجة، ص95، ويحدد ابن القلانسي عددهم بثلاثين ألف مقاتل، وأيده في ذلك ابن العديم، ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص219؛ ابن العديم، زبدة الحلب من تاريخ حلب، 2/131.

129 – عاشور، سعيد، الحركة الصليبية، 1 / 150 – 153؛ الناصر، محمد حامد، الجهاد والتجديد في القرن السادس، ص98.

130 – للمزيد عن هذه المعركة، انظر: ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص219؛ ابن العديم، زبدة الحلب من تاريخ حلب، 2/131؛ ريموندا جيل، تاريخ الفرنجة، ص90 – 91، بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص141 – 142؛ مجهول، أعمال الفرنجة، ص52.

131 – الكامل في التاريخ، 8/418.

132 – وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، ص283.

133 – ريمونداجيل، تاريخ الفرنجة، ص103 – 104، بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص141 – 142؛ مجهول، أعمال الفرنجة، ص57 – 58.

134 – يقول بطرس توديبود: «إن ياغي سيان وعد كربوغا بتسليمه أنطاكية فوراً، أو بمنحه ثروة عظيمة، إذا ما سارع بتقديم العون له»، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص185.

135 – يقدر بطرس توديبود، عددهم بنحو ثلاثمائة وخمسة وستين ألفاً، نعتقد أن هذه الأرقام مبالغ فيها وبعيدة عن الدقة، وذكر المؤلف المجهول أن الترك كانوا في عدد كثيف، بينما ذكر ريموندا جيل أن جيش كربوغا كان عظيماً، مجهول، أعمال الفرنجة، ص86؛ ريموندا جيل، تاريخ الفرنجة، ص145؛ بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص224.

136 – يقول بطرس توديبود: «كان معه أعداد لا تحصى من (الوثنيين) من كل الأطراف، وهم من الترك والعرب، والبيالصة، والأرمن، والأكراد، والفرس، والقوقازيين، إلى جانب شعوب كثيرة لا أستطيع تحديد أجناسها أو إحصائها»، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص185.

137 – ابن العديم، زبدة الحلب من تاريخ حلب، ص237؛ عاشور، سعيد، الحركة الصليبية، 1/201 – 202.

138 – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 8/417 – 418.

139 – رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 1/358.

140 – وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، 1/347؛ ابن العديم، زبدة الحلب من تاريخ حلب، ص239.

141 – وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، 1/335.

142 – الحدم، بشير، موقف القوى الإسلامية والمسيحية من الغزو الصليبي لأنطاكية، ص261.

143 – رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 1/358؛ الحدم، بشير، مواقف بعض القوى الإسلامية المساندة للغزو الصليبي في بلاد الشام ومصر، ص54.

144 – ذيل تاريخ دمشق، ص220.

145 – مجهول، أعمال الفرنجة، ص37؛ ريموندا جيل، تاريخ الفرنجة، ص119؛ رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 1/358.

146 – يقول بطرس توديبود: «إن فيروز تعهد لبوهيموند بتسليم ثلاثة من الأبراج التي تحت حراسته دون مقابل»، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص181،

147 – بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص181.

148 – بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص182 – 183؛ الجنابي، طلب صبار، إمارة أنطاكية، ص108، رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 1/360.

149 – كان من المعتاد أن يمر ثلاثة رجال أو أربعة حاملين المصابيح بحذاء الأسوار، لإيقاظ الحرس وتنبيههم، وكانت ساعة الصفر بعد مرور الرجال، ريموندا جيل، تاريخ الفرنجة، ص119.

150 – تاريخ الحروب الصليبية، ص328.

151 – نقلاً عن الجنابي، طلب صبار، إمارة أنطاكية، ص108.

152 – الكامل في التاريخ، 8/417.

153 – وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، ص328.

154 – ريموندا جيل، تاريخ الفرنجة، ص120؛ الناصر، الناصر، محمد حامد، الجهاد والتجديد في القرن السادس، ص98.

155 – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص220.

156 – الجنابي، طلب صبار، إمارة أنطاكية، ص109.

157 – نفس المرجع، نفس الصفحة.

158 – بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص184؛ زابوروف، ميخائيل، الصليبيون في الشرق، ص93.

159 – رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 1/362 – 363.

160 – عوض، محمد مؤنس، الحروب الصليبية، العلاقات بين الشرق والغرب، ط: الأولى، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة: مصر، 1999/2000م، ص80.

161 – الجنابي، طلب صبار، إمارة أنطاكية، ص109.

162 – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 8/417 – 418؛ ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص220.

163 – ريمونداجيل، تاريخ الفرنجة، ص120؛ بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص184؛ وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، ص331. رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 1/360.

164 – الكامل في التاريخ، 8/417؛ ذيل تاريخ دمشق، ص220.

165 – ذيل تاريخ دمشق، ص136.

166 – زبدة الحلب من تاريخ حلب، ص241.

167 – عاشور، سعيد، الحركة الصليبية،1/205 – 206.

168 – نفس المرجع، نفس الصفحة.

169 – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 8/420؛ عاشور، سعيد، الحركة الصليبية، 1/206.

170 – زبدة الحلب، ص240.

171 – ابن العديم، زبدة الحلب من تاريخ حلب، ص240، ريمونداجيل، تاريخ الفرنجة، ص120؛ عاشور، سعيد، الحركة الصليبية، 1/206 – 207.

172 – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 8/418؛ عاشور، سعيد، الحركة الصليبية، 1/206.

173 – عاشور، سعيد، الحركة الصليبية، 1/207 – 208.

174 – مجهول، أعمال الفرنجة، ص84؛ بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص223؛ عاشور، سعيد، الحركة الصليبية، 1/207 – 208.

175 – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 8/418.

176 – ريمونداجيل، تاريخ الفرنجة، ص143؛ بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص228.

177 – ريمونداجيل، تاريخ الفرنجة، ص141؛ بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت

المقدس، ص225؛ ماير، هانس أبراهارد، تاريخ الحروب الصليبية، ص89.

178 – بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص225، 238؛ ريموندداجيل، تاريخ الفرنجة، ص141.

179 – بطرس بارثلوميو: كاهن من جنوبي فرنسا عاصر الحملة الصليبية الأولى عام 491هـ/1098م أثناء حصار أنطاكية، عوض، محمد مؤنس، معجم أعلام عصر الحروب الصليبية، ص542.

180 – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 8/187؛ مجهول، أعمال الفرنجة، ص80؛ ريموندداجيل، تاريخ الفرنجة، ص127 – 128؛ بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص227.

181 – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 8/415؛ ريموندداجيل، تاريخ الفرنجة، ص132؛ ماير، هانس أبراهارد، تاريخ الحروب الصليبية، ص89 – 90.

182 – زابوروف، ميخائيل، الصليبيون في الشرق، ص95، وقد رفض المندوب البابوي الأسقف أدهيمار، الذي من المفروض أنه يمثل الجانب الروحي في الحملة الصليبية؛ أن يأخذ بمثل هذه الرواية، كما رفض الأخذ بها كل من تنكريد، ريموندداجيل، تاريخ الفرنجة، ص135 – 136

183 – ريموندداجيل، تاريخ الفرنجة، ص146؛ بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص229؛ زابوروف، ميخائيل، الصليبيون في الشرق، ص95؛ تجدر الإشارة إلى أن الكردينال بروسبيرو لامبرتيني الذي أشار فيما بعد، أن البابا بنديكتوس الرابع عشر (1740م – 1758م) قد أنكر رسمياً في القرن الثامن عشر صحة قصة الحربة المقدسة الأنطاكية، زابوروف، ميخائيل، الصليبيون في الشرق، ص107، حاشية 1.

184 – نقلي، آسيا، دور الفقهاء والعلماء المسلمين، ص243.

185 – نفس المرجع، نفس الصفحة.

186 – عاشور، سعيد، الحركة الصليبية، 1/207.

187 – ابن العديم، زبدة الحلب من تاريخ حلب، ص240.

188 – أبو الفداء، المختصر، 2/210 – 211؛ عاشور، سعيد، الحركة الصليبية، 1/209 – 210.

189 – يقــول ريمونداجيــل: أن جاســتون بيرن كــان يتقدمهم ويحمل الحربــة المزعومة، ريموناجيل، تاريخ الفرنجة، ص146.

190 – بطــرس توديبــود، تاريخ الرحلــة إلى بيت المقــدس، ص229؛ ريموناجيل، تاريخ الفرنجة، ص143.

191 – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 8/418 – 420؛ وقد ذكر ابن العديم: أن بعض الأمراء أشار على كربوغا ألا يمكّن الصليبيين من الخروج بأجمعهم، ويقتلوا أولاً فأولاً، فلم يعرج المسلمون على شيء من ذلك، لأنهم أيقنوا بالظفر بالصليبيين، وخرجوا بأجمعهم في خلق عظيم، ابن العديم، زبدة الحلب من تاريخ حلب، 241.

192 – عاشــور، ســعيد، الحركــة الصليبية، 1/210 – 211؛ ماير، هانــس أبراهارد، تاريخ الحروب الصليبية، ص90.

193 – ابن العديم، زبدة الحلب من تاريخ حلب، ص241.

194 – نافع، أميرة، المســيحيون المحليون في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية (1097 – 1291م/491 – 691ه)، عين للدراســات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة: مصر، 2016م، ص130.

195 – ريموناجيــل، تاريــخ الفرنجة، ص146؛ بطرس توديبود، تاريــخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص231.

196 – عاشــور، ســعيد، الحركة الصليبية، 1/211؛ ماير، هانس أبراهارد، تاريخ الحروب الصليبية، ص90.

197 – للمزيد عن المعركة بين كربوغا والصليبيين، انظر: خليل، عماد الدين، دراســات في تأريخ الموصل قوام الدولة أبو سعيد كربوغا، مجلة آداب الرافدين، الموصل: العراق، العــدد (5)، 1974م، ص151 – 176؛ الشيــخ، محمــد محمد مرســي، الجهــاد المقدس ضد الصليبييــن حتى ســقوط الرها (1097م – 1144م)، الإســكندرية: مصر، 1972م، ص139 – 150.

198 – مجهــول، أعمال الفرنجة، ص95؛ ريموناجيــل، تاريخ الفرنجة، ص151؛ بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص231 – 232.

الفصل الثاني:

حصار الصليبيين لبيت المقدس

(492هـ / 1099م)



سنتناول في هذا الفصل ثلاثة مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول، عن المقدمات السياسية، والعسكرية لدى المسلمين والصليبيين، منذ تحرك الصليبيين من أنطاكية بعد سقوطها بيدهم، وحتى وصولهم إلى أسوار بيت المقدس.

ويدرس المبحث الثاني أحداث هذا الحصار ومراحله، من يوم الثلاثاء 15 رجب – 22 شعبان 492هـ / 7 يونيو 1099م، وحتى سقوط المدينة يوم الجمعة 22 شعبان 492هـ / 15 يوليو 1099م، وما تخلل تلك الفترة من عمليات عسكرية، ومفاوضات سياسية، وموقف القوى المسيحية، وموقف القوى الإسلامية، ونتكلم عن الصعوبات التي واجهت الصليبيين والمسلمين.

وفي المبحث الثالث نقف على نتائج الحصار، وفي آخر الفصل نناقش أسباب سقوط بيت المقدس بيد الصليبيين.

المبحث الأول:

المقدمات السياسية والعسكرية للحصار

ظهرت فكرة فلسطين كهدف لحملة عسكرية نصرانية لأول مرة في مشروع البابا غريغوري السابع[1] Gregory VII (465 – 478هـ / 1073 – 1085م) عام 467هـ / 1074م، ولم يتحقق ذلك، نظراً لانشغاله بالصراع مع الإمبراطور الألماني هنري الرابع Henry IV (477 – 498هـ / 1084 – 1105م).

أخيراً نجح البابا أوربان الثاني في تجسيد الفكرة في كليرمونت بإرسال جيش مسيحي إلى الشرق، للاستيلاء على الأرض المقدسة[2]، على اعتبار أن فلسطين أرض ميراث مسيحي، فقد قال البابا «إن المرء إذا قرأ في الكتابات المقدسة والنبوءات، إن هذه الأرض كانت هي الميراث... وأرض الآباء التي يجب استردادها بالقوة المسلحة، أيها الجنود المسيحيون، يجب أن تدافعوا بالسلاح عن حرية أرض الآباء حقاً وعدلاً»[3].

لقد حمل خطاب البابا أوربان الثاني في كليرمونت 488هـ / 1095م، دعوة صريحة لحكام، وأمراء أوروبا المسيحية الإقطاعية لاحتلال فلسطين، للخروج من الأزمة والاقتصادية، والاجتماعية الخانقة بسبب النمو السكاني، ونقص الإنتاج الزراعي، ولقد عبر البابا أوربان في خطابه، عن أوضاع المجتمع الأوروبي بقوله: «إن هذه الأرض التي تعيشون عليها محاطة بالبحر من كل جانب، وتحوطها سلاسل الجبال، وتضيق بأعدادكم الكثيرة، وهي لا تفيض بالثروة الطائلة، وإن ما لا تكاد تحقق من الطعام ما يكفي زرعها فقط..... انطلقوا على طريق الضريح المقدس، أنقذوا تلك الأرض من ذلك الجنس المرعب واحكموها بأنفسكم»[4].

لذا انطلقت من أوروبا إلى بلاد الشام جموع صليبية ضخمة، عبرت البوسفور إلى الشاطئ الآسيوي في عام 489هـ / 1096م كما مر معنا في الفصل الأول[5].

حينما توجه الصليبيون نحو الشرق، كانت بيت المقدس تحت حكم الأراتقة[6] المسلمين، في ظل سيادة السلاجقة الأتراك، حيث كان السلطان ملكشاه؛ قد ولى الأمير أرتق بن أكسك على بيت المقدس عام 470هـ / 1076م، ومن ثم ولاه تتش صاحب دمشق على فلسطين كاملة، حتى وفاته عام 484هـ / 1091م، فخلفه ولداه الأميران سكمان وإيلغازي في حكم فلسطين[7].

استغلت الدولة الفاطمية فرصة انشغال الأتراك السلاجقة؛ بحرب الصليبيين في آسيا الصغرى Asia Minor، وضعف السلاجقة إثر انهزامهم أمام الصليبيين في أنطاكية، فخرج أمير الجيوش المصرية الوزير الأفضل بن بدر الجمالي (وكان الحاكم الفعلي لمصر)، على رأس جيش ضخم من مصر، نحو

بيت المقدس، في شعبان 491هـ / يوليو 1098م، وفيه آنذاك الأميران سكمان وإيلغازي ابنا أرتق، واعتقد الأراتقة بأن تحصينات بيت المقدس، والمقدرة الحربية لقبائلهم التركمانية ستمكنهم من الصمود؛ حتى تأتيهم النجدة من دقاق حاكم دمشق، وحاول الأفضل في البداية أن يتبع الأساليب السليمة، لتحقيق أغراضه، فراسلهما يلتمس منهما تسليم بيت المقدس إليه؛ من غير حرب، فلم يجيباه إلى ذلك، وعند ذاك بدأ بقتالهما، واستمر القتال والحصار أربعين يوماً، إلى أن استطاع الفاطميون تضييق الحصار على المدينة، وفتحت بالصلح يوم الخميس 25 رمضان 491هـ / 26 أغسطس 1098م، وأحسن الوزير الأفضل بن بدر الجماليّ إلى الأميرين سقمان وإيلغازي، وأطلقهما ومن معهما، وسار سقمان وإيلغازي ومن معهما في شوال عام 491هـ / نهاية أغسطس 1098م إلى الجزيرة الفراتية، وأسس إمارة لبني أرتق هناك، وعاد الأفضل إلى مصر، بعد أن جعل الأمير افتخار الدولة والياً على بيت المقدس(8).

أما الزعماء الصليبيون فعقدوا اجتماعاً مهماً، في مستهل شهر شعبان 491هـ / يوليو 1098م في كنيسة القديس بطرس بأنطاكية، حضره جميع زعمائهم، يقررون فيه مصيرهم ومصير أنطاكية، وكيف يحكمون ويقودون الناس، وكذلك مصير بيت المقدس(9)، ولا يخفى علينا أن الصليبيين عندئذ كانوا قد بلغوا درجة شديدة من الوهن والضعف، بعد ما لاقوه من مشاق، أثناء زحفهم في آسيا الصغرى، وما بذلوه من جهد وتضحيات أمام أنطاكية، إن طاقتهم الآن هزيلة عن بلوغ بيت المقدس، وخاصةً أنهم سيحاربون هناك جيشاً مستقرّاً، وهم لا غنى لهم عن الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنين في هذه المعركة القادمة، وهم في حاجة ماسة إلى إمدادات من الدولة البيزنطية، تعينهم على مواصلة الزحف على بيت المقدس، ومن ثَمَّ فهم سوف يطلبون

طلباً صريحاً، من الإمبراطور البيزنطي، أن يساندهم في هذا المشروع، لكن الإمبراطور البيزنطي لم يكن ليقبل بالمساعدة إلا إذا استرد أنطاكية، أي أحقية الدولة البيزنطية في تلك المدينة، وفقاً لاتفاقية القسطنطينية عام 490هـ / 1097م[10].

اتفق الزعماء الصليبيون بمن فيهم بوهيموند وريموند، على تسليم أنطاكية إلى الإمبراطور البيزنطي، بشرط أن يأتي بنفسه على رأس جيش كبير، يشاركهم في احتلال بيت المقدس، ولم يستطع بوهيموند أن يعترض في هذا التوقيت؛ لأنه كان يعلم أن قوتهم قاصرة عن إتمام هذه المهمة وهم في هذه الحالة الواهنة، وعلى ذلك فإذا جاء الإمبراطور البيزنطي، فسوف يساعدهم في تحقيق أحلامهم، وإذا لم يأتِ، لم يسلموا له أنطاكية، قرر الأمراء الصليبيون، إيفاد رسولين إلى الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنين، لدعوته للحضور لتسليم أنطاكية، وفقاً للاتفاقية المعقودة بين الطرفين، بشرط مساعدة الصليبيين في احتلال بيت المقدس، والحضور شخصياً على رأس حملة بيزنطية لهذا الغرض[11].

قرر الإمبراطور البيزنطي أن يتجاهل الرد على رسالة الصليبيين حتى يمر بعض الوقت، وأن يتريث في الأمور، ولا يرفضه رفضاً باتاً، لكيلا يوغر صدور الصليبيين، ولا يقدم قدوماً سريعاً، فيوغر صدور الفاطميين المسيطرين على بيت المقدس، والواقع أنه من الصعب تفسير موقف الإمبراطور البيزنطي من ذلك العرض السخي، الذي يمكنه من استرداد شمال بلاد الشام، فضلاً عن تمكنه من الإشراف على فتح بيت المقدس[12].

وجد الصليبيون أن الإمبراطور لا يرد طلبهم، وهم لا يستطيعون البقاء

فتــرة طويلة دون الانتهاء مــن مهمتهم، ولذلك عقد زعماؤهم مجلســاً لتحديد موعــد الزحف علــى بيت المقدس، بصــرف النظر عن موافقــة الإمبراطور البيزنطــي، وتــم تحديد يــوم 3 ذو الحجة 491هـ / الأول مــن نوفمبر 1098م، موعداً للزحف على بيت المقدس، بعد أن تخف درجة الحرارة، ويصبح الجو ملائماً لحركة الجيوش الصليبية[13].

أما الإمبراطور البيزنطي ألكســيوس كومنين، فلــم يكتف باللعب بزعماء الصليبييــن، ولكن أراد أن يتعامل مع الجهة الأخــرى أيضاً، إذا به يعقد اتفاقاً سرياً مع الفاطميين (العبيديين) بمصر، وهو يعرض عليهم صورة من صور التعاون ضد الصليبيين، ولكن شــاء ســوء حظّه أن تقع رسالته إلى الفاطميين في قبضة الصليبيين، فأدركوا أنه يخادعهم.

هنا قــرَّر زعماء الحملة الصليبية؛ أن يخرجوا بمفردهم إلى بيت المقدس، ولكن بعد الاستعداد الكافي عن طريق جمع المؤن، وتثبيت الأقدام في أنطاكية وما حولها؛ ولذلك أمضى زعماء الصليبيين شــهري شوال وذو القعدة 491هـ / سبتمبر وأكتوبر 1098م، في بعض العمليات العسكرية في المناطق المحيطة بأنطاكيــة، وفــي هذه الأثناء كان بوهيموند يحــاول أن يظهر دائماً في صورة أمير أنطاكية الأوحد[14].

عقــد الصليبيــون اجتماعاً يوم الجمعة 7 ذو الحجــة 491هـ / 5 من نوفمبر 1098م، في كنيســة القديس بطرس بأنطاكيــة، قرروا فيه الزحف صوب بيت المقدس، وهذه المرة استطاع بوهيموند أن يفرض عملياً مطاليه في الحصول علــى أنطاكية، وأعلن العصيان المباشــر على الإمبراطــور البيزنطي، ولجأ إلى خلع حنا الرابع بطريرك أنطاكية من الكنيســة الأرثوذكســية، وأحل محله

بطريركـاً كاثوليكياً، ليصبح بذلك أميراً لأنطاكية وغير متقيد بالولاء لصاحب القسطنطينية[15].

بــرزت من جديدٍ مشكلة إمــارة أنطاكيــة، وأدت إلى تعقيـد الموقف بين الصليبيين والبيزنطيين، إضافة إلى تعقيد الموقف بين زعماء الحملة الصليبية الأولــى بعضهـم بعضاً، حيـث تنــازع الزعيمــان بوهيمونـد وريموند على أنطاكيــة[16]، ووجد الأمير ريموند أنه لكي يسـتولي على أنطاكية، فإنه يجب أن يوالي الإمبراطور البيزنطي ألكسـيوس كومنيـن، ليتغلب على بوهيموند، فأصبــح مــن المنادين بالتمسـك بحقـوق الإمبراطورية البيزنطيــة، واحترام الاتفاقيــة التــي عقدها الصليبيون مــع الإمبراطورية البيزنطيــة عام 490هـ / 1097م، وهكـذا انقلب الموقف رأســاً على عقب، وأدت المصالح إلى اختلاف الولاءات اختلافاً بيِّناً، فهذا بوهيموند الذي كان أقرب المقربين إلى الإمبراطور البيزنطــي، وأول من عقد اتفاقاً معه، ينادي بالخروج عن ذلك الاتفاق، ويعلن العصيان ليتملك أنطاكية، ناسـياً يمينه التي أقسـمها بالتبعية للإمبراطور، في حيـن أن ريموند هو الأميـر الوحيد من أمراء الحملــة الصليبية، الذي رفض أن يقسـم بالتبعية للإمبراطور، يعلن أنه يقف إلى جواره، والمدافع عن حقوق الإمبراطوريــة البيزنطية، والمنــادي باحترام الاتفاقيــة[17]، يدل هذا الخلاف عــدم اهتمام هذين القائدين بالهدف الأساســي، الذي خرجــت من أجله الحملة الصليبيــة؛ وهو الاسـتيلاء على بيت المقـدس، واهتمامهما فقـد بمصالحهما الشخصية، ويلاحظ أن المسلمين لم يستفيدوا خلال هذه الشهور، في الاستعداد لما سيأتي من بعد ذلك.

اســتاء بقية الزعماء وبقية الفرسان والجند للغاية من هذا الخلاف، وحدثت ثــورة في أنطاكية، حيث أنــذروا الزعماء؛ بأنهم إذا اســتمروا في منازعاتهم

الخاصة حول مسـألة أنطاكية، فإن الصليبيين جميعاً سيتركونهم في أنطاكية، ويتجهون إلى بيت المقدس، بعد أن يهدموا أسوار أنطاكية، وعندها سيتركونهم مكشوفين للبيزنطيين، والمسـلمين على حدٍّ سواء، وسوف يتجه الجيش بكامله إلى بيت المقدس[18].

هنـا شـعر بوهيموند وريموند بالخوف الشديد، من أن ينفذ الصليبيون تهديدهم، فجلسا ليبحثا حلاً للموضوع، فتوصلا إلى اتفاق سـريع في نهاية ذو الحجـة 491هـ / نوفمبر 1098م، ولكي يقطعا الوقت ويشغلا الناس، وحتى الوصول إلى حلٍّ، وتوجيههم وجهة تتفق مع رغبتهما في مهاجمة المسـلمين، قـررا التحـرك مـن أنطاكية يـوم السـبت 29 ذو الحجة 491هـ / 27 نوفمبر 1098م؛ بعد أكثر من سبعة أشهر من سقوطها؛ في مائة ألف كما يقال، ومعهم الأرمـن والنصارى[19] الذين تحت حكمهـم إلى معرة النعمان[20]، الواقعة إلى الجنوب الشرقي من أنطاكية، وهي من أعمال حلب، أي داخل نطاق ممتلكات رضـوان ملك حلب، فنزلوهـا وحاصروها، وثبت أهلها فـي قتالهم، وعندما اشـتد الحصار؛ اسـتغاث أهلها بالملك رضوان صاحـب حلب، وجناح الدولة صاحـب حمص، إلا أنهما لم يعيروهم اهتماماً يذكر، ولم ينجدهم أحد[21]، ولم يكـن للأهالي من القوة والإمكانيات ما يمكنهم من المقاومة طويلاً، فاضطروا إلى التسليم للصليبيين في يوم السبت 14 محرم 492هـ / 11 ديسمبر 1098م[22].

لـم يحتـرم الصليبيون الأمـان الذي أعطوه للسـكان، وإنما، غـدروا بهم ورفعـوا الصلبان فوق البلد، وقطعوا على أهل البلـد القطائع، ولم يفوا بشيء مما قرروه، ونهبوا ما وجدوه، وطالبوا الناس بما لا طاقة لهم به[23]، ثم أخلوها بعد أن أحرقوها، وأجروا فيها مذبحة فظيعة، فوضع الصليبيون فيهم السـيف ثلاثة أيام، وقد قدر ابن العديم عدد قتلى المسـلمين في معرة النعمان بأكثر من

عشريـــن ألــف رجل وامرأة وصبـــي[24]، في حين قدرهم ابـــن الأثير بما يزيد علـــى مائة ألف[25]، وقال فارس من حاشـــية بوهيمونـــد: «كان الإفرنج يقتلون كل مسـلم، ســـواء كان رجلاً أم امـــرأةً، حيثما يجدونـــه»[26]، وكان للنصارى الذين كانوا يعيشون في بلاد الشام، دور ملحوظ في استيلاء الفرنج على معرة النعمان[27]، ودل هذا على الطابع الدموي للصليبيين، فنجد لهم وصف المؤرخ البريطاني الســـير ستيفن رانسيمان، بأن الحروب الصليبية هي آخر الغزوات البربرية.

كان ســـقوط معرة النعمان أيسر من الناحية العسكرية مقارنة بأنطاكية، إذ لـــم يكـــن هناك حصار، وكان هدفاً ســـهلاً، ثم إنهم دخلوهـــا بعد انتصارهم في أنطاكية، وكان ذلك دعماً لما حدث في المدينة الأخيرة.

على الرغم من اشـــتراك بوهيموند وريموند معاً، في الاستيلاء على معرة النعمان، إلا أن الحزازات اســـتمرت بينهما، ووجـــد ريموند أن عامة الأمراء يرجحـــون كفة بوهيمونـــد، فدعا الأمراء إلى الاجتماع بـــه في 8 صفر 492هـ / 4 ينايـــر 1099م، فعـــرض عليهـــم مبالغ ضخمـــة[28]؛ مقابـــل أن يقود الحملة الصليبيـــة إلى بيت المقـــدس[29]، ويصبح هو القائد الأعلـــى للصليبيين جميعاً، فوافـــق الأمراء لتحل المشكلة، ويبقى بذلك بوهيمونـــد أميراً على أنطاكية[30]. وهكذا فضَّل بوهيموند أن يتخلف عن حملة بيت المقدس، والبقاء في أنطاكية، وأسس فيها إمارة له، ناسياً قصة الحجيج؛ ليقنع بإمارته التي كانت حلماً قديماً له[31].

تحرَّكت الجيوش الصليبية من معرة النعمان، يوم الخميس 17 صفر 492هـ / 13 يناير 1099م، ناحية الهدف الرئيسي الذي خرجت من أجله، وهو احتلال

بيــت المقدس، بقيادة ريمونــد الرابع (ريموند الصانجيلــي)[32]، بعد أن ظلت قرابة خمســة عشر شهراً في شــمال بلاد الشام (شوال 490 – محرم 492هـ / أكتوبر 1097–ديسمبر 1098م)، تصول وتجول، ولا تجد من يردعها.

كــان ريموند الرابع يرتــدي ملابس الحُجَّاج وحافي القدمين، وقد شــارف الســتين من العمر، يقود الجيوش في رحلــة دينية لاحتلال بيت المقدس، ومع هذا المظهر المحسوب بدقة، حاول أن يقنع الجميع أنه يتحرك إرضاءً للمسيح، ويُعْلِــن خدمة الربِّ، والواضــح أنه كان يخفي أهدافه الحقيقية، إلا أنه كان في منتهــى الغيظ والحنق، لعــدم حصوله على إمارة حتى هــذه اللحظة، كزميليه بلدوين أمير الرها، وبوهيموند أمير أنطاكية[33].

تفاوتــت الروايات في تقدير عدد الجيــش الصليبي الذي خرج من أنطاكية وما حولها لغزو فلســطين، فقدر عددهم في أقل تقدير بنحو ســتة آلاف مقاتل فقــط، والبعــض أوصل عددهم إلى ثمانين ألفاً مــن الصليبيين في أكثر تقدير، وهــو في الحالتيــن قليلٌ، عن الأرقام التي كانوا عليها عند نزولهم بلاد الشرق الإسلامي؛ إذ كان عددهم في أقلِّ تقدير ثلاثمائة ألف شخص.

جدير بالذكــر، نلاحظ أن عدد الصليبيين قد نقص حينذاك، ويرجع ذلك إلى المعارك المتتالية في مواجهة الســلاجقة، منذ لحظة نزولهم في آسيا الصغرى، ومنذ موقعة نيقية في 490هـ / 1097م، أي أكثر من عام في عدة معارك، وقُتل من الصليبيين عدد كبير، ثم إن الكثير منهم هلكوا بالمرض أثناء الانتقال لمســافات طويلة، وأثناء الحصار الطويل لمدينة أنطاكية، وفترات الجوع الطويلة، وهلاك الكثير منهم بسبب الأوبئة التي انتشرت في أنطاكية؛ نتيجة كثرة القتلى، وكذلك لانفصال جيش بلدوين فــي الرها، وبوهيموند في أنطاكية، وكذلك لترك حامية

صليبيــة في كل مدينة يحتلونها، بدءاً من نيقية، وانتهاءً بمعرَّة النعمان، غير أنّه مــن الراجح أن عدد الجيش الصليبي؛ كان في حدود ثمانين ألفاً أو نحوها، دون إمكانية التأكد من ذلك، لأن المسافة التي اخترقها الجيش داخل بلاد الشام كبيرة، يصعب فيها أن يتحرَّك ستة آلاف جندي فقط دون حماية، كما أنه لو لم يتبقَّ من الثلاثمائــة ألف أثناء قدومهم للشرق؛ إلا ســتة آلاف فقط، فكان من الأفضل لهم الرجوع إلى أوروبا، والنجاة بالنفس، إضافة إلى أن معظم المعارك التي اشترك فيها الصليبيون كان النصر حليفهم، ولم نســمع عن قتلى بهذه الأعداد الضخمة، سواء في صفِّهم، أو في صف المسلمين المهزومين.

تقــدم الجيــش الصليبي جنوباً فــي طابورين كبيرين، كــان الطابور الأول بقيادة ريموند كونت تولوز، يســير شــرقي جبال النصيرية، والطابور الثاني بقيادة جودفري، وروبرت الثاني أوف فلاندرز يسير بمحاذاة الساحل[34].

اتجهــت الحملــة يوم الخميــس 17 صفر 492هـ / 13 ينايــر 1099م، جنوباً نحــو كفر طــاب[35]، وبقيت هناك ثلاثة أيام حتــى 20 صفر 492هـ / 16 يناير 1099م[36]، وفــي تلــك الفترة لحق بهم روبــرت النورمانــدي وتانكريد، لكن جودفــري وروبــرت الثاني أوف فلانــدرز لم يكونا على اســتعداد لأن يخدما تحت إمرة ريموند.

بــدأت الاتصالات بينهم وبين أمراء المــدن الشامية، الذين انتهزوا فرصة ضعف قوة السلاجقة، للاســتقلال بمدنهم مثل حمص، وطرابلس[37] وشيزر، تاركيــن المصلحة العامة خلف ظهورهم، وقد قبل هؤلاء أن يدخلوا في طاعة الصليبييــن نظراً لتفــاوت القوة بين الطرفين[38]، والنزول على شــــروطهم وتقديم المعونة والأدلاء لهم[39]، أما حلب ودمشق فقد اتخذتا موقف الســكوت

بعد الهزيمة في أنطاكية[40].

تـوافدت سفراء الأسر العربية الحاكمة[41]، تطلب مهادنة الصليبيين، وعقد الاتفاقيات معهم، بعد أن أحسوا خطورة الموقف، وعدم وجود قوة إسلامية كبيرة تستطيع حمايتهم[42]، على الرغم من أن هذه الأسر كانت قد ابتهجت لتداعي قوة السلاجقة في البداية[43]، حيث إن أولئك الأمراء العرب كان مسلكهم اتجاه الصليبيين مختلفاً تماماً عن مسلك الأتراك، الذين لم يعرفوا سوى السيف، في حين أدرك الأمراء العرب في الشام خطورة الموقف، فآثروا اتباع سياسة واقعية، استهدفت الاتفاق مع الصليبيين، وقبول ما تقدموا به من عروض[44]، وكذلك تجنُّب وحشية الصليبيين، وكانت أخبار مذبحتي أنطاكية ومعرَّة النعمان، قد وصلت إلى كل مكانٍ، ففعلت فعلتها، حتى تفقد كلَّ أمل في المقاومة، ويصبح كلُّ همِّها النجاة بالنفس[45].

تعطينا هذه الواقعة انطباعاً عن طبيعة حكام ذلك الزمن، فهؤلاء الحكام مع كفاءَتهم السياسيَّة والعسكريَّة؛ إلا أنهم لا يصلحون للحفاظ على هيبة المسلمين طويلاً، فهم يسقطون وتدفع شعوبهم الثمن، وتسقط كذلك المدن والدول التي يحكمونها، فهم يقاتلون من أجل حب البقاء، وحب التملك والسيطرة، وما إلى ذلك من أمور الدنيا.

كذلك فرح بنو منقذ أصحاب شيزر، وبنو عمار أصحاب طرابلس، وهم من البيوتات العربية العريقة بهزيمة السلاجقة، وأقبلوا يمدون المعونة للغزاة من الصليبيين[46]، ومن الوقائع الغريبة، والمواقف المريبة، أن الأمير عز الدين أبو العساكر سلطان بني منقذ صاحب شيزر (491 – 539هـ / 1098 – 1145م)، أجرى اتصالات مع ريموند عندما كان الأخير في كفر طاب، وتعهد

له بألا يعترض طريق الصليبيين عند اختراقهم إقليم شـيزر، وأن يقدم لهم ما يحتاجون إليه من غذاء، إضافة إلى أنه أرسل دليلين في 21 صفر 492هـ / 17 يناير 1099م؛ ليرشدا الصليبيين في عبور إقليم نهر العاصي بين شيزر وحماة، وقد تم فعلاً تنفيذ تلك الاتفاقية[47].

عندما وصلت طلائع الغزو الصليبي إلى مدينة مصياف[48] يوم السبت 26 صفر 492هـ / 22 يناير 1099م، خرج إليهم أميرها العربي (كان من بني مرداس)، وعقد معهم اتفاقاً هادنهم فيه، اتجهوا بعدها نحو رفنية[49]، وسروا بما وجدوه فيها من خيرات[50]، وفي يوم الثلاثاء 29 صفر 492هـ / 25 يناير 1099م غادروها ليصلوا إلى سهل البقاع، وفي طريقهم احتلوا «حصن الأكراد»[51] Crac des Chevaliers وحاصروه حتى سقط في أيديهم يوم السبت 4 ربيع الأول 492هـ / 29 يناير 1099م[52]، وأقام الصليبيون فيها ثلاثة أسابيع، ويذكر ابن الأثير: أن الصليبيين ساروا إلى حمص وحصروها يوم الجمعة 10 ربيع الأول 492هـ / 4 فبراير 1099م، فصالحهم صاحبها جناح الدولة حسين بن ملاعب[53] الذي كان يقاتل الصليبيين منذ شهور مع كربوغا أمام أنطاكية، وأرسل وفداً محمَّلاً بالهدايا يخطب ودَّ المحتلين؛ لكيلا يتعرَّضوا لإمارته بسوء[54].

بعد أن غادر الصليبيون حصن الأكراد، توجَّه ريموند لحصار مدينة صغيرة تسمى عرقة[55] شرق طرابلس، وهي تتبع لطرابلس فحاصروها في 20 ربيع الأول 492هـ / 14 فبراير 1099م[56]، واتجه فريق آخر نحو أنطرطوس[57]، وهي طرطوس الحالية، واستولوا عليها في 23 ربيع الأول 492هـ / 17 فبراير 1099م، وهي ميناء صغير على شاطئ البحر تابع لبني عمار، وأدى استيلاء الصليبيين عليها إلى سهولة تموينهم بواسطة الأساطيل الإيطالية والبيزنطية[58]، واتجه جودفري وروبرت الثاني أوف فلاندرز، في

5 ربيــع الثانــي 492هـ / أول مــارس 1099م لحصار مدينة جبلــة[59]، التابعة للقاضي بن منصور، وهي مدينة ســاحلية ســوريَّة جنوب اللاذقيَّة، كانت تتبع أيضاً طرابلس[60]، وســرعان ما أعلنت جبلة استســلامها، بعد حصار تســعة أيــام؛ مــن 6 إلى 15 ربيــع الثاني 492هـ / 2 إلى 11 مــارس 1099م، وتعهدت بدفــع الجزية[61]، غير أن عِرْقَةَ صمدت، وكانــت مدينة حصينة فشل ريموند فــي إســقاطها، فاضطر إلى أن يســتنجد بجودفري وروبرت لإســقاط عِرْقَةَ، فجــاء إليه واشــتركا معه في الحصار، فحاصروها أربعة أشــهر، ولم يقدروا عليهــا[62]، فاضطــر ريموند إلى رفع الحصار عنها؛ يــوم الجمعة 19 جمادى الآخرة 492هـ / 13 مايو 1099م، وقبول شــروط أمير طرابلس، بعد فشله في إســقاطها، وكذلك لشدة ضجر وســخط الجنود والحجيج مــن طول الحصار، ورغبتهم بالتوجه إلى بيت المقدس[63].

مــن الواضح تمامــاً أن المدن المحصنة، كان مــن الممكن لأهلها الصمود والمقاومة، أما المدن الســاحلية التي بلا دفاعات، فلم يكن أمام ســكانها ســوى الاستسلام، حتى لا يتعرضوا لمصير أنطاكية ومعرة النعمان.

تحــرك الجيش الصليبي مــن عرقة على طول الســاحل[64]، وفي طريقهم إلــى بيت المقدس، مــرّوا في طريقهم على مدينة طرابُلُــس، وكانت مقرَّ حُكم عائلــة بني عمَّار الشيعيَّــة، وحاكمها في ذلك الوقت هو فخــر الملك أبو علي بــن عمــار[65]، ومع كونها شــيعيَّة إلا أنهــا كانت منشقَّة عن الدولــة الفاطمية (العبيدية) بمصر، وكانت هذه المدينة تُســيطر على عدَّة مدن وقرى مجاورة، مكوِّنة بذلك إمارة واسعة نسبيّاً، تحكم عدَّة مناطق في لُبنان وسوريا[66].

قــرَّر فخر الملك أبو علي بــن عمار أن يُهَادن الصليبيــن، فرفع أعلامهم

على أســوار مدينتــه دلالة تبعيته لهــم، وأقرَّ بدفع جزية لهــم، لكيلا يحتلوها، ونــزل ريموند على رأي جودفري وبقية الزعماء، وقبلوا بالجزية[67]، وأكمل الصليبيــون طريقهــم إلى بيت المقدس، بعــد أن فقدوا وقتاً غاليــاً، خاصَّة أن شهور الصيف قد اقتربت[68].

أثناء استعداد الصليبيين للرحيل عن طرابلس، فوجئوا عند أسوار طرابلس، بسفارة فاطمية (عبيدية) قادمة من مصر، محمَّلة بالأموال والهدايا الثمينة لكل واحد من زعماء الصليبيين، كما تحمل لهم عرضاً من الدولة العبيدية، بتسهيل حــجِّ الصليبيين وكل النصارى إلى بيت المقدس، على شــكل مجموعات، من مائتــي أو ثلاثمائــة حاج، وأن يدخل الحجاج إلى بيت المقدس غير مســلَّحين، وسوف تقرُّ الدولة الفاطمية (العبيدية) الصليبيين على ما تحت أيديهم من بلاد، سواء في آسيا الصغرى، أو في بلاد الشام[69].

قوبل هذا العرض بالرفض والسخرية من قبل الصليبيين، لأنهم سيتمكَّنون من أداء الحج كما يريدون، ولكن بمعونة الله، وليس بمســاعدة الدولة العبيدية، وهــذا يعني إعلاناً للحرب بين الصليبيين والفاطميين، إذ إن القادة الصليبيين؛ كانــوا لا يعتزمــون البتة الاكتفاء بمدينة الرها، ومدينــة أنطاكية؛ فكان هدفهم امتلاك فلسطين، ومنها بيت المقدس في المقام الأول[70].

الأمر المؤكد، أن إخضاع الصليبيين لأنطاكية، قد حسم مبدئياً توجههم إلى بيت المقدس، ولذلك كان طبيعياً أن يســخروا من العرض الفاطمي الذي تأخر كثيراً.

الواقــع أن الصليبيين والفاطميين تحالفوا ضد العدو المشترك وهم الأتراك الســلاجقة، ولكن باســتيلاء الصليبيين علــى أنطاكيــة، والفاطميين على بيت

المقدس؛ غدا الحليفان وجهاً لوجه.

يتضح من عرض الفاطميين جهلهم بحقيقة الحركة الصليبية، وعدم إدراكهم أن الصليبيين لم يتركوا بلادهم في غرب أوروبا، ويتحملوا ما تحملوه في الشرق، إلا لاستخلاص الأراضي المقدسة في فلسطين، ففلسطين بوجه عام؛ وبيت المقدس بوجه خاص هي الهدف الرئيسي المعلن للصليبيين.

بعد ذلك اتجهت الجيوش الصليبية نحو صيدا، ثم إلى صور[71]، فاجتازوا حصن البترون[72] يوم الثلاثاء 23 جمادى الآخرة 492هـ / 17 مايو 1099م، ثم بلغوا مدينة ساحلية تسمى جبيل[73]، وفي 25 جمادى الآخرة 492هـ / 19 مايو 1099م عبر الجيش الصليبي نهر الكلب، وهو الحدُّ الفاصل آنذاك بين أملاك السلاجقة، وأملاك الدولة الفاطمية (العبيدية)، ومن هنا دخلوا الحدود التابعة للحكم الفاطمي، ولم يكن للفاطميين قوة عسكرية في ممتلكاتهم الشمالية، باستثناء بعض الحاميات في بعض المدن الساحلية، مما أتاح للصليبيين التقدم بسهولة وبلا مقاومة[74]، ووصلوا إلى بيروت يوم الخميس 25 جمادى الآخرة 492هـ / 19 مايو 1099م فدخلوها بلا قتال، حيث إن أهل بيروت عندما أحسوا باقتراب الصليبيين منهم عرضوا عليهم إمدادهم بالتموين، فضلاً عن تقديم مبلغ كبير من المال، وأكثر من هذا فقد تعهد أهل بيروت بالدخول في طاعة الصليبيين، والاعتراف بالتبعية لهم، إذا هم نجحوا في احتلال بيت المقدس[75].

ثم تقدموا نحو صيدا؛ فبلغوها يوم الجمعة 26 جمادى الآخرة 492هـ / 20 مايو 1099م، ولكنهم لقوا مقاومة عنيفة من حاميتها، وفي النهاية استطاعوا التغلب عليها، وتابعوا تقدمهم نحو صور، ووصلوها يوم الاثنين 29 جمادى الآخرة 492هـ / 23 مايو 1099م، حيث بقيت حامية صور خلف الأسوار، ولم

تناجزهم العداء[76]، وقد انضم إلى الجيش الرئيسي في هذا المكان؛ الصليبيون القادمون من أنطاكية واللاذقية والرها، وتابع الصليبيون تقدمهم بعد أن غادروا صور يوم الاثنين 29 جمادى الآخرة 492هـ / 23 مايو 1099م، فبلغوا ضواحي عكا يوم الثلاثاء غرة رجب 492هـ / 24 مايو 1099م دون أن يلقوا مقاومة تذكر، وبادر حاكمها الفاطمي بطلب الأمان، وقام بتمويلهم بالطعام والمؤن، ووعد بالدخول في طاعتهم بعد سقوط بيت المقدس[77].

واصل الصليبيون تقدمهم نحو حيفا[78]، ملتزمين السير بمحاذاة الساحل، حتى وصلوا إلى قيسارية[79] في 3 رجب 492هـ / 26 مايو 1099م، حيث أقاموا فيها أربعة أيام، احتفلوا خلالها بعيد العنصرة[80] يوم الأحد 29 مايو 1099م / 6 رجب 492ه[81]، ثم غادروا قيسارية جنوباً باتجاه أرسوف[82]، ثم غيَّروا طريق الساحل وشقُّوا البلاد شرقاً إلى الداخل صوب بيت المقدس، ومنها توغلوا للداخل حتى وصلوا إلى الرملة[83] يوم الجمعة في 11 رجب 492هـ / 3 يونيو 1099م[84]، التي هجرها سكانها خوفاً من الصليبيين، وهي مدينة صغيرة، ولكنها تسيطر على الطريق الواصل من بيت المقدس إلى ساحل البحر المتوسط، فسيطر عليها الصليبيون ليؤمِّنوا طريقهم بعد ذلك إلى البحر[85]؛ حفاظاً على إمدادات السفن والأساطيل الأوروبية، ثم أخضعوا مدينة اللد[86] القريبة منها، توقف الصليبيون أربعة أيام في الرملة، ونصّبوا خلالها أسقفاً لاتينياً للمدينة[87]، وفي الرملة عقد الصليبيون اجتماعاً مهمّاً (مجلساً للحرب) لتحديد خطوات الغزو، ناقشوا فيه مسائل عدة، أهمها الرأي القائل بتأجيل الزحف إلى بيت المقدس، والتحول لمهاجمة مصر، والاستيلاء على الإسكندرية والقاهرة، ليكون ذلك الإنجاز مفتاحاً للاستيلاء على بيت المقدس، غير أن ذلك الاقتراح لم يلقَ قبولاً لدى كثير من القادة الصليبيين،

نظراً لقلة الإمكانيات وأولوية الاستيلاء على بيت المقدس الهدف الأساسي للحملة الصليبية[88]، ويدل هذا التوجه نحو مصر، أن المعلن عن المشروع الصليبي شيء، والفعلي شيء آخر، وأن أطماع الغزاة لم يكن لها حدود.

باستيلاء الصليبيين على الرملة؛ أصبح الطريق أمامهم مفتوحاً إلى بيت المقدس، غادر الصليبيون الرملة يوم الاثنين 14 رجب 492هـ / 6 يونيو 1099م، وفي الطريق إلى بيت المقدس عسكر الجيش في عمواس[89]، فَقدم على جودفري وفد من نصارى بيت لحم[90]، يستحثونه على الإسراع لاحتلال مدينة بيت المقدس، والأماكن المقدسة، فأرسل جودفري سرية من مائة فارس، إلى بيت لحم بقيادة تانكريد، فسيطر عليها التي خلت من المدافعين عنه يوم الاثنين 14 رجب 492هـ / 6 يونيو 1099م، ورفع رايته فوق كنيسة الميلاد (المهد)[91].

واضح الأمر، أن التقدم السريع للصليبيين على هذا النحو، يؤكد لنا معرفتهم السابقة بالمنطقة، كذلك وجود أدلاء من عناصر المسيحيين الشرقيين، دلتهم على الطريق، ويضاف إلى ذلك، حالة التشرذم السياسي للمسلمين.

بلغ الصليبيون أسوار بيت المقدس مساء يوم الثلاثاء 15 رجب 492هـ / 7 يونيو 1099م، أخيراً تكشف منظر المدينة المقدسة، أمام الصليبيين من الجبل العالي، الذي سموه منذ ذلك الوقت (مونت جوي) أي جبل السعادة[92]، لقد وصلوا إلى المحطَّة الأخيرة في الخُطَّة، التي وضعها البابا أوربان الثاني في مجمع كليرمونت، قبل هذا الموقف بأكثر من ثلاث سنوات ونصف السنة[93].

عندما أدرك قائد الحامية في المدينة الأمير الفاطمي افتخار الدولة[94]، تقدم القوات الصليبية واقترابهم من أسوار بيت المقدس؛ باشر باتخاذ كافة

الاحتياطات، والاســتعدادات لمواجهة الصليبيين، والتدابير اللازمة لحمايتها، حيث اهتم بتقوية التحصينات، والتأكد من ســلامة الأســوار، وأمر رجاله بأن يقطعــوا موارد الماء، ويطمروا كل الينابيع والآبار الواقعة خارج المدينة[95]، كـــي يحرم المهاجمين من التزود بمياهها، وقيل إنه وضع بها الســم أيضاً[96]، كمــا زود المدينة بكميات كبيرة من المؤن والأســلحة، ومــلأ خزانات المدينة بكمية كافية من المياه، وأحضر المواشـــي من النواحي والقرى المجاورة إلى داخــل المدينة، كما دعم أبراجه بالقطن والقش لتصمــد أمام قذائف منجنيقات الصليبيين، وكذلك رمّم الاســتحكامات الدفاعية الرومانية القديمة للمدينة، كما أمر بإخراج جميع المســيحيين من المدينة، خشيــة انضمامهم إلى الصليبيين، وأن يتعاطــف هــؤلاء مع أبنــاء دينهم، فيوقعــوا الاضطــراب والفوضى في المدينــة، ورغبــة منه في توفير مــا يمكن أن ينفقوه من زاد وغذاء للمســلمين المحاصرين، إلا أنه سمح لليهود بالبقاء داخلها[97].

واقع الأمر، كانت تلك الإجراءات من جانب افتخار الدولة متأخرة سياسياً للغايــة، إذ إن الصليبيين الذين قطعوا المســافة الطويلة مــن أنطاكية إلى بيت المقدس، كانوا عازمين على إخضاع المدينة المقدسة بعد أن ضللوا الفاطميين.

المبحث الثاني:

أحداث الحصار ومراحله

وصل الجيش الصليبي إلى أسوار بيت المقدس يوم الثلاثاء 15 رجب 492هـ / 7 يونيو 1099م[98]، وبلغ عدد القوات الصليبية التي وصلت إلى أسوار المدينة، وتمركزت حولها وحاصرتها، نحو أربعين ألفاً من مختلف الأعمار ذكوراً وإناثاً، وكان عدد المشاة نحو عشرين ألفاً، ونحو ألف وخمسمائة من الفرسان[99]، ويقدر ريموندداجيل «أن عددهم بلغ نحو اثني عشر ألف رجل من الأقوياء مع كثير من المقعدين والفقراء، وما لا يزيد على ألف ومائتين إلى ألف وثلاثمائة من الفرسان»[100]، وكانت بقية الحشد جمهرة بائسة ومريضة وعاجزة[101]، ونعتقد أن هذا العدد مبالغ فيه كثيراً، وقد انتشر الصليبيون حول بيت المقدس، على امتداد بعض أسوارها وليس كلها، فركزوا على القطاعات التي يستطيعون فيها الاقتراب من الأسوار[102].

أما وضع المسلمين في بيت المقدس، فقد بلغ عددهم نحو أربعين ألف محارب شجاع، مجهزين تجهيزاً رائعاً بحسب قول الصوري[103]، ويقدر

ريموندداجيل عددهم بنحو ستين ألف مقاتل، ونساء وأطفال لا حصر لهم[104]، ونعتقد أن هذا العدد مبالغ فيه كثيراً، وكان في المدينة ألف مقاتل قوة الحامية الفاطمية، المؤلفة من مصريين وسودانيين، وقد اندفعت وتداعت إلى بيت المقدس، أعداد كبيرة من الحصون المجاورة، ومن الريف للدفاع عن المدينة، وكذلك الذين فروا من القوات الصليبية إلى بيت المقدس بحثاً عن النجاة لأنفسهم، وللمساعدة أيضاً في الدفاع عن المدينة ضد الخطر الصليبي، وقد أحضروا معهم تعزيزات ومؤن من الأطعمة[105].

كان الصليبيون يأملون في أن تسقط بيت المقدس من تلقاء نفسها، ما إن يقتربوا منها، ولكن على العكس من ذلك، عانى المحاصِرون في بادئ الأمر عدة مشكلات، حالت بينهم وبين الاستيلاء على المدينة المقدسة فوراً، لعل أهمها:

أولاً: مقاومة الحامية الفاطمية، إذ توافر لافتخار الدولة المؤن والماء والأسلحة، التي تفوَّقت على أسلحة الصليبيين، وأمل أن يصمد في وجه الحصار المدة الكافية، لوصول النجدة التي طلبها من القاهرة.

ثانياً: تأمين الماء، نتيجة ما اتخذه افتخار الدولة من تدابير كانت ناجعة وقوية الأثر، وأصبح توفير الماء لهم مشكلة، فقد كان لا بد للصليبيين أن يقطعوا مسافة ستة أميال أو أكثر يومياً لإحضار الماء، مما يعرّضهم لهجمات المسلمين كما أخذت مؤونهم في النفاد.

ثالثاً: أيضاً حرارة الطقس المرتفعة وقسوتها عليهم، وهذا أكد الجانب الجغرافي وتأثيره، ولا ننسى أن الجغرافيا توجه التاريخ، ما التاريخ إلا الصراعُ على الجغرافيا.

رابعاً: تجدد النزاع بين الصليبيين حول مصير بيت المقدس، وملكية بعض المراكز المهمة الأخرى مثل بيت لحم.

خامساً: انتشار إشاعة مؤداها أن جيشاً فاطمياً كبيراً قد خرج من مصر، وهو في طريقه إلى بيت المقدس لإنقاذ المدينة[106].

لذلك لم يكن لهم أمل في النصر؛ إلا باحتلال المدينة بأسرع وقت ممكن، وأنهم لن يستطيعوا الصمود لحصار طويل، وينبغي لهم أن يبادروا بالهجوم على المدينة والاستيلاء عليها[107].

عقد الغزاة اجتماعاً، لمناقشة الخلاف الذي نشب بين قادة الحملة؛ عقب استيلاء تانكريد على بيت لحم، ولانتخاب أحد الأمراء ليكون حاكماً على المدينة المقدسة بعد سقوطها[108]؛ لكن تم إرجاء هذه المسألة[109]، وتم في الاجتماع، مناقشة الوسائل التي يمكن بها مهاجمة المدينة، وإعداد آلات الحصار، والبحث عن الأخشاب[110]، ويشير وليم الصوري إلى أن الصليبيين عقدوا مداولات جدية، مع الرجال ذوي الخبرة والدراية بتضاريس المنطقة، لمناقشة الاتجاه الذي يسهل منه مهاجمة المدينة بالشكل الأكثر ملاءمة، وقد تم اتخاذ القرار بمهاجمة المدينة من الجهة الشمالية[111]، وعليه تم فرض الحصار على المدينة المقدسة من بوابة دمشق أو باب العمود حالياً (والذي سماه الصليبيون بوابة القديس ستيفن)[112]، وحتى الباب الواقع عند برج داوود[113] باب صهيون (باب النبي داوود)[114]، على الجانب الغربي من المدينة[115].

وهذا يؤكد لنا، أن صنع القرار الصليبي السياسي والعسكري كان جماعياً، وكان ذلك من عوامل تفوقهم على المسلمين، خاصة خلال تلك المرحلة.

لقد جعل الموقع الجغرافي من بيت المقدس؛ عسيرة المنال على العدو،

كانــت تقع على ســهل مرتفع عــال، ولم تكن مفتوحة إلا مــن الجهة الشمالية، وكانت تحميها من الجهات الأخرى الجبال[116].

بناءً على ذلك، شــرع قــادة الجيش الصليبي في حصار المدينة المقدســة، وتضيــق الخناق عليها، ركّــز الصليبيون كل قواتهم على الأماكن التي تقرّبهم من الأسوار، وعلى الرغم من أن القوات الصليبية كانت مزودة بأحدث أسلحة وآلات الحصار والتدمير، فإنها وجدت نفســها عاجزة عن تنفيذ حصار كامل، ومطبــق حــول المدينــة، وذلك لعدم توفر العــدد الكافي مــن المقاتلين لفرض حصار على المدينة بكاملها من جهة، وبسبب نقص في آلات الحصار من جهة أخــرى، فاتخذ روبرت النورماندي، وروبــرت الثاني أوف فلاندرز موقعهما مــن الناحية الشمالية، في حين حاصر كل مــن جودفري وتانكريد المدينة من الناحية الغربية[117].

تمركــز الكونــت ريموند الصانجيلــي إلى الجنوب مــن موضعهما، حيث أقــام على جبــل صهيــون[118]، وبذلك أحاطوا بالمدينة المقدســة مــن جهاتها الثلاث[119]، باســتثناء القطاعين الشرقي والجنوبي الشرقي، فكانا مكشوفين لم يحرســهما أحد، حيث كانت الممــرات والأودية تعوق أي هجوم على المدينة، لذا لم يقم المســلمون بتحصين الجهة الشرقية، وركزوا تحصيناتهم على باقي الجهات[120].

لــم يُضَيِّــع الصليبيون وقتاً طويــلاً، بل أخذوا يقصفــون المدينة، معتمدين علــى آلات الحصار التي كانوا يصحبونها معهم، حيث إن إطالة أمد الحصار حول بيت المقدس، ســوف يؤثر ســلباً في معنويات الجند، الذين أتوا من بلاد باردة، إلى أرض قاحلة، لا ظل فيها ولا أشــجار، وفي صيف حار لاهب، لن

يستطيع أولئك الجند تحمل حرارته، لذا قرر القادة أن يُعدّوا لهجوم عاجل على المدينة[121].

كان المسلمون في بيت المقدس في وضع دفاعي جيد، فالمدينة بحد ذاتها تعتبر من أضخم المعاقل، والحصون في ذلك الزمان، فأسوارها تكاد تكون عصّية على الاختراق أو الاجتياز، إضافة إلى ذلك تظل بيت المقدس عصية على أي هجوم من جهاتها الثلاث؛ من الشرق والجنوب الشرقي، حيث يلفها وادي قدرون أو وادي جهنم، ومن الجنوب، حيث يلفها وادي هنّوم أو وادي الربابة، ومن الغرب، حيث يلفها وادي الروث أو وادي تيروبيون، فهي إذاً محصنة، من هذه الجهات بتحصينات طبيعية، إضافة إلى ما تمنحها أسوارها وحصن داوود الواقع في منتصف السور الغربي، والذي يسيطر على جزء كبير من محيط المدينة، من مناعة وقوة[122]. يضاف إلى ذلك الخنادق التي حفرها المدافعون خارج الأسوار، في الزاويتين الشمالية الشرقية والشمالية الغربية، وفي الجهة الشمالية من السور، لكي تعيق تقدم المهاجمين، وهكذا، لم يكن ممكناً مهاجمة المدينة إلا من الجهتين: الشمالية، والشمالية الغربية فقط، وهي الجهات التي ركز الصليبيون، في حصارهم عليها[123].

أما أسلحة المسلمين المدافعين عن المدينة، فإنها كانت بحسب زعم وليم الصوري تضاهي أسلحة الصليبيين نوعية، وتفوقها عدداً، خصوصاً وأن المسلمين كانوا قد احتاطوا لهذا الأمر، فجمعوا الأخشاب اللازمة لصنع الآلات الحربية الملائمة للدفاع عن المدينة، كالمجانيق، وبينما كان الصليبيون يجهدون بدورهم، لإعداد آلات الحصار التي تنقصهم، من سلالم ومجانيق، كان المسلمون لا يغفلون عن مراقبة تصرفاتهم، بواسطة حراس يقظين، كانوا قائمين على الأسوار باستمرار، ثم يضاهونهم في صنع آلات مماثلة[124]،

ويقول وليم الصوري في ذلك: «كانت الآلات الحربية لدى المسلمين، تُصنع من مواد أفضل من المواد التي صُنعت آلاتنا منها، حتى لا تكون آلات حربهم أدنى من الاتنا، وكان الحراس يراقبون، من على الأسوار والأبراج، كل ما أنجز في جيشنا، وبشكل خاص ما تعلق بالوسائل التي ارتبطت بآلات الحرب، حيث نقلوا على الفور، جميع تفاصيل ما راقبوه إلى الرجال الرئيسيين للقدس، الذين تنافسوا بمهارة، وكافحوا في سبيل محاكاة أعمال المسيحيين»[125].

من المنطقي تصور أن هدف ذلك المؤرخ، من قوله هذا، الدعاية للصليبيين، حيث إنهم انتصروا على المسلمين على الرغم من تفوق أسلحة المسلمين، ولا نغفل أن التاريخ عموماً، يكتبه المنتصرون.

قرر القادة الصليبيون شنّ هجومهم على المدينة في فجر اليوم السادس للحصار، أي في فجر يوم الاثنين 21 رجب 492هـ / 13 يونيو 1099م[126]، وفي الساعة المحددة، نظم القائد تانكريد قواته أمام باب صهيون (باب النبي داوود)، عند الجانب الغربي من أسوار المدينة المقدسة، خلال تلك المدة نجح ريموند بردم الخندق المائي، ثم بدأ ينصب السلالم الخشبية على السور من الناحية الجنوبية من أجل تسلقه[127]، قام الصليبيون بمحاولة لاقتحام المدينة المقدسة، وانطلقوا باتجاه السور بكل اندفاع، وهاجموا السور الخارجي، بحيث بدأت تتساقط نحو وادي جهنم، واستمر القتال ضارياً بين الفريقين، من الفجر الباكر وحتى نحو الساعة السابعة من النهار، حين استطاع المهاجمون تحطيم الدفاعات الخارجية للمدينة، والقسم الخارجي من السور الشمالي، وأن يتغلبوا على حامية السور، التي انكفأت إلى الداخل، لتدافع عن الأسوار الداخلية، وأصبح السور الخارجي تحت سيطرة الصليبيين[128].

لكن الهجوم الصليبي باء بالفشل، ويبدو أن فشل الهجوم الصليبي يعود

إلى ما أبداه أهالي المدينة من مقاومة عنيفة، حتى إن الصليبيين أوشكوا على اليأس؛ نتيجة لشدة المقاومة[129]، وكذلك قلة السلالم اللازمة لتسلق السور الذي احتلوه[130] فعادوا أدراجهم إلى مراكزهم الأساسية، بعد خسارة لا يستهان بها في الرجال[131].

تناقش القادة الصليبيون الوضع، بعد فشل هجومهم على المدينة، في اجتماع عقد لهذه الغاية يوم الأربعاء 23 رجب 492هـ / 15 يونيو 1099م، فقرروا التوقف عن تنفيذ أي هجوم، ريثما يتم الإعداد العسكري للمعركة الحاسمة[132]، وقد اقتضى الإعداد هذا الإسراع في إنشاء ما يحتاجه الجيش من آلات التدمير والاقتحام، وأهمها المجانيق وسلالم التسلق، وكانوا يفتقرون إلى المواد اللازمة لصنع هذه الآلات، وأهمها الأخشاب والحبال والمسامير والأقفال، ولكنهم تدبروا أمر الأخشاب من المناطق البعيدة عن بيت المقدس، حيث تكثر الأشجار مثل منطقة السامرة، وكذلك استخدام الصليبيين أخشاب أسقف منازل ببيت لحم بعد هدمها، وكان في المعسكر رجل سرياني مسيحي، قاد عدداً من القادة إلى وادي منعزل يبعد عن بيت المقدس مسافة تتراوح بين ستة وسبعة أميال، حيث نمت الأشجار الطويلة فيه[133]، التي نقلت إلى المعسكرات، على ظهور الإبل والعربات والأسرى المسلمين.

بينما كان الصليبيون في حيرة من أمرهم، في كيفية الحصول على المواد اللازمة لهم لبناء آلات التدمير والاقتحام، وصل في 25 رجب 492هـ / 17 يونيو 1099م، أسطول مكون من سفينتين[134] من جنوة[135] محملتين بالمواد التموينية والإمدادات العسكرية، ومعدات لصناعة آلات الحرب[136]، وبعض الجنود، إلى ميناء يافا[137] الذي هو بوابة بيت المقدس، واستطاعت هذه السفن القليلة أن تُسيطر على ميناء يافا بسهولة؛ لأن سكانها المسلمين هجروها،

وأخلـوا المدينة قبل وقت قصير من وصول الصليبيين، عندما علموا باقتراب القوات الصليبية من أرسوف[138]، وقد طلب القادمون الجدد من القادة الصليبيين أن يرسـلوا حامية من الجيش ليتمكنوا من التقدم بأمان إلى بيت المقدس تحت حمايتها وتوجيهها، فلجأ الصليبيـون إلى تأمين الطريق المذكور[139]، وكانت لهذه المساعدة الجنوية أثرها الفعال في دعم مركز الصليبيين، وتثبيت أقدامهم، وفـي دعمهـم بما احتاجوا إليه مـن أدوات، مما مكنهم مـن مواصلة الحصار والهجوم[140].

شـرع العمال الحرفيـون من الحداديـن والنجارين، بإشـراف جودفري، وريموند في إعداد آلات الحرب اللازمة، من مجانيق[141] وآلات دك الأسوار ونقبهـا، بغرض تدمير الأسـوار، تسـمى: (الدبابـة – القطـط – الكبابيش – المدك) [142]، كما صنعوا أبراجاً خشبية[143] تطل على السـور وتشرف عليه، وهي برج جودفري، وبرج تانكريد[144].

في هذه الأثناء، وبينما كان الاسـتعداد للهجوم الحاسم، كانت معاناة هؤلاء مـن افتقارهـم إلى الماء والزاد تـزداد، حيث إن بيت المقـدس يقع في منطقة جافة ليس فيها ماء، فقد وصلوا في بحثهم عن الماء حتى نهر الأردن، وكانت الأغنـام والأبقار المعدة لإطعام الجند تنفق بدورها، جوعاً وعطشاً، من شـدة الحر، وذلك رغم مسـاعدة المسـيحيين مـن أهل البلاد الذيـن أظهروا الولاء للصليبيين، فقاموا بدور المرشـدين إلـى مناطق الغابات والينابيع، الواقعة في المناطق المجاورة[145].

مع ذلك، فقد كان عليهم أن يدفعوا عن مواقعهم غارات المسلمين وكمائنهم، وسهام حامية المدينة وقذائفها، وفوق ذلك كله فقد دبّ الخلاف بين قادة الحملة،

وخصوصـــاً بيــن تانكريـــد الذي كان قد اســتولى على بيت لحـــم؛ ورفع لواءه فوقها، مما أغضب باقي القادة، كما دبّ الخلاف بينهم حول مسألة مستقبل بيت المقــدس بعد احتلالها، فاضطر رجال الدين إلى التدخل، لتهدئة الخلافات بين المتنافســين، هذا بالإضافة إلى المعاناة اليومية للجند، حيث كان يموت العديد منهــم يوميـــاً، ظمأً وحراً وجوعاً، مما دفع بالكثيريــن إلى التخلي عن الحملة، ومحاولة العودة إلى بلادهم[146].

وهــذه الخلافات تؤكد أن الصليبيين لم يكونــوا أصحاب قضية حقيقية؛ بل اهتموا بالأموال والمكاسب الشخصية، ويكشف لنا جانباً من طبائع الصليبيين في الحملات الصليبية، حين يحرص كل منهم على مصلحته الخاصة.

كـــان عـــدد الصليبيين يتناقص، وقل عددهم عما كـــان عليه من قبل، نتيجة الحـــوادث اليوميـــة، كما لم تأت الإمدادات الجديـــدة من مكان آخر، لتحل محل الذيــن كانوا يموتـــون يومياً، وعلى العكس كانت قوات المســلمين تتزايد يوماً بعــد آخر، وأعدادهـــم تتضاعف، حيث كـــان بإمكان حلفاؤهـــم حرية الدخول إلى المدينة المقدســـة، من خلال الأقســـام التي لم تكن محاصرة فأسرعوا إليها وانضموا إلى سكان المدينة[147].

مع ملاحظة حرص وليم الصوري على إبراز معاناة الصليبيين، لإظهارهم أنهم جند المسيح (Militia Christi).

لا نغفل هنا، ورود أخبار يوم 9 شـــعبان 492هـ / الأول يوليو 1099م، عن تحرك حملة من مصر لإنقاذ بيت المقدس، وأنها ســـتصل للمدينة المقدســـة في غضون شـــهر، فتسابق الصليبيون في الاســـتعداد لشن هجومهم على المدينة، قبل وصول الإمدادات المصرية[148].

أعلن رجال الكنيسة الصوم الكامل للناس بموجب قرار عام؛ يوم الجمعة 16 شعبان 492هـ / 8 يوليو 1099م، ونظموا مسيرة بالصلبان حول بيت المقدس، والحج إلى جبل الزيتون «الجبل المقدس»[149]، لإثارة حماس المهاجمين، واتجهت مراكب الصليبيين الحفاة إلى هناك، بقيادة الأساقفة رجال الدين، والقادة العسكريين، وهم ينفخون الأبواق، وعلى الجبل ألقى بطرس ديزيدريوس، وريموندا جيل قسيس ريموند، وأرنولف روز قسيس روبرت النورماندي مواعظ، ألهب بها عواطف الجند والقادة، وكان هذا من أجل إثارة الشعور الديني، وأثر ذلك إيجابياً لصالح الصليبيين، فعادوا وقد نسوا جميعهم ما كان بينهم من مشاحنات، وغمرت الجيش روح التسامح، ليعملوا يداً واحدة في سبيل «تحرير» بيت المقدس (وفق المصادر الصليبية)[150].

تم الانتهاء يوم الأحد 18 شعبان 492هـ / 10 يوليو 1099م، من صناعة وإعداد برجين كبيرين، وتم وضع أحدهما باتجاه السور الشمالي جهة باب الساهرة[151]، وتم وضع الآخر فوق قمة جبل الزيتون ناحية باب صهيون (باب النبي داوود) للارتفاع فوق أسوار المدينة[152]، ومن المؤكد أن البرجين المذكورين قد ساعدا الصليبيين مساعدة كبيرة في نجاح الحصار.

بعد أربعة أسابيع من الحصار، وفي الليلة السابقة للهجوم، ونتيجة لمقاومة المسلمين المستميتة والقوية، وقوة التحصينات في هذه الجهات[153]، أدرك الصليبيون أنه لا يمكن اقتحام المدينة المقدسة منها؛ فترك تانكريد الهجوم على برج داوود، ونقل جزءاً من معسكرهم من الجهة الشمالية إلى الجهة الشرقية، وذلك لقلة التحصينات والدفاعات فيها، ومن ثم عدم توقع المسلمين لأي هجوم من الشرق، لسبب شدة انحدار الصخور في هذه المنطقة[154].

تحرك الصليبيون نحو الجهة الشرقية، على طول الأسوار، وصولاً إلى

الباب الشمالي للمدينة المسمى باب دمشق أو (باب العمود) (باب القديس ستيفن)، حيث انضم إلى القوات الرئيسية لقائد الجيش الصليبي جودفري، الذي أصبح فيما بعد أول حاكم مسيحي لبيت المقدس، ويقول القسيس ريموندا جيل: «ولكي أطلعكم على حقيقة التحرك إلى الشمال، يجب أن أقول، أن عاملين كانا وراء تغيير مواقع الحصار، سطح الأرض هيأ اقتراب أفضل لمعدات الحرب من الأسوار، كما أن بعد وضعف هذا المكان الشمالي جعل المسلمين يتركونه بدون تحصين»[155].

وهذا دليل واضح، على أن الصليبيين كانوا يطورون عملهم، ويدركون مناطق الضعف عند المسلمين، واستثمروها لصالحهم.

قرر الصليبيون توقيت الهجوم الشامل على المدينة ليلة 20 – 21 شعبان 492 / 13–14 يوليو 1099م، باتباع أسلوب الخديعة، وذلك عن طرق الإيهام بأن الهجوم سيتم من الجهة الشمالية للسور الغربي، على أن يتم الهجوم الفعلي من الجهة الشرقية للسور الشمالي وجبل صهيون، وجعلوا هدفهم الأساسي إحضار الأبراج الخشبية وإسنادها إلى الأسوار، فتم قضاء يوم الخميس 21 شعبان 492هـ / 14 يوليو 1099م في إنجاز هذا العمل، في حين استمر المسلمون بقذفهم بالحجارة، والحمم النارية ومنها «النار الإغريقية»[156] من خلف الأسوار[157].

في مساء يوم الخميس 20 – 21 شعبان 492هـ / 13–14 يوليو 1099م، قامت القوات الصليبية بقيادة جودفري، وأخيه يوستاس، ومعهما روبرت الثاني أوف فلاندرز، وروبرت النورماندي، وتانكريد، بمحاولة التقدم من الجهة الشمالية جهة باب الساهرة نحو السور، يصحبها طمر الخندق

العريض والعميق المحفور حول المدينة من الخارج، بغية دفع آلات الحرب والأبراج المتنقلة نحوه، ولكن الرمايات الكثيفة التي نفذتها حامية المدينة، من هذه الجهة، بمختلف أنواع الأسلحة، أعاقت تقدم المهاجمين إلى حد كبير، فبينما كان المهاجمون يجهدون لدفع أبراجهم، وآلات حربهم نحو السور بغية السيطرة عليه، وعلى التحصينات القائمة خلفه، كان المدافعون يجهدون في عرقلة تقدم المهاجمين؛ برميهم بالقذائف المشتعلة، والنبال المحملة بالكبريت الملتهب والأسفلت والزيت، بالإضافة إلى ما كانت ترميه المجانيق، وآلات الحرب الأخرى من نبال وسهام وحجارة ضخمة[158]، علينا الإقرار، تاريخياً ببسالة حامية بيت المقدس البطولية، إذ ظلت صامدة في وجه ذلك الخطر، وأظهرت حاميتها تحت قيادة قراقوش شجاعة تسترعي الإعجاب، ولكن الظروف المحبطة كانت أقوى منها.

هكذا انقضى اليوم كله دون أن يحقق الصليبيون تقدماً يذكر، خصوصاً وأن رماياتهم على سور المدينة لم تكن فعّالة بالقدر الكافي، وذلك بسبب التدابير التي اتخذها المدافعون عن ذلك السور، وإن كان مدونو الأخبار اللاتينيون، يغدقون المدائح على الصليبيين؛ إلا أنهم لا يستطيعون أن يخفوا الحقيقة عن صلابة حماة المدينة من المسلمين، وكتب فوشيه الشارتري: «أخذ المسلمون يعملون ضدهم، ويسكبون الزيت والدهن المغلي، ويرمون المشاعل عليهم... وهكذا كان الموت السريع وقبل الأوان يحصد الكثيرين من المقاتلين من هذا الجانب وذاك»[159]، وهذا يكشف لنا قوة مقاومة المسلمين للصليبيين، واستعمال وسائل مختلفة للمقاومة، ومنع الصليبيين من التقدم.

أما برج القائد ريموند الصنجيلي، فقد ارتكز على السور الجنوبي الشمالي، أي من جهة جبل صهيون، ناحية باب صهيون (باب النبي داوود) باتجاه القلعة

أو حصـــن داوود، وكـــان ريموند الصنجيلي قد أعــد للهجوم قبل ثلاثة أيام من بدئـــه، أي مـــن يوم الثلاثاء 20 شـــعبان 492هـ / 12 يوليـــو 1099م، حيث طمر الخندق الذي يفصل بين الســـور من الخارج وبين موقعه، ويجعل وصوله إلى السور، مع برجه وآلاته الحربية، صعباً إن لم يكن مستحيلاً، وقد لاقى ريموند مشقة كبيرة في أداء هذه المهمة[160].

كان مـــع القائد ريموند بعض النبلاء والقادة، وفقـــاً لما ذكره ريمونداجيل، وهو شـــاهد عيان للمعركة، وقد بلغ عدد المهاجمين اثني عشر ألف مقاتل من المشاة، أو ثلاثة عشر ألف مقاتل[161]، إلا أن حاكم بيت المقدس الأمير افتخار الدولة، قام بقيادة قوات الدفاع بنفسه من تلك الجهة، ولذلك لم يتمكن المهاجمون من الاقتراب من الســـور[162]، وإحراز أي تقدم طيلة يوم الخميس 22 شـــعبان 492هـ / 14 يوليو 1099م، إذ إنهم كانوا يجابهون بنيران الحامية، ومنها «النار الإغريقية» ومعدات القذف؛ من نبال وقســـيّ وســـهام وقذائف حجرية وخرق مبللـــة بالزيت ومشتعلة وقوارير ملتهبة[163]، التي كانت تقذف عليهم من داخل السور، ومن حصن داوود أو القلعة، وكان المسلمون قد حصنوا تلك الأسوار والتحصينات؛ بأكياس مليئة بالقش والتبن، وبالحبال والمنسوجات والعوارض الخشبيـــة الضخمة والفرش المحشوة بالحرير، وكانـــت هذه تشكل، بطراوتها عازلاً بين الحجارة المقذوفة وتلك الأسوار والتحصينات[164].

مـــع ذلك، اســـتطاع ريموند الصنجيلي مســـاء يوم 22 شـــعبان 492هـ / 14 يوليو 1099م، أن يدفع ببرجه المتنقل فوق الخندق، ويبلغ به الســـور، وأحرق المسلمون البرج بالسهام المشتعلة وقتلوا كل من فيه[165]، وقد ذكر ابن الأثير: «ونصبوا عليه برجين، أحدهما من ناحية صهيون، وأحرقه المسلمون، وقتلوا كل من به»[166].

في ليلة الجمعة 22 – 23 شعبان 492هـ / 14–15 يوليو 1099م، بدأ ريموند وقواتـــه محاولة صعبة للتقدم من جبل صـهيون، قبالة باب صـهيون (باب النبي داوود)، باتجاه القلعة أو حصن داوود، وقد لقي المهاجمون مقاومة أشــد، من تلك التي لقيها المهاجمون في الجهة الشمالية بقيادة جودفري.

ومـــا إن بـــدأ الليل يقترب حتـــى بدأ النزاع يخـــفّ ورمايـــات الفريقين تقلّ تدريجيـــاً، دون أن يتخلّـــى أي منهما عن حذره وســـلاحه، ومرت ليلة الجمعة 22 – 23 شـــعبان 492هـــ / 14–15 يوليـــو 1099م، والفريقان يراقب كل منهما تحركـــات خصمه، لمنع وقوع أي ضرر عليـــه، فبينما كان المدافعون حذرين كـــي لا يتســـلل العدو إلى داخـــل المدينة؛ عن طريق إحداث ثغرة في الســـور، أو تســـلق التحصينـــات[167]، لذا كان الخوف والحذر مســـتمرين ومتبادلين بين الفريقين طيلة تلك الليلة، حيث أصبح المســـلمون يخشون ســـقوط بيت المقدس فـــي اليوم التالي، كما كان الصليبيون بدورهم خائفين من أن يدعم المســـلمون موقفهـــم، بإيجـــاد طريقـــة لحرق الآلات القريبـــة، ولهذا الســـبب حافظوا على حراسة مستمرة حول هذه الآلات، وأمضوا ليلتهم بدون نوم[168].

فـــي صبيحة اليـــوم التالي؛ أي يوم الجمعة 23 شـــعبان 492هـــ / 15 يوليو 1099م، ما لبث أن اســـتؤنف القتال، وبلغ ذروته، واعتمد المهاجمون أســـلوباً آخر في القتال، حيث هاجم جودفري السور بشكل عنيف، محاولاً أن يقرب منه ببرجه المتحرك وآلات حربه، وكان البرج مغطّى بجلود الحيوانات المسلوخة حديثـــاً، وذلك لحمايته من النار الإغريقية[169]، والتي كان يرميها المســـلمون، مما يدل على أن الصليبيين يطورون أساليبهم وفق مقتضيات الوضع.

تمكن جودفري، بعد جهد ومشقة من أن يصل ببرجه إلى حافة السور، عند

ظهر ذلك اليوم، وأن يمدَّ جسـراً يصل بين برجه وقمة سور الجدار الشمالي، علـى مقربة من باب السـاهرة، وفـي منتصف النهار تمكن اثنـان من مقاتليه وهما ليتولد وجيلبرت من تورناي[170]، من قيادة فرقة كبيرة عبر الجسـر إلى قمة السـور[171]، وتبعهم بعد ذلك جودفري بنفسه وأخوه يوستاس، فكانوا أول مـن دخل بيـت المقدس من المقاتليـن الصليبيين، وما لبث بعـد ذلك أن تدافع المهاجمون نحو السـور يتسلقونه بسلالمهم، على رأسهم روبرت الثاني أوف فلانـدرز وروبرت النورماندي وتانكريد[172]، مما جعل المدافعين يتراجعون، مذعورين، نحو الحرم الشريف لكي يجتمعوا به.

في أثناء ما كان جودفري قد احتل الجهة الشمالية، وتوغل في المدينة، كان ريمونـد والذين معه في المنطقة المجاورة، في الجهـة الجنوبية الشمالية، أي مـن جهة جبـل صهيون، جاهلين تماماً أنه تم الاسـتيلاء على المدينة، وكذلك خصمه افتخار الدولة، إلا أن صرخات الجنود المنتصرين، وصيحات الرعب والفـزع التي كانت تصدر عن المسـلمين الهاربين من وجـه المهاجمين[173]، أيقظت افتخار الدولة على الحقيقة المرة، كما نبهت ريموند إلى انتصار حلفائه في الجهة الشمالية.

هـذه الروايـة نتشكك فيها، إذ إن المدينة صغيـرة عموماً، وأي حدث كبير بها في ناحية منها، يعرفه القائمون على الحصار في الناحية الأخرى، ويهدف وليـم الصوري من وراء ذلك، إلى إضفاء البطولـة على الصليبيين، وإظهار ضعف المسلمين، من خلال الجانب الدعائي.

تراجـع افتخار الدولة ورجالـه نحو القلعة (حصـن داوود) ليعتصم فيها، وتخلـى عن البرج لريموند، تقدم ريموند إلى السـور، وأنزل الجسـر، ورفع

سلالمه إلى الأسوار، ودخل المدينة من دون مقاومة، أو دون أدنى إعاقة[174]، من قبل المسلمين الذين كانوا قد تخلوا نهائياً عن القتال، وفتح ريموند الباب الجنوبي باب صهيون (باب النبي داوود) لمقاتليه فدخلوا المدينة منتصرين[175].

هكذا سقطت بيت المقدس في أيدي الصليبيين، يوم الجمعة 23 شعبان 492هـ / 15 يوليو 1099م، وقت أذان الظهر[176]، وذلك بعد أن حاصروها 39 يوماً[177]، من يوم الثلاثاء 15 رجب 492هـ / 7 يونيو 1099م؛ إلى يوم الجمعة 23 شعبان 492هـ / 15 يوليو 1099م.

كان ذلك عرضاً عن أحداث حصار الصليبيين لبيت المقدس، أما المبحث التالي فيتناول نتائج ذلك الحصار.

المبحث الثالث:

نتائج الحصـــار

سقطت بيت المقدس بيد الغزاة الصليبيين، وكان ذلك في وقت أذان الظهر، يوم الجمعة الموافق 22 من شعبان 492هـ / 15 من يوليو 1099م، بعد حصار دام 39 يوماً، وهو من الأيام المحزنة التي لا تُنْسَى في تاريخ الأُمَّة الإسلامية.

أخذ جودفري يقسم العمل ويوزع المهام على الأمراء وقادة الفرق، فور سقوط المدينة المقدسة، فأرسل بعضهم لفتح الباب الشمالي باب دمشق أو (باب العمود) (باب القديس ستيفن)، للقوى التي كانت لا تزال خارج المدينة، فاندفع الجيش كله بصورة فوضوية إلى داخل المدينة المقدسة[178]، كما أرسل فرقة اقتحمت المدينة من الشرق، من باب الأسباط[179]، في حين قام البعض الآخر مثل تانكريد باحتلال قبة الصخرة[180].

لم يكن للمسلمين في بيت المقدس، أمل في النجاة؛ سوى الفرار إلى المسجد الأقصى (ساحة الهيكل)، للاحتماء والاعتصام فيه، لأنها واقعة في قسم

منعـــزل من المدينـــة، وكانت محمية حماية قوية بســـور وأبراج وبوابات، من وجـــه الجنود الصليبيين، الذين كانت تبدو عليهم علامات الوحشيَّة والبربرية، والذيـــن انطلقوا ليســـتبيحوا المدينة المستســـلمة، إلا أن هروبهـــم إلى هناك لم ينقذهم[181]، ولجأ بعضهم إلى القلعة، لأنها كانت قريبة من باب صهيون[182].

التقـــت قوات القائد جودفري؛ الذين دخلوا بيت المقدس من الباب الشرقي، مع قوات ريموند الذين دخلوا من الباب الجنوبي، في الوقت نفســـه تقريباً على الجبل عند المسجد الأقصى، وتبعهم حشد من الناس متعطش لدماء المسلمين، ومصمـــم تصميمـــاً كاملاً على إبادتهـــم[183]، حيث تجمعت هنـــاك أعدادٌ هائلة من المســـلمين، الذين لجـــؤوا للحرم، وهناك بدأت المذبحـــة الوحشية، فطوال يومين[184] انصرف الجنود المسيحيون لذبح كل من رأوه ليس من بني جلدتهم، ما بين رجل وامرأة وطفل، وهؤلاء هم كل ســـكان المدينة تقريباً، فقد صُفِّيَتْ تماماً، وقد أورد وليم الصوري وهو أحد مؤرِّخي الحرب الصليبية ذلك فقال: «قتلـــوا جميع من صادفوا مـــن الأعداء، بصرف النظر عـــن العمر أو الحالة ودونما تمييز»[185].

يقـــول المؤرخ الألماني هانـــس ماير: لقد أفرغ حمـــاس النصر، وتعصب الصليبي الديني، وتراكم ذكريات المشقات، التي تحملوها خلال ثلاث سنوات، في حمام دم مرعب، سقط ضحيته سكان بيت المقدس[186].

يصـــف مؤرخ Gesta المجهول، والذي كان مرافقاً للصـــليبيين، وشـــاهد عيـــان على ما اقترفه الصليبيون بحق المســـلمين العـــزل، فيقول: «فما تأتَّى لأحـــد قط أنه ســـمع أو رأى مذبحـــة كهذه المذبحة»[187]، ويقـــول كذلك: «كان رجالنا يخوضون حتى كعوبهم في دماء القتلى»[188].

يعترف فوشيه الشارتري، وهو من الذين شاركوا في اقتحام بيت المقدس، بالأسلوب الوحشي ضد سكان بيت المقدس عند اقتحام المدينة، فيقول: «لو كنت هناك لتلطخت قدماك حتى الكواحل بدماء القتلى. ماذا أقول؟ لم يبق منهم أحد ولم يرحموا امرأة ولا طفلاً»[189]، ويذكر الشارتري أيضاً: أن القوات الصليبية الغازية، لم تتردد في أن تمارس أبشع التمثيل بجثث المسلمين، حيث إن كثيراً من جثث القتلى كانت مشقوقة أو مفتوحة البطن، لما شاع من أن المسلمين كانوا يخفون ذهباً في أجسامهم، وبلغت أعداد المذبوحين في المدينة حسب التقديرات نحو أربعين ألفاً من الرجال والنساء والأطفال، أما كنيسة القيامة (كنيسة الذخيرة المقدسة)، أكثر الكنائس قداسة في العالم المسيحي، فقد تحولت إلى بركة من الدم[190].

يقول الشارتري بحماس المنتصر المتبربر: «آه، أيها اليوم المرغوب والرائع، لقد كان مرغوباً من أعماق الفؤاد، لأننا أملنا دائماً نحن المؤمنين من أهل الاعتقاد الكاثوليكي، أن نتمكن من العيش في الموطن الذي شهد رب الأرباب، الذي تجسد، رحمة بالعباد، مولداً، وموتاً، وقيامةً، (كما يعتقد المسيحيون) وتحقيقاً للخلاص، أردنا لهذا المكان أن يعود لسابق عزته وكرامته، وأردنا له، وقد دنسته أقدام وأفعال السكان الوثنيين، أن يتحرر من الأوزار»[191].

يذكر ريموندا جيل؛ أحد المشاركين المتحمّسين في تلك المذابح: «في معبد سليمان (جامع عمر بن الخطاب) وفي الرواق، خاض الصليبيون بخيولهم في الدم الذي وصل ركبهم وسروج خيولهم، ويقول: وفي رأيي أن هذا عدالة إلهية تتمثل في أن يتلقى معبد سليمان دم المسلمين الذين سبوا الرب هناك لسنوات كثيرة، وامتلأت بيت المقدس الآن بالجثث وتلطخت بالدماء»[192].

ويصف وليم الصوري نقلاً عن شاهد عيان إفرنجي لم يذكر اسمه، يصف المذبحة التي أحدثها الصليبيون ببيت المقدس بقوله: «شاهدنا أشياء عجيبة إذ قطعت رؤوس عدد كبير من المسلمين، وقتل غيرهم رمياً بالسهام، أو أرغموا على أن يلقوا بأنفسهم من فوق الأبراج... وكنا نرى في الشوارع أكوام الرؤوس والأيدي والأقدام»[193]، ويصف الأسقف وليم الصوري هذه المذبحة، وصفاً تقشعرّ له الأبدان، فقال: «فقد انتشرت المذابح المخيفة في كل مكان، وتكدست الرؤوس المقطوعة في كل ناحية، بحيث تعذر الانتقال على الفور من مكان لآخر إلا على جثث المقتولين»[194].

وأورد كذلك: «واجه الذين نجوا من أعمال التخريب التي قام بها الدوق ورجاله، وهربوا إلى الأجزاء الأخرى من المدينة، واعتقدوا أنهم قد نجوا بطريقة ما من الموت، واجهوا هذه المجموعة من المحاربين المسيحيين، وهكذا كان مثلهم مثل المستغيث من الرمضاء بالنار، ولقد كانت المجزرة التي اقترفت في كل مكان في المدينة مخيفة جداً، وكان سفك الدماء رهيباً جداً، لدرجة عانى منها حتى المنتصرون من أحاسيس الرعب والاشمئزاز»[195].

واعترف ذلك المؤرخ: «أنه بات من المحال النظر إلى الأعداد الكبيرة للمقتولين دون هلع، فقد انتشرت أشلاء الجثث البشرية في كل مكان، وكانت الأرض ذاتها مغطاة بدم القتلى، ولم يكن مشهد الجثث التي فصلت الرؤوس عنها والأضلاع المبتورة والمتناثرة في جميع الاتجاهات هو وحده الذي أثار الرعب في كل من نظر إليها، فقد كان الأرهب من ذلك هو النظر إلى المنتصرين أنفسهم وهم ملطخون بالدم من رؤوسهم إلى أقدامهم»[196]، ويضيف: «طاف بقية الجنود خلال المدينة بحثاً عن التعساء الباقين على قيد الحياة، والذين يمكنهم أن يكونوا مختبئين في مداخل ضيقة وطرق فرعية

للنجاة من الموت، وسحب هؤلاء على مرأى الجميع وذبحوا كالأغنام»[197].

ويذكر المؤرخ ستيفن رانسيمان؛ أن مذبحة بيت المقدس تركت أثراً عميقاً في جميع العالم، وأن عدد ضحاياها ليس معروفاً بالضبط، وأن بيت المقدس خلت بعد هذه المذبحة من سكانها المسلمين واليهود، لقد كانت مجزرة تَطَهُّر عرقيّ بمعنى الكلمة[198]، لا نغفل هنا، ملاحظة أن المؤرخ البريطاني المسيحي، وصف الحروب الصليبية، بأنها آخر الغزوات البربرية Last of Barbarian invasions.

واقع الأمر، كشفت تلك الأحداث عن الوجه الدموي البغيض للحركة الصليبية على نحو كان له تأثيره المباشر في العلاقات بين الطرفين؛ المسلمين والصليبيين.

لا شك أن رجال الدين المسيحيين، كان لهم دور أساسي في هذه المذبحة، فقد كانوا يحفزون الصليبيين للانتقام للسيد المسيح، ابتداءً من البابا أوربان الثاني، وانتهاء برجال الدين المرافقين للحملة الصليبية[199].

كانت تتخلل المجازر وعمليات النهب والسلب، الصلوات المحمومة أمام قبر المسيح (كما يعتقد المسيحيون)، ومن الصلوات؛ كان الفرسان ينتقلون في الحال إلى الأعمال الدموية، كانوا يقتلون الجميع من رجال ونساء، وأطفال وشيوخ، وأصحاء ومقعدين، لم يكن بوسع المسلمين أن يتحاشوا فيه الصليبيين، وكانوا يسحقون رؤوس الرضع على الحجارة[200].

لقد قدر ابن الأثير عدد القتلى من المسلمين بما يزيد على سبعين ألفاً[201]، كان بينهم عدد من الأئمة والعلماء والزهاد[202]، ويقول ابن الأثير: «وقتل الفرنج بالمسجد الأقصى، ما يزيد على سبعين ألفاً، منهم جماعة كثيرة من

أئمة المسلمين، وعلمائهم، وعبّادهم، وزهّادهم، ممن فارق الأوطان، وجاور بذلك الموضع الشريف»[203]، ومع ذلك ليس في مقدورنا التأكد من صحة هذا الرقم، وإن كان عموماً رقماً ضخماً.

إضافة إلى المسلمين، كان اليهود أول ضحايا الصليبيين وبربريتهم، حيث كان يعيش في الحي اليهودي في بيت المقدس؛ زهاء المائتي يهودي، على مقربة من برج داوود، حيث سمح لهم افتخار الدولة بالبقاء في المدينة المقدسة[204]، بينما أمر المسيحيين بالخروج منها؛ فقد لجأ اليهود إلى معبدهم الكبير، إلا أن الصليبيين أحرقوا المعبد وهم بداخله، فقضوا جميعهم حرقاً بحجة أنهم ساعدوا المسلمين[205]، ويقول ابن القلانسي في ذلك، وهو قد عاش هذه الفترة: «وقتل خلق كبير وجمع اليهود في الكنيسة وأحرقوها عليهم»[206].

أما قائد الحامية الفاطمية افتخار الدولة، فقد طلب من ريموند الأمان لكي يخرج ورجاله من القلعة، ويغادروا المدينة، حيث إنه احتمى هو ورجاله في القلعة أو حصن داوود، بعد سقوط المدينة، وتخلى عن قتال ريموند، واعتصموا به ثلاثة أيام، ثم في ظروف غامضة، أمنه ريموند، وخرج هو ورجاله، حيث رحلوا إلى عسقلان[207]، ومنها إلى مصر، دون أن يلحقهم أذى، مما يؤكّد أنهم اتفقوا مع الصليبيين على تسليم المدينة مقابل الأمان لهم[208]، وقد ذكر ابن الأثير، أنه لم ينجُ من سكان بيت المقدس سوى قائد الحامية الفاطمية افتخار الدولة وعدد من رجاله[209].

بعد المجزرة الكبيرة، والانتهاء من القتل، بدأت عمليات النهب، حيث تشكلوا في زمر، واقتحموا المنازل، وادعى كل واحد من المغيرين؛ ملكية دائمة للمنزل الذي كان قد اقتحمه، وذلك بالإضافة إلى تملك كل ما كان

موجوداً فيه، لأن الصليبيين كانوا قد اتفقوا قبل الاستيلاء على المدينة، أن كل رجل يحصل على أي شيء بعد الاستيلاء على المدينة بالقوة يكون حقاً له، وملكاً له للأبد، ونتيجة لهذا فتّش الصليبيون المدينة بدقة، وقتلوا سكانها بجرأة، وعلق كل منتصر درعه وأسلحته عند مدخل البيت الذي استولى عليه، كإشارة لكل من يقترب منه حتى لا يتوقف عنده[210].

ويقول فوشيه الشارتري: «تفرق الصليبيون على بيوت المدينة، ونهبوا كل ما وجدوه فيها، وفي هذه الحال قامت عادة مفادها، أن كل من يكون أول الداخلين إلى البيت، سواء كان غنياً أو فقيراً، يتلقى ويملك البيت، وكل ما فيه، بوصفه مالكاً»[211].

ذكر ابن الأثير أن تانكريد أخذ من قبة الصخرة، «نيفاً وأربعين قنديلاً من الفضة، وزن كل قنديل ثلاثة آلاف وستمائة درهم، وأخذوا من القناديل الصِّغَارِ مِائَةً وخمسين قنديلاً نُقْرَةً، ومن الذهب نيفاً وعشرين قنديلاً»[212].

أصدر قادة الصليبيين أمراً بطرح جثث المسلمين خارج بيت المقدس، التي امتلأت بالجثث لحرقها، خشية انتشار الأوبئة، ولشدة النتن المتصاعد منها، وقام بهذه المهمة العدد القليل من المسلمين الذين وقعوا أسرى بيد الصليبيين ولم يقتلوا، وفقراء الجيش الصليبي مقابل راتب يومي، وألقوهم أمام أبواب المدينة، وتعالت أكوامهم حتى حاذت البيوت ارتفاعاً[213].

تلقت الدولة الفاطمية تلك الأخبار، وظلت تغط في سباتها العميق، وكذلك الخلافة العباسية، واتجه قاضي دمشق زين الدين أبو سعد الهروي، ليخبر الخليفة العباسي بالكارثة التي حلت بالمسلمين في الشام، اجتمع في بغداد المستنفرون من دمشق[214]، ويقول سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان:

«وحضروا في الديوان وقطعوا شعورهم واستغاثوا وبكوا، وقام القاضي في الديوان، وأورد كلاماً أبكى الحاضرين»[215]، كل ذلك والخلافة العباسية لم تحرك ساكناً، وكذلك السلطان بركياروق[216].

في الوقت الذي عمَّت الفرحة أرجاء العالم المسيحي بسقوط بيت المقدس، حيث تحقق الهدف الرئيسي من الحملة، ولكن البابا أوربان الثاني لم يسعد بسماع أخبار ما خطط له، فقد مات في 8 رمضان 492هـ / 29 من يوليو 1099م[217]، أي بعد سقوط بيت المقدس بأسبوعين، ولكن نقل الخبر من بيت المقدس إلى روما يأخذ وقتاً طويلاً[218]، ولم يترك قبل وفاته أية أوامر بصدد نظام الأرض المقدسة المقبل[219].

سرعان ما برزت المصالح الشخصية للمشتركين في الحملة، وحدث خلاف بعد يومين من السيطرة على المدينة، وتحديداً في 17 من يوليو 1099م / 25 شعبان 492ه، حيث اجتمع الزعماء المتناحرون، الطموحون لتنازع سلطة حكم بيت المقدس، وعلى الأخص بين قادتهم العسكريين ورجال الدين؛ حيث ألحت الأوساط العليا من رجال الدين، على تحويل بيت المقدس إلى دولة كنسية[220].

وقد ذكر ريموندداجيل الذي حضر الاجتماع، أنه تجمع رجال الدين وعبروا للأمراء عن رأيهم: «إننا نشيد بتحرككم، ولكن لما كانت المسائل الروحية تسبق المسائل الدنيوية، فإن السلوك المستقيم الصحيح، يتطلب أن تنتخبوا أولاً قائداً روحياً، ثم بعد ذلك تنتخبون حاكماً علمانياً، وإذا لم تفعلوا ذلك، فلن نعترف باختياركم»[221].

حيث كان حكم بيت المقدس شرفاً ورفعة؛ فالذي سيحكم بيت المقدس

سيُصبح قِبْلَة النصارى من مشارق الأرض ومغاربها، وسينال وضعاً خاصّاً في الكنيسة العالميَّة، سواء كانت الغربيَّة أو الشرقيَّة أو الأرمينيَّة أو غيرها، فبيت المقدس محطُّ أنظار كلِّ الديانات.

كان المتنازعون على حكم بيت المقدس، زعماء الحملة الصليبيَّة الذين لم يغنموا بمُلْكٍ بعدُ، ولم يحصلوا على ما حصل عليه بلدوين في الرها، أو بوهيموند في أنطاكية، فهناك جودفري أمير الجيش، وهناك أيضاً ريموند الرابع صديق البابا أوربان الثاني، وهناك دون أدنى شكٍّ أطماع الكنيسة الكاثوليكيَّة[222].

اجتمع الزعماء الصليبيون يوم الأحد 24 شعبان 492هـ / 17 من يوليو 1099م، ليختاروا مَنْ يتولَّى زعامة بيت المقدس، ومع أن الأمير ريموند كان أغزر مالاً وأعظم ثروة، وكان أكثر طموحاً في التملُّك، إلا أن الأمراء اجتمعوا على اختيار جودفري ليكون حاكماً لبيت المقدس، لأنهم في وجوده سيكون لهم رأي وأطماع، على العكس من ريموند الذي يتصلَّب في رأيه، ولا يقبل أحداً معه في الحكم[223].

حاول جودفري عند ولايته لبيت المقدس أن يُبْدِي شيئاً من التواضع يتناسب مع المهمَّة الدينيَّة، فرفض لقب أمير أو ملك، واختار أن يُلقَّب بلقب ديني يدلُّ على تواضعه وهو «حامي بيت المقدس»، كما رفض أن يَلْبَسَ تاجاً من الذهب والمجوهرات؛ في بلدٍ لَبِسَ فيه المسيح تاجاً من الشوك[224].

غيّر الصليبيون أوضاع المدينة المقدسة تماماً، فاستبعدوا القساوسة الأرثوذكس من كنيسة القيامة، ممَّا أثار استياء المسيحيين المحلِّيِّين، كما أَجْبَرَ جودفري القساوسة الأرثوذكس على إعادة صليب الصَّلبوت[225] (الصليب

الأعظم)، ولم يَعُدْ أمام الأرثوذكس في بيت المقدس سِوَى قَبُول هذا الوضع، بعد فقدانهم الأمل في تعيين بطريرك أرثوذكسي؛ ليفتقد المسيحيُّون الشرقيُّون جزءاً كبيراً من الحريَّة التي كانوا يَنْعَمُون بها في ظلِّ حُكْمِ المسلمين.

بسقوط بيت المقدس تكونت مملكة بيت المقدس، وهي ثالثة الإمارات الصليبية بعد إمارة الرها، وإمارة أنطاكية[226]، لقد كانت وقائع وأياماً لا يستطيع المسلم أن ينساها، فإذا كانت المدينة لمدة ستة أشهر بعد المذبحة تتصاعد منها روائح الجثث، فإن المذبحة ظلت في ذاكرة المسلمين لنحو تسعين عاماً حتى جاء من يحررها من الصليبيين، ويعيدها مدينة إسلامية خالصة، في يوم السبت 25 ربيع الثاني 583هـ / 4 يوليو 1187م.

ذلك عرض عن حصار الصليبيين لبيت المقدس، خلال الحملة الصليبية الأولى، أما الفصل التالي فيتناول حصار الصليبيين لمدينة دمشق.

هوامش الفصل الثاني:

1 – غريغوري السابع: كان راهباً من أصل توسكاني، تولى الكرسي البابوي من عام 465هـ / 1073م، اتهمه أعداؤه بحب السيطرة والسيادة، وفي عهده بدأ الكفاح العنيف بين البابوية والإمبراطورية على الأمور الدنيوية، وفي عهده استقلت البابوية استقلالاً تاماً في الناحيتين الدينية والسياسية، م. هارتمان، ج. باراكلاف، الدولة والإمبراطورية في العصور الوسطى، ترجمة: جوزيف نسيم يوسف، ط: الثانية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية: مصر، 1984م، ص49 – 50.

2 – قاسم، قاسم عبده، ماهية الحروب الصليبية، ص87.

3 – قاسم، قاسم عبده، ماهية الحروب الصليبية، ص81 – 82، للمزيد عن خطاب البابا أوربان الثاني، انظر: عوض، محمد مؤنس، السيد محمود، هنادي، خطاب البابا أوربان الثاني في كليرمونت 27 نوفمبر 1095م.

4 – قاسم، قاسم عبده، ماهية الحروب الصليبية، ص7.

5 – الشارتري، تاريخ الحملة، ص41.

6 – الأراتقة: ترجع تسميتهم إلى زعيمهم الأمير أرتق بن أكسك التركماني الأصل، والذي يعتبر مؤسس دولة الأراتقة سنة 1076م، وكان يعمل أميراً في جيش السلاجقة، وتمكن من الاستيلاء على بيت المقدس من أيدي الفاطميين، خليل، عماد الدين، الإمارات الأرتقية في الجزيرة الفراتية والشام، مؤسسة الرسالة، بيروت: لبنان، 1980م.

7 – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 8/424، الزبدة، عبلة، صلاح الدين وتحرير القدس، ص33.

8 – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، 1/221؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 8/424.

9 – بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص255.

10 – عاشور، سعيد، الحركة الصليبية، 1/214.

11 – نفس المرجع، 1/215.

12 – نفس المرجع، 1/216.

13 – عاشور، سعيد، الحركة الصليبية، 1/218.

14 – للمزيد انظر: بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص256 – 257.

15 – بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص258؛ ريموندا جيل، تاريخ الفرنجة، ص164؛ عاشور، سعيد، الحركة الصليبية، 1/217.

16 – يقول ريموندا جيل: «بسبب هذه الخلافات انقسم الأمراء، وتكلموا بشكل عنيف، حتى كادوا يستخدمون أسلحتهم»، تاريخ الفرنجة، ص165.

17 – عاشور، سعيد، الحركة الصليبية، 1/222.

18 – ريموندا جيل، تاريخ الفرنجة، ص165؛ عاشور، سعيد، الحركة الصليبية، 1/222 – 223.

19 – ابن العديم، زبدة الحلب من تاريخ حلب، 1/244.

20 – معرة النعمان: مدينة كبيرة قديمة ومشهورة من أعمال حمص، في منتصف الطريق بين حلب وحماة، ياقوت الحموي، معجم البلدان، 5/156؛ ويقول عنها صاحب سفر نامه: هي مدينة عامرة لها سور مبني، وأسواقها عامرة وافرة العمران، وزراعة السكان كلها قمح وهو كثير وفيها شجر وفير، وانتسب إليها أبو العلاء المعري وكان واسع الثراء ومع ذلك كان زاهداً، خسرو، سفر نامه، ص55 – 56.

21 – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 8/420، ابن العديم، زبدة الحلب من تاريخ حلب، 1/244.

22 – ابن العديم، زبدة الحلب من تاريخ حلب، 1/244.

23 – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، 1/136.

24 – زبدة الحلب، 1/244.

25 – الكامل في التاريخ، 8/420،

26 – بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص262؛ زابوروف، ميخائيل، الصليبيون في الشرق، ص110 – 111.

27 – للمزيد عن حصار معرة النعمان، انظر: مجهول، أعمال الفرنجة، ص103 – 104؛ بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص260 – 262؛ ريموندا جيل، تاريخ الفرنجة، ص168 – 169؛ ابن العديم، زبدة الحلب من تاريخ حلب، 1/244، 245؛ عاشور، سعيد، الحركة الصليبية، 1/216 – 223.

28 – يذكر ريمونداجيل: أنه عرض رشوة على جودفري وروبرت النورماندي عشرة آلاف صولدي لكل منهما، وروبرت من الفلاندر ستة آلاف صولدي، وتانكريد خمسة آلاف صولدي وحصانين، والزعماء الآخرين، حسب مكانتهم، إلا أن الأمراء، ما عدا تانكريد رفضوا هذه العروض، ريمونداجيل، تاريخ الفرنجة، ص107 – 171؛ زابوروف، ميخائيل، الصليبيون في الشرق، ص111.

29 – يقول المؤرخ ماير، هانس أبراهارد، أنه نحو عيد الميلاد، عرض قسم كبير من الجيش الصليبي على ريموند كونت تولوز أن يتولى القيادة العليا، إذا ما قاد الحملة للقدس، وقبل ريموند العرض، ماير، هانس أبراهارد، تاريخ الحروب الصليبية، ص91.

30 – وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، 2/39.

31 – ريمونداجيل، تاريخ الفرنجة، ص171؛ عاشور، سعيد، الحركة الصليبية، 1/224؛ زابوروف، ميخائيل، الصليبيون في الشرق، ص111.

32 – بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص289.

33 – مجهول، أعمال الفرنجة، ص107؛ ريمونداجيل، تاريخ الفرنجة، ص181؛ بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص289؛ ماير، هانس أبراهارد، تاريخ الحروب الصليبية، ص91.

34 – زابوروف، ميخائيل، الصليبيون في الشرق، ص119.

35 – كفر طاب: بلدة صغيرة من جند حمص غربي حلب، بين معرة نعمان وحلب، على بعد عشرين كيلومتراً إلى الجنوب من معرة النعمان، وبينها وبين معرة النعمان وشيزر اثنا عشر ميلاً، ياقوت الحموي، معجم البلدان، 4/470؛ القلقشندي، صبح الأعشى، 4/125.

36 – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، 218؛ بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص289.

37 – طرابلس: هي على شاطئ البحر، وبها أسواق حافلة، وهي كثيرة الثمار والخيرات،

ولها بساتين جليلة في شرقيها، وتتصل بالمدينة سبخة كبيرة يرفع منها الملح الكثير، غزا عمرو بن العاص طرابلس عام 23هـ/644م، فحاصرها شهرين، ياقوت الحموي، معجم البلدان، 4/25، للمزيد عنها، انظر: سالم، السيد عبد العزيز، طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية: مصر، 1966م.

38 – ماير، هانس أبراهارد، تاريخ الحروب الصليبية، ص92.

39 – عاشور، فايد حماد، جهاد المسلمين في الحروب الصليبية، مؤسسة الرسالة، بيروت: لبنان، 1401هـ، ص107 – 108.

40 – ماير، هانس أبراهارد، تاريخ الحروب الصليبية، ص92.

41 – كانت أهم الإمارات العربية إمارتي بني منقذ وبني عمار، وكانت بنو منقذ وبنو عمار العائلتين البارزتين، وكانت عائلة بني منقذ في شيزر، وكانت تسيطر على الأراضي الواقعة أمام الصليبيين مباشرة من نهر العاصي إلى الساحل، وكانت عائلة بني عمار في طرابلس، وتسيطر على الخط الساحلي الممتد من أواسط لبنان إلى حدود الفاطميين، وإذا أراد الصليبيون التقدم فإن صداقتهم أو على الأقل حيادهم يعتبر شيئاً أساسياً للحملة، رانسيمان، الحضارة البيزنطينية، 1/220 – 221.

42 – عاشور، سعيد، الحركة الصليبية، 1/227.

43 – الحدم، بشير، مواقف بعض القوى الإسلامية المساندة للغزو الصليبي في بلاد الشام ومصر، ص70.

44 – ابن منقذ، مؤيد الدولة أبو المظفر أسامة بن مرشد بن علي الشيرازي، (ت: 584هـ/1188م)، الاعتبار، تحقيق: سهيل زكار، ط: الأولى، دار الفكر، دمشق: سوريا، 1415هـ/1995م، ص65 – 81.

45 – قاسم، قاسم عبده، ماهية الحروب الصليبية، ص127.

46 – مؤنس، حسين، نور الدين محمود سيرة مجاهد صادق، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة: مصر، 1378هـ – 1959م، ص85.

47 – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 8/420، إنما اكتفى بعبارة وراسلهم منقذ صاحب شيزر فصالحهم عليها؛ بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص289؛ عاشور، سعيد، الحركة الصليبية، 1/227 – 228.

48 – مصيـاف: حصن حصين بالسـاحل الشامـي قرب طرابلس، فتحها المسـلمون عام 15هـ/636م بقيـادة أبـي عبيدة بن الجراح سـلماً، اسـتولى السـلاجقة علـى المدينة عام 386هـ/996م، وبقيـت بأيديهم حتى عام 389هـ/999م، حيث عادت من جديـد للصليبيين، الذيـن وقعـوا اتفاقاً بين كونت طرابلس وطغتكين أتابـك دمشق نص على حماية مصياف مـن الغـزوات الصليبية لقـاء جزية سـنوية، انتقلت مصيـاف بعد ذلك ليـد بني مرداس عـام 420هـ/1029م، واسـتمرت بيدهم حتى عام 521هـ/1127م، لأهميـة موقعها بين دمشق وطرابلس، أصبحت مصياف من أعظم قلاع الإسـماعيلية المعروفة بالحشاشيين في بلاد الشام، ومركز دعوتهم الرئيسية هناك، ياقوت الحموي، معجم البلدان، 5/144؛ القلقشندي، صبح الأعشى، 4/113.

49 – رفنيـة: كـورة ومدينة بين حلب وأنطاكية، من أعمال حمـص يقال لها رفنية تدمر، وقال قوم رفنية بلدة عند طرابلس من سواحل الشام، ياقوت الحموي، معجم البلدان، 3/55.

50 – بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص290.

51 – حصـن الأكـراد: حصن منيع على الجبل الذي يقابل حمـص من جهة الغرب، وهو جبـل الجليل المتصـل بجبل لبنان، وهو بين بعلبك وحمص، وكـان بعض أمراء الشام قد بنـى في موضعه برجاً وجعل فيه قوماً من الأكـراد طليعة بينه وبين الفرنج، وأجرى لهم أرزاقاً فتدبروها بأهاليهم، ثم خافوا على أنفسهم في غارة فجعلوا يحصنونه إلى أن صارت قلعـة حصينة منعـت الفرنج عن كثير من غاراتهم، فنازلـوه فباعه الأكراد منهم ورجعوا إلى بلادهم وملكه الفرنج، وبينه وبين حمص يوم، ياقوت الحموي، معجم البلدان، 2/264، للمزيد انظر: سـعيد، مرفت، حصن الأكراد ودوره في الصراع الصليبي الإسلامي (589 – 690هـ/1193 – 1291م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، مصر، 1992م.

52 – بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص290؛ عاشـور، سـعيد، الحركة الصليبيـة، 1/229، تذكر بعض المراجع: قام السـكان بعمل مكيـدة للصليبيين، حيث قاموا بإخراج بعض قطعان الماشـية من أحد أبواب القلعة، فانصرف الصليبيون إلى الإمسـاك بهـذه الغنيمة حتى تفرقـوا، وفي هذا الوقت خرجت قوة من القلعـة فتكت بالصليبيين، بل إنها كادت أن تأسـر ريموند بعد أن تركه حرسـه، وشـعر الصليبيون بالعار، لذلك قرروا مهاجمـة القلعة فـي اليوم التالي، ولكنهم حينمـا وصلوا إليها اكتشفوا أن السـكان هجروا

القلعـة، الحدم، بشير، مواقف بعض القوى الإسـلامية المسـاندة للغـزو الصليبي في بلاد الشام ومصر، ص73.

53 – الكامل في التاريخ، 8/420.

54 – بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص290؛ مجهول، أعمال الفرنجة، ص274؛ عاشور، سعيد، الحركة الصليبية، 1/229.

55 – عرقة: بلدة شـرق طرابلس، من أعمال دمشق، يبعد البحر المتوسـط منها على بعد ثلاثة أميال، ولها في وسـطها حص عالٍ حصين، ياقوت الحموي، معجم البلدان، 4/109؛ ابن شـداد، يوسـف بن رافع بن تميم بن عتبة الأسدي الموصلي، أبو المحاسن، بهاء الدين ابن شداد، (ت: 632هـ/1234م)، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية (سيرة صلاح الدين الأيوبي)، تحقيق: محمد حسـني مصطفى، ط: الأولى، دار القلم العربي، حلب: سـوريا، 1421هـ–2001م، القلقشندي، صبح الأعشى، 14/145.

56 – بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص291؛ مجهول، أعمال الفرنجة، ص110؛ ريموندااجيل، تاريخ الفرنجة، ص185.

57 – أنطرطوس: من أعمال طرابلس مطلة على البحر المتوسـط، شـرقي عرقة، بينهما ثمانية فراسـخ، 27 ميلاً (44 كم)، ولها برجان حصينان كالقلعتين، ياقوت الحموي، معجم البلدان، 1/270.

58 – بطـرس توديبـود، تاريخ الرحلة إلى بيـت المقـدس، ص291؛ ريمونداجيل، تاريخ الفرنجة، ص186؛ عاشور، سعيد، الحركة الصليبية، 1/230؛ ماير، هانس أبراهارد، تاريخ الحروب الصليبية، ص92.

59 – جبلـة: قلعة مشهورة بسـاحل الشام من أعمال حلب قـرب اللاذقية، فتحها عبادة بن الصامـت عام 17هـ/638م، أخذها الروم من المسـلمين عام 357هـ/968م، بعد وفاة سـيف الدولة بسنة، ولم تزل بأيديهم إلى عام 473هـ/1050م، ياقوت الحموي، معجم البلدان، 2/105.

60 – كانـت من المفروض أن تكون مدينة جبلـة تابعة لأمير طرابلس، ولكن القاضي أبو محمود عبيد الله بن منصور اسـتطاع أن يسـتقل بها عن نفوذ بني عمار، عاشور، سعيد، الحركة الصليبية، 1/231.

61 – بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص291.

62 – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 8/420؛ مجهول، أعمال الفرنجة، ص276.

63 – بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص292؛ عاشور، سعيد، الحركة الصليبية، 1/230؛ باركر، إرنست، الحروب الصليبية، ص33.

64 – سلك الطريق الساحلي، حتى يتجنبوا المقاومة التي من المؤكد أن يبديها سكان الأقاليم الداخلية، التي يحكمها دقاق ملك دمشق، ومن جهة أخرى سيكون من الأيسر لهم الاتصال بالصليبيين في أنطاكية، والحصول على المؤن من السلطات البيزنطية في قبرص والجزر الأخرى، عكس رأي تانكريد الذي رأى أن يسلك الصليبيون طريقاً مستقيماً إلى بيت المقدس، حتى يتجنبوا القيام بجهد الاستيلاء على المواقع الساحلية، وقد تناقص عددهم، متناسياً خطر دقاق، ريموندداجيل، تاريخ الفرنجة، ص182 – 183.

65 – فخر الملك أبو علي بن عمار: صاحب طرابلس كان من دعاة الرجال، وأفراد الزمان شجاعة، وإقداماً، ورأياً، وحزماً، ابتلي بلده بحصار الفرنج خمسة اعوام، وهو يقاومهم، وينكأ بالعدو، ولم ينجده أحد، وكان حسن التدبير في الحصار، حتى تفانت رجاله، فخرج إلى دمشق، وأخذت منه طرابلس عام 1109م/502هـ، الذهبي، سير أعلام النبلاء، 14/313.

66 – عاشور، سعيد، الحركة الصليبية، 1/230.

67 – مجهول، أعمال الفرنجة، ص277.

68 – مجهول، أعمال الفرنجة، ص109 – 113؛ ريموندداجيل، تاريخ الفرنجة، ص185 – 216؛ بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص290 – 292.

69 – عاشور، سعيد، الحركة الصليبية، 1/238.

70 – زابوروف، ميخائيل، الصليبيون في الشرق، ص119.

71 – صور: مدينة بساحل لبنان شمالي عكا، بينها وبين عكا ستة فراسخ 53 ميلاً (33 كم)، ياقوت الحموي، معجم البلدان، 3/433.

72 – البترون: تقع جنوبي طرابلس، وقد غادر الصليبيون طرابلس في 22 جمادى الآخرة 492هـ/16 مايو 1099هـ، ووصلوا البترون في 22 أو 23 جمادى الآخرة 492هـ/16 أو 17 مايو 1099م، بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص309.

73 – جبيل: وهي مدينة بيبلوس القديمة، توجد قلعة صليبية أسفل الأنقاض القديمة، نفس المصدر، نفس الصفحة؛ عامر، سامية أحمد محمد، جبيل تحت حكم اللاتين وعلاقاتها

السياسية بالمسلمين فى الشرق الأدنى فى عصر الحروب الصليبية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، 1983م.

74 – بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص294؛ سويد، ياسين، حروب القدس في التاريخ، ص54؛ ماير، هانس أبراهارد، تاريخ الحروب الصليبية، ص92.

75 – بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص294؛ عاشور، سعيد، الحركة الصليبية، 1/239.

76 – سويد، ياسين، حروب القدس في التاريخ، ص54.

77 – ريموندا جيل، تاريخ الفرنجة، ص194؛ بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص294 – 299؛ وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، 1/399، 1/358.

78 – حيفا: هي إحدى المدن الفلسطينية الواقعة على البحر المتوسط، وتعد منفذاً لمرج بن عامر، استولى الصليبيون على حيفا سنة 493هـ/ 1100م، وعادت للمسلمين في عهد السلطان ظاهر بيبرس عام 663هـ/ 1265م، وصفها الرحالة ناصر خسرو بأنها «مشيدة على البحر. وبها نخل وأشجار كثيرة»، ووصفها ياقوت الحموي بأنها «حصن على ساحل بحر الشام قرب يافا»، ناصر خسرو، أبو المعين ناصر خسرو علوي، (ت: 482هـ/1088م)، سفر نامه، تحقيق: يحيى الخشاب، تصدير: عبد الوهاب عزام، ط: الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة: مصر، 1413هـ – 1993م، ص53.

79 – قيسارية: تعد من أجمل مدن فلسطين، وجعلها الرومان عاصمة فلسطين الأولى، وعرفت في البداية باسم دور DOR، كما عرفت باسم برج ستراتو، وقام حاكم هيرود بإعادة بنائها وسماها قيسارية، وتبعد عن عكا 21 ميلاً، وتشتهر قيسارية بخصوبة أرضها، استولى عليها الفرنجة في 494هـ/1101م، واستعادها الظاهر بيبرس سنة 663هـ/1265م، ناصر خسرو، سفر نامه، ص54؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، 4/421، حسين، حسن عبد الوهاب، قيصرية الشام في التاريخ الإسلامي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية: مصر، 1987م.

80 – عيد العنصرة: من أعياد النصارى ويأتي بعد عيد القيامة بخمسين يوماً، ويحتفل به بحلول الروح القدس على الرسل، القلقشندي، صبح الأعشى، 2/455.

81 – بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص294.

82 – أرسوف: مدينة فلسطينية تقع على بعد ثلاثة فراسخ، جنوب قيسارية كانت تدعى أبولونيا (apollania) في العهد الروماني، أما الاسم أرسوف فيرجع إلى الإله السامي (رسف)، الذي كان نظيره الإله اليوناني (أبولو) وهو إله الخير والخصب، سقطت بيد الفرنج بعد محاولات عدة سنة 493هـ/1100م، وأصبحت إمارة إقطاعية؛ حررها الظاهر بيبرس سنة 663هـ/1265م. عادت قرية بعد أن كانت إقطاعية، ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص139؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، 1/151؛ عوض، محمد مؤنس، في الصراع الإسلامي الصليبي معركة أرسوف 1191م/587هـ، ط: الأولى، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة: مصر، 1997م.

83 – الرملة: مدينة قديمة وجدت في العصر البيزنطي، جدد بناءها سليمان بن عبد الملك، عندما كان أميراً على فلسطين؛ قيل سماها بهذا الاسم لكثرة الرمال، وقيل سميت بذلك نسبة إلى امرأة تدعى رملة، وأعتقد أن الرأي الأول وهو الصحيح، وصفها الجغرافيون بالحسن والجمال، وهي ذات تجارة رائجة، وتعد الممر الذي يصل مدينة يافا ببيت المقدس، ولها قلعة حصينة هدمها صلاح الدين بعد أن حررها من الفرنج، وبالقرب منها توجد كنيسة يرقد بها جثمان القديس جورج، اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، (ت: 284هـ/896م)، كتاب البلدان، تحقيق: محمد أمين ضناوي، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت: لبنان، 1423هـ – 2002م، ص116؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، 3/69؛ القلقشندي، صبح الأعشى، 4/103.

84 – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، 1/218؛ مجهول، أعمال الفرنجة، ص114؛ بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص294؛ الشارتري، تاريخ الحملة، ص69؛ وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، 1/399 – 400.

85 – مجهول. أعمال الفرنجة، ص277؛ الشارتري، تاريخ الحملة إلى القدس، ص70؛ وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، 1/400.

86 – اللد: من أشهر المدن الفلسطينية، تقع في الجنوب الشرقي من يافا، وعلى بعد نحو 13 ميلاً منها، وهي تقع في الشمال الشرقي من الرملة، وعلى بعد ثلاثة أميال (2 كم)، وقد أحرقها الرومان عدة مرات ثم أعادوا بناءها، وأطلق عليها فاسبسيانوس اسم ديوسبولس بمعنى مدينة الإله، اليعقوبي، البلدان، ص166.

87 – لمزيد من التفاصيل عن سقوط المدن والحاميات الإسلامية في بلاد الشام بيد

الصليبيين أثناء مسيرتهم من معرة النعمان وحتى وصولهم إلى بيت المقدس، وكذلك موقف الإمارات الإسلامية من ذلك، انظر: بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص289 – 294؛ مجهول، أعمال الفرنجة، ص107 – 114؛ ريموندداجيل، تاريخ الفرنجة، ص181 – 234؛ الشارتري، تاريخ الحملة، ص69 – 70؛ الشيخ، محمد محمد مرسي، الإمارات الإسلامية في بلاد الشام، الإسكندرية: مصر، 1980، صفحات متفرقة.

88 – زابوروف، ميخائيل، الصليبيون في الشرق، ص120.

89 – عمواس: هي ضيعة جليلة على بعد ستة أميال (9 كم) من الرملة، على طريق القدس، وإليها ينسب الطاعون في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، ياقوت الحموي، معجم البلدان، 4/157.

90 – بيت لحم: تقع على بعد 3 أميال (5 كم) من بيت المقدس، ولد فيها السيد المسيح عليه السلام، وقد وصفها الكثير من الرحالة والجغرافيين، وذكروا أن بها كنيسة عظيمة، فضلاً عن وجود شجرة النخيل التي وردت في القرآن الكريم، ناصر خسرو، سفر نامه، ص70؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، 1/521.

91 – الشارتري، تاريخ الحملة، ص70؛ وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، 1/403؛ ماير، هانس أبراهارد، تاريخ الحروب الصليبية، ص93.

92 – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 9/13 – 16؛ ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص134 – 137؛ مجهول، أعمال الفرنجة، ص42– 114؛ الشارتري، تاريخ الحملة، ص45 – 69.

93 – بطرس توديبود، تاريخ الرحلة، ص313؛ ماير، هانس أبراهارد، تاريخ الحروب الصليبية، ص93.

94 – افتخار الدولة: عينه الأفضل على القدس بعد أن استعادها من الأراتقة عام 489هـ/1095م، فلما اقتحم الصليبيون بيت المقدس، اعتصم في برج داوود، وطلب الأمان له ولجنوده؛ فغادر القدس إلى عسقلان، ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، (ت: 818هـ/1405م)، تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، ط: الثانية، دار الفكر، بيروت: لبنان، 1408هـ – 1988م، 5/25.

95 – ريموندداجيل، تاريخ الفرنجة، ص136 – 137.

96 – عاشور، سعيد، الحركة الصليبية، 1/241.

97 – وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، 1/401؛ رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 1/426.

98 – مجهول، أعمال الفرنجة، ص114.

99 – وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، 1/415 – 416.

100 – ريموندداجيل، تاريخ الفرنجة، 244.

101 – وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، 1/416.

102 – سويد، ياسين، حروب القدس في التاريخ، ص55؛ رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 1/427.

103 – وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، 1/416.

104 – ريموندداجيل، تاريخ الفرنجة، 244.

105 – وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، 1/416؛ رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 1/427.

106 – طقوش، محمد سهيل، تاريخ الفاطميين، ص435.

107 – طقوش، محمد سهيل، تاريخ الفاطميين، ص435.

108 – اعترض الأساقفة ورجال الدين على ذلك قائلين: «من الخطأ انتخاب ملك في المكان الذي تألم فيه الرب وتوّج بتاج الشوك، (كما يعتقد المسيحيون) افترضوا أن الشخص المنتخب قال في قلبه: إنني أجلس على عرش داوود، وأمتلك ممتلكاته، وافترضوا أنه أصبح داووداً، وهو منحط العقيدة والأخلاق، فلا شك أن الرب سيطيح به، ويغضب على المكان والناس»، ريموندداجيل، تاريخ الفرنجة، ص240، وهذا يُفَسِّر سبب اختيار جودفري بوايون لَقَب «حامي بيت المقدس» وليس ملك بيت المقدس.

109 – مجهول، أعمال الفرنجة، ص116 – 117؛ ريموندداجيل، تاريخ الفرنجة، ص240.

110 – الشارتري، تاريخ الحملة، ص73.

111 – وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، 1/416.

112 – بوابة دمشق: (بوابة العمود) يسمى باب دمشق؛ لأنه كان مخرج القوافل إليها،

تعتبر هذه البوابة من أشهر بوابات بيت المقدس وأضخمها حجماً، كما أنها بمثابة المدخل الرئيسي للمدينة، يقع في منتصف الحائط الشمالي لسور القدس، تشتهر هذه البوابة بعدة أسماء منها بوابة القديس ستيفن؛ حيث على مقربة من هذه البوابة رجم حتى الموت القديس ستيفن، لتُعرف من وقتها باسم «بوابة ستيفن»، وبوابة النصر وبوابة نابلس، ويزعم النصارى أن المسيح صُلب على التل المجاور لبوابة دمشق، وأنه مر منها عندما ذهب إلى مكان الصلب، بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص321؛ بورشارد، من دير جبل صهيون، وصف الأرض المقدسة، ترجمة: سعيد عبد الله جبريل البيشاوي، ط: الأولى، دار الشروق، عمان: الأردن، 1998م، ص145 – 146؛ إبراهيم عبد العزيز السمري، «القدس وآفاق التحدي»، www.alukah.net؛ وكالة أنباء فلسطين (وفا)، http:// info.wafa.ps/ar.

113 – برج داوود: شيد بالجهة الشرقية من المقدس وهو يقع داخل السور الغربي للمدينة قرب باب الخليل، بورشارد، وصف الأرض المقدسة، ص142.

114 – باب النبي داوود: يقع في السور الجنوبي لمدينة القدس القديمة، وهو يُعرَف بهذا الاسم؛ لوجود قبر في خارجه يعتقد أنه قبر النبي داوود، كما يُطلق عليه اسم «بوابة صِهْيون»؛ بسبب وجود جبل داوود المعروف بهذا الاسم إلى جواره، ويمكن أن يقع قبرُ داوود أسفل الحجرة التي أقام فيها السيد المسيح العشاء الأخير لحوارييه، ويتكون هذا الباب فتحة كبيرة مُتوَّجة بعقد حجري مُدبَّب، تفع فتحة المدخل التي تشبه عقداً مسطحاً فوقه عقد عاتق داخلها، إبراهيم عبد العزيز السمري، «القدس وآفاق التحدي» www. alukah.net.

115 – وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، 1/416، انظر: خريطة رقم (4) بيت المقدس زمن الحملة الصليبية الأولى سنة 1097 – 1099م/491 – 492هـ.

116 – زابوروف، ميخائيل، الصليبيون في الشرق، ص120.

117 – رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 1/427.

118 – جبل صهيون: هو أحد جبال مدينة القدس ويقع شرقي المدينة، وقد أقيمت عليه كنيسة تحمل نفس الاسم. ياقوت الحموي، معجم البلدان، 3/436.

119 – مجهول، أعمال الفرنجة، ص114؛ ريموندداجيل، تاريخ الفرنجة، ص235؛ بطرس توديبود، تاريخ الرحلة، ص313.

120 – مجهول، أعمال الفرنجة، ص114 – 115؛ وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، 1/409.

121 – سويد، ياسين، حروب القدس في التاريخ، ص57.

122 – سويد، ياسين، حروب القدس في التاريخ، ص57.

123 – نفس المرجع، نفس الصفحة.

124 – وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، 1/421.

125 – نفس المصدر، 1/420.

126 – في يوم الأحد 20 رجب 492هـ/12 يونيو 1099م، أي قبل يوم من الهجوم، ذهب مجموعة من الأمراء الصليبيين في رحلة حج إلى جبل الزيتون، وهناك أخبرهم ناسك هرم «بأن الرب سيعطيكم بيت المقدس، إذا هاجمتموها غداً الساعة التاسعة»، فعملوا بنصيحته وهاجموا الأسوار في 13 يونيو، لكنهم بعد مرور بضع ساعات من القتال انهزموا، ريموندا جيل، تاريخ الفرنجة، ص236، رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 1/427؛ الزبدة، عبلة، صلاح الدين وتحرير القدس، ص34.

127 – رستون، جيمس، مقاتلون في سبيل الله صلاح الدين وريتشارد قلب الأسد والحملة الصليبية الثالثة، ترجمة: رضوان السيد، ط: الأولى، مكتبة العبيكان، الرياض: السعودية، 2002م، ص120.

128 – ريموندا جيل، تاريخ الفرنجة، ص144، وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، 1/417.

129 – وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، 1/431.

130 – بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص313؛ مجهول، أعمال الفرنجة، ص115؛ الشارتري، تاريخ الحملة، ص73: وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، 1/417.

131 – ريموندا جيل، تاريخ الفرنجة، ص136 – 137؛ بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص313؛ مجهول، أعمال الفرنجة، ص115؛ رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 1/427 – 428؛

132 – وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، 1/417.

133 – نفس المصدر، نفس الصفحة.

134 – ذكر رانسيمان وكذلك عبلة المهتدي أن عددها ست سفن، سفينتان من جنوة وأربع سفن من إنجلترا، تاريخ الحملات الصليبية، 1/429.

135 – ذكرت جميع المصادر أن جميع السفن قدمت من جنوة، إلا أن المؤرخ الإنجليزي رانسيمان، والروسي زابوروف، ذكراً بأن السفن قدمت من جنوة، ومن إنجلترا أيضاً، وهو ما نعارضه لعدم وجود مصدر يدعمه، رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 1/429؛ زابوروف، ميخائيل، الصليبيون في الشرق، ص121؛ لمزيد من التفاصيل عن دور الجنوية، انظر: الكناني، مصطفى حسن محمد، العلاقات بين جنوة والشرق الأدنى الإسلامي، ص86 – 102.

136 – بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص314؛ ريمونداجيل، تاريخ الفرنجة، ص238؛ عاشور، سعيد، الحركة الصليبية، 1/235؛ الزبدة، عبلة، صلاح الدين وتحرير القدس، ص35.

137 – يافا: إحدى المدن الفلسطينية المشهورة، والاسم مشتق من اللفظة الكنعانية يافى، بمعنى الجميل، تقع على ساحل البحر المتوسط إلى الجنوب من مصب نهر العوجا، وهي من أقدم موانئ العالم، وقد بناها الكنعانيون، وفتحها عمرو بن العاص، وصفها المقدسي «بأنها تقع على ساحل البحر ولكنها بلدة صغيرة» أما الإدريسي فقد وصفها بأنها فرضة بيت المقدس، وتحيط بها الأشجار والكروم. المقدسي، أحسن التقاسيم، ص385؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان،5/426؛ للمزيد انظر: محمود، إبراهيم سعيد فهيم، يافا ودورها في الصراع الصليبي الإسلامي (1099 – 1291م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، الإسكندرية: مصر، 1991م.

138 – وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، 1/423.

139 – وأشارت المصادر أنه انطلق ثلاثون فارساً وخمسون جندياً بقيادة أحد النبلاء لتأمين الطريق من يافا حتى بيت المقدس الذي مسافته 70 كيلومتراً، فوقعت مواجهة بين هذه القوة والمسلمين مكونة من ستمائة مقاتل، وكانت الغلبة للمسلمين في البداية، ثم قدمت نجدة صليبية، فانهزم المسلمون، ريموندداجيل، تاريخ الفرنجة، ص238؛ بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص314؛ وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، 1/422.

140 – مجهول، أعمال الفرنجة، ص115 – 116؛ ريموندداجيل، تاريخ الفرنجة، ص238 – 239. وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، 1/422 – 423؛ عاشور، سعيد، الحركة الصليبية، 1/242.

141 – عنه انظر الفصل الخامس، ص247.

142 – عنها انظر نفس الفصل، نفس الصفحة.

143 – عنه انظر، نفس الفصل، نفس الصفحة.

144 – وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، 1/418.

145 – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 8/446.

146 – ريموندداجيل، تاريخ الفرنجة، ص240؛ وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، 1/419.

147 – وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، 1/420.

148 – الزبدة، عبلة، صلاح الدين وتحرير القدس، ص35.

149 – يقع جبل الزيتون على بعد ميل واحد تقريباً قبالة مدينة القدس في الشرق، وراء وادي يهوشافاط، ولهذا السبب فإن القديس لوقا قال إنه وقع على سفر سبت من أورشليم، وحدث أن المسيح قد صعد إلى السماء بعد أربعين يوماً من قيامته من هذا الجبل، وهناك قبر النبي داوود، والنبي سليمان، وقبر القديس ستيفن، وهناك كنيسة العذراء مريم التي توفيت هناك، ريموندداجيل، تاريخ الفرنجة، ص263؛ وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، 1/425.

150 – مجهول، أعمال الفرنجة، ص117؛ ريموندداجيل، تاريخ الفرنجة، ص242 – 243؛ بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص315 – 316؛ وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، 1/425.

151 – باب الساهرة: يقع إلى الجانب الشمالي من سور بيت المقدس، على بعد نصف كيلومتر شرقي باب العمود. وهو بسيط البناء، ضمن برج مربع، ويعرف أيضاً باسم «بوابة الزهر»، كما أُطلق عليها قديماً اسم «بوابة الغنم»، حيث كان الناس يجتمعون عندها، ومعهم أغنامهم، وأُطلق عليه فترة الاحتلال الصليبي اسم «باب هيرودس»، و«باب مادلين»، و«باب جب أرميا». إبراهيم عبد العزيز السمري (18 – 5 – 2010)،

القدس وآفاق التحدي، www.alukah.net، اطّلع عليه بتاريخ 25 – 3 – 2018؛ وكالة أنباء فلسطين (وفا)، http://info.wafa.ps/ar.

152 – بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص316؛ مجهول، أعمال الفرنجة، ص117؛ ريمونداجيل، تاريخ الفرنجة، ص243؛ الزبدة، عبلة، صلاح الدين وتحرير القدس، ص35.

153 – ريمونداجيل، تاريخ الفرنجة، ص244. وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، 1/426.

154 – مجهول، أعمال الفرنجة، ص117؛ ريمونداجيل، تاريخ الفرنجة، ص244؛ بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص317؛ وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، 1/426.

155 – تاريخ الفرنجة، ص244.

156 – النار الإغريقية: هي مزيج مركب من مواد كيماوية وزيت ونفط وقار وكبريت، وتعتبر من أهم الوسائل الدفاعية عن المدن المحاصرة، وعادة ما توضع في أوعية فخارية أو أنابيب نحاسية أو في رأس السهام، وتقذف بالأيدي والأقواس أو براجمات القذائف، فتحرق السفن والأبراج والمنجنيقات والسلالم والخيام وسائر معدات الحصار، فرج، وسام عبد العزيز، النار الإغريقية، طبيعة تركيبها وأثرها في نشاط المسلمين البحري، الحضارة الإسلامية وعالم البحار، بحوث ودراسات، القاهرة: مصر، 1994م، ص287 – 305.

157 – بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص317؛ الزبدة، عبلة، صلاح الدين وتحرير القدس، ص37.

158 – زابوروف، ميخائيل، الصليبيون في الشرق، ص121.

159 – ريمونداجيل، تاريخ الفرنجة، ص245؛ زابوروف، ميخائيل، الصليبيون في الشرق، ص121.

160 – وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، 1/432.

161 – تاريخ الفرنجة، ص244.

162 – الزبدة، عبلة، صلاح الدين وتحرير القدس، ص37.

163 – ريمونداجيل، تاريخ الفرنجة، ص245.

164 – وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، 1/428.

165 – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 5/148؛ بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص318؛ عاشور، سعيد، الحركة الصليبية، 1/242.

166 – الكامل في التاريخ، 1/424.

167 – سويد، ياسين، حروب القدس في التاريخ، ص66.

168 – بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص318؛ ريموندا جيل، تاريخ الفرنجة، ص245؛ وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، 1/428.

169 – سويد، ياسين، حروب القدس في التاريخ، ص66.

170 – وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، 1/434.

171 – فترة حكم الصليبيين للمدينة المقدسة، كان هناك صليب كبير من الحجر في ذلك المكان، يذكر باستيلاء الصليبيين على المدينة، ماير، هانس أبراهارد، تاريخ الحروب الصليبية، ص94.

172 – وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، 1/433 – 434.

173 – نفس المصدر، 1/433 – 435.

174 – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 8/424.

175 – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 8/424؛ بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص317.

176 – يحدد بطرس توديبو وقت دخول المدينة؛ بالساعة التي «صلب فيها المسيح» (كما يزعمون) ومن المفروض أنها الساعة الثالثة ظهراً، بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص317.

177 – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 8/424.

178 – وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، 1/434.

179 – باب الأسباط: سمي بهذا الاسم لأن أسباط إسرائيل دخلت البلدة القديمة من خلال هذا الباب، ويقع باب الأسباط في السور الشرقي من جهة الشمال، وأُطلق على هذا الباب

عدة مسميات في القدم، ومن هذه الأسماء: «باب القديس إستيفانوس»، وباب الأسود؛ لوجود تمثالين لأسدين على جانبي مدخله، وفي الوقت الحاضر يسمّى «باب ستي مريم»، واليهود كانوا يسمونه قديما باب (يهوشافاط)؛ لأنه يطل على الوادي المسمى يهوشافاط، وما يميز هذا الباب أنّه عبارة عن مدخل شاهق الارتفاع، إبراهيم عبد العزيز السمري، «القدس وآفاق التحدي»، www.alukah.net؛ وكالة أنباء فلسطين (وفا)، http://info.wafa.ps/ar.

180 – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 8/424، وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، 1/436؛ الزبدة، عبلة، صلاح الدين وتحرير القدس، ص37.

181 – وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، 1/436.

182 – بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص318؛ وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، 1/435.

183 – وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، 1/435.

184 – ذكر ابن الأثير أن القتل استمر لمدة أسبوع: «وركب الناس السيف، ولبث الفرنج في البلدة أسبوعاً يقتلون فيه المسلمين»، الكامل في التاريخ، 8/424.

185 – بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص318، وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، 1/435.

186 – تاريخ الحروب الصليبية، ص94.

187 – أعمال الفرنجة، ص118.

188 – نفس المصدر، ص120.

189 – تاريخ الحملة، ص75.

190 – نفس المصدر، نفس الصفحة.

191 – تاريخ الحملة، ص75؛ رستون، جيمس، مقاتلون في سبيل الله، ص122.

192 – تاريخ الفرنجة، ص247.

193 – ديورانت، ول وايريل، قصة الحضارة، ترجمة: محمد بدران، طبع لجنة التأليف والترجمة، 1957م، 4/25.

194 – وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، 1/435.

195 – نفس المصدر، 1/436.

196 – وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، 1/436 – 437.

197 – نفس المصدر، 1/437.

198 – رانسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، 1/427.

199 – نقلي، آسيا، دور الفقهاء والعلماء في الجهاد ضد الصليبيين، ص245.

200 – زابوروف، ميخائيل، الصليبيون في الشرق، ص123.

201 – قدر وليم الصوري عدد القتلى من المسلمين بعشرين ألف قتيل؛ عشرة آلاف في ساحة المسجد الأقصى، بالإضافة إلى عدد مماثل من القتلى المطروحين في كل مكان من المدينة في الشوارع والساحات، وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، 1/437.

202 – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 8/424؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، 5/25.

203 – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 8/424.

204 – رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 1/427. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 8/424.

205 – سويد، ياسين، حروب القدس في التاريخ، ص70.

206 – ذيل تاريخ دمشق 1/222

207 – يتهم ألبرت دكس Albert d,Aix، الكونت ريموند، بالحصول على رشوة من الأمير افتخار الدولة، لتسهيل خروجه من المدينة، بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص318، حاشية 27؛ العسقلاني، مصطفى عبد العزيز، عسقلان ودورها في الصراع الصليبي الإسلامي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، الإسكندرية: مصر، 1992م، صفحات متفرقة.

208 – بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص318.

209 – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 8/424.

210 – وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، 1/437.

211 – زابوروف، ميخائيل، الصليبيون في الشرق، ص123.

212 – الكامل في التاريخ، 8/424.

213 – مجهـول، أعمال الفرنجـة، ص119 – 120؛ الشارتري، تاريخ الحملة، ص75؛ وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، 1/441.

214 – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 8/425.

215 – سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قِزْأُوغلي بن عبد الله المعروف بـ«سـبط ابن الجوزي» (ت: 654هـ/1256م) مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، تحقق مسـفر سالم الغامدي، ط: الأولى، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1407هـ – 1987م، 19/499.

216 – عاشور، سعيد، الحركة الصليبية، 1/245.

217 – تـم انتخـاب بابا جديد هو باسـكال الثانـي (1099م – 1118م9)، وألح على الأسـياد الصليبيين أنه يجب مكافأة الكنيسة الكاثوليكية بصورة مناسبة؛ لأنها هي التي كانت صاحبة المبادرة إلى الحملة الصليبية، زابوروف، ميخائيل، الصليبيون في الشرق، ص124.

218 – قاسم، قاسم عبده، ماهية الحروب الصليبية، ص131.

219 – زابوروف، ميخائيل، الصليبيون في الشرق، ص124.

220 – نفس المرجع، نفس الصفحة.

221 – تاريخ الفرنجة، ص257.

222 – عاشور، سعيد، الحركة الصليبية، 1/204 – 205.

223 – ريموندا جيل، تاريخ الفرنجة، ص257 – 259.

224 – ريموندا جيـل، تاريـخ الفرنجة، ص241؛ الزيدي، مفيـد، تاريخ الحروب الصليبية، ص65.

225 – صليـب الصلبـوت: أو الصليـب الأعظـم، يزعمون أن فيه قطعة مـن التي صلب عليهـا معبودهم، وقد غلفوه بالذهـب الأحمر، وكلّلوه بالدرّ والجوهر، وأعدوه ليوم الروع المشهود، ولموسم عيدهم الموعود، فإذا أخرجته القسوس؛ وحملته الرؤوس؛ تبادروا إليه، وانثالـوا عليه، ولا يسـع لأحدهم عنه التخلف، ولا يسـوغ للمتخلف عن اتباعه في نفسـه التصرف، وقد أخذه المسـلمون يوم حطين، فكان أخذه عندهم من أعظم المصائب عليهم، وأيقنـوا بعـده بالقتل والهلاك، ويلاحـظ أن هذا الصليب إنما هو الـذي كان منصوباً على

قبة الصخرة، وكان من نحاس مطلياً بالذهب، وقد انحط إلى أسفل الرتب، ويمثل صليب الصلبوت في المسيحية الفداء في أجلى صورة، التي ترى أن الربّ نفسه (بزعمهم)، تعبيراً عن المحبة، يفتدي الإنسان من وجهة نظرهم، العماد الأصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، ص52، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 10/25، أبو شامة، أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي، المعروف بأبي شامة المقدسي، (ت: 665هـ / 1267م)، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق: إبراهيم الزيبق، ط: الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت: لبنان، 1418هـ – 1997م، 4/65 – 66، رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 3/17.

226 – انظر: خريطة رقم (5)، الإمارات الصليبية التي تكونت بعد الحملة الصليبية الأولى عام 491 – 492هـ / 1097 – 1099م.



الفصل الثالث:

حصار الصليبيين لدمشق

(543هـ / 1148م)

سيتناول هذا الفصل ثلاثة مباحث.

المبحث الأول، نتكلم فيه عن المقدمات السياسـية، والعسكرية بالنسبة إلى المسـلمين والصليبيين، منذ لحظة سـقوط إمارة الرها، ثم الإعلان عن حملة صليبية جديدة، وهي التي عرفت باسـم الحملة الصليبية الثانية (541 – 543هـ / 1147م – 1149م)، حتى حصار دمشق.

أمـا المبحث الثاني، فيتعرض لأحداث الحصـار ومراحله، وما تخلله من عمليات عسـكرية، ومفاوضات سياسـية، وموقف القوى الإسلامية، والقوى الصليبية، ونتكلم عن الصعوبات التي واجهت المسلمين والصليبيين.

ونقـف فـي المبحث الثالث علـى نتائج الحصار، بالنسـبة إلى المسـلمين والصليبيين.



المبحث الأول:

المقدمات السياسية والعسكرية للحصار

تمكـن عمـاد الدين زنكي[1] أتابك الموصل، في عـام 539هـ / 1144م، من اسـترداد إمارة الرها الصليبية[2] من الصليبيين[3]، ولم يكتف بذلك، بل أسرع إلـى كافة الحصون المجـاورة والتابعة لتلك الإمارة؛ فأسـقطها، وكان أهمها حصن مدينة سروج الذي سقط في رجب 539هـ / يناير 1145م[4]، بعد أقل من شهرٍ من سقوط الرها[5].

بذلك لم يبق في تلك الإمارة إلا بعض المدن الصغيرة غربي نـهر الفرات، وأهمها تل باشـر[6] التي كان يتمركز فيها جوسـلين الثاني[7] Jocelyn II، مما يعني انهيـار الإمارة الصليبية، التي كانت أولى الإمارات الصليبية تأسيسـاً، فصارت بعد ذلك أولها سقوطاً[8].

وقد وصف هذا النصر ابن الأثير قائلاً: «لم ينتفع المسـلمون بمثله، وطار في الآفاق ذكرُه، وطاف بها نشره، وسارت به الرفاق، وامتلأ به المحافل في الآفاق، وكان هذا فتح الفتوح حقّاً، وأشبههم ببدر صدقاً»[9].

كان لسقوط الرها في أيدي المسلمين، صدمة نفسيَّة هائلة للصليبيين في الغرب الأوروبي، فلم يكن جوسلين الثاني يتوقع أن تسقط حصون الرها المنيعة، وكان يتخيل أنها مجرد عملية عسكرية مثل كافة العمليات، التي حدثت على مدار السنوات السابقة، وهذا شلَّ حركته تماماً، فما جَرُؤ على التقدُّم بجيشه للدفاع عن المدينة(10).

كان رد الفعل الأوروبي على كل ذلك عنيفاً، بحكم المكانة الدينية التي تتمتع بها الرها عند المسيحيين، حيث تم الاحتفاظ بمنديل السيد المسيح في كنيستها، كان ذلك باعثاً على سرعة إرسال حملة صليبية جديدة، من خلال حلف الدفاع الاستراتيجي، بين الغرب الأوروبي؛ وخاصة فرنسا، والوجود الصليبي شرقي البحر المتوسط، دعماً للصليبيين، وللقضاء على الصحوة الإسلامية في ذلك الحين، قبل أن تشتد وتقضي على باقي الإمارات الصليبية في الشرق، وبعد أن أثار سقوط الرها الرعب في النفوس، بل جاء سقوطها، إيذاناً بتزعزع البناء الكبير، الذي شيده الصليبيون في الحملة الصليبية الأولى في شمالي العراق وبلاد الشام، وأدرك الغرب الأوروبي، أنه إذا لم يسارع إلى ترميم ذلك البناء، فلن يلبث أن ينهار(11)، فأرسلت ملكة بيت المقدس الملكة ميليسيندا Melisende(12) (538 – 548هـ / 1143 – 1153م)، والدة الملك بلدوين الثالث(13) Baldwin III (547 – 557هـ / 1152 – 1162م)، برسالة استغاثة من صليبيي الشرق، مع وفد رفيع المستوى، بقيادة هيو أسقف جبلة، إلى البابا يوجنيوس الثالث(14) Eugenius III (540 – 548هـ / 1145 – 1153م)، تستنهض فيه الهمَّة، لجمع نجدة كبيرة للصليبيين بعد سقوط الرها، والتبشير لحملة صليبية جديدة، ووصلت السفارة إلى المقرر البابوي قبل خريف 540هـ / 1145م(15).

علـــى العكس مـــن ذلك؛ فقد كـــان لهذا الفتـــح المبين، تأثيـــره الإيجابي في المســـلمين، فرفع الـــروح المعنوية لهم، ليس في أتابكيـــة الموصل فقط، ولكن فـــي كل ربوع العالم الإســـلامي مشرقـــاً ومغرباً، وكذلك دخل المســـلمون بعد هذا النصر مرحلة توازن القوى مع الصليبيين، ففي خلال الأعوام الخمســـين الســـابقة، منذ بداية الحملة الصليبيـــة الأولى، كانت قوة الصليبيين دائماً أعلى، وحتى عندما كان المســـلمون يحقِّقون نصـــراً، فإنهم كانوا يحققونه على بعض الجيوش والأفراد، ثم يعود كل فريق إلى مدنه وأملاكه دون أن يفقد منها شيئاً، وحتى عندما كان يحدث أن يحرِّر المسلمون حصناً أو مدينة، كان سرعان ما يسترده الصليبيون، أما الآن فقد توازنت القوى، وأصبح للمسلمين القدرة على الوقوف جنباً إلى جنب مع الصليبيين، وتغيرت الاستراتيجية من مجرَّد الدفاع عند حدوث هجوم، إلى استخدام مبدأ الهجوم[16].

أرسل البابا يوجنيوس الثالث رسلاً إلى إمبراطور ألمانيا كونراد الثالث[17] Conrad III (523 – 546هـ / 1138 – 1152م)، ولويس الســـابع[18] Louis VII ملـــك فرنســـا(531هـ – 576 / 1137 – 1180م) يحثهمـــا على الإســـراع لنجدة صليبيي الشرق، من خطر المســـلمين، واســـترداد الرهـــا، والقضاء على قوة الزنكيين في شمالي العراق وبلاد الشام، ويدعوهما لتزعم تلك الحملة المرتقبة، وقد رحب الإمبراطور كونراد الثالث بالدعوة، وذلك من أجل أن يكون لألمانيا نفوذ، شـــرقي البحر المتوسط، تنافس به فرنسا، أما لويس السابع ملك فرنسا، فرحب بالأمر، دفاعاً عن أملاك فرنسا في تلك المنطقة، ودعا أتباعه للاجتماع بـــه؛ للنظر فيما يتخذه من الترتيبات، وأخبرهـــم أنه قد قرر أن يأخذ الصليب، ورجاهـــم أن يحـــذوا حذوه، لم يبدِ هؤلاء أي حماس للاشـــتراك في هذه الحملة المرتقبـــة، وكذلـــك قوبلت هذه الرغبة بالفتور في بـــادئ الأمر من جانب كبار

النبلاء؛ وفي دوائر البلاط الفرنسي، كما رفضها أهمّ رجل سياسي في المملكة هو سوغر، رئيس دير سان نيس، ولم يقف بجانب الملك سوى أسقف لانجر، فأصيب الملك لويس السابع بخيبة أمل من ردّهم، فقرر تأجيل تنفيذ دعوة البابا لمدة ثلاثة أشهر، حتى تتوفر له الاستعدادات اللازمة[19].

في نفس الحين، كلف البابا يوجنيوس الثالث، أحد رجال الدين المسيحيين المشهورين في فرنسا، اسمه سان برنارد[20] رئيس دير كليرفو (483 – 548هـ / 1090 – 1153م) de Clairvaux Saint Bernard، الذي كان يتمتع بشهرة عريضة، إذ طبقت شهرته الآفاق، وفاق الملك لويس السابع شخصياً في نفوذه الروحية، على حد تعبير المؤرخ الإنجليزي رانسيمان[21]، فدعا القديس برنارد لحملة جديدة، ضد المسلمين في الشرق، بتوجيه من البابوية لاسترداد إمارة الرها، وهي التي عرفت باسم الحملة الصليبية الثانية[22]، نلاحظ أنه، كانت قوة تأثير رجال الدين في العامة؛ أكبر بكثير من تأثير الحكام، في ذلك العصر، ولهذا استعان به البابا يوجنيوس الثالث للدعوة للحملة المرتقبة، لما له من قدرة كبيرة على توجيه الجماهير.

وعقد القديس برنارد اجتماعاً في مدينة فيزيلي Vezelay، في عيد الفصح يوم الأحد 31 مارس 1146م / 15 شوال 540هـ، شارك فيه وملك فرنسا لويس السابع، والإمبراطور الألماني كونراد الثالث، فقام هذا القديس برنارد، بالدور الذي قام به البابا أوربان الثاني عام 490هـ / 1095م، للدعوة للحملة الصليبية الأولى[23]، فقد كانت له قدرة كبيرة على الإقناع والتأثير في الناس، بالإضافة إلى فصاحته، أسرع القديس برنارد لتلبية هذا الطلب والعمل بكل قواه من أجل إنجاح هذا المسعى[24].

استجاب لتلك الدعوة كل من لويس السابع ملك فرنسا، والإمبراطور

الألمانـــي كونراد الثالث[25]، وخرج كل منهما بجيشه بشكل منفرد عام 541هـ / 1147م[26]، حيث اجتمع رأي الملكين على أن يسير كل منهما مستقلاً عن الآخر، وأن يقود كل منهما عســكره على انفراد، وذلك تجنباً لما قد ينجم بين الجيشين مــن تنافس وتصـــادم، بالإضافة إلى أنـــه يوفر مواد التمويــن الضرورية، من الغذاء والمشرب، لجنود كل فريق، وكذلك الأعلاف للجياد ودواب الحمل[27].

تعـد هذه الحملـــة الصليبية حملة ملوك[28]، عكــس الحملة الصليبية الأولى (490هـ / 1096م)، حملة الشعوب والفرسان، كما أوضحنا من قبل، أما الحملة الصليبية الثانية فتألفت من جيشين كبيرين، يقودهما أكبر ملكين في أوروبا[29].

اعتقـد قائدا الحملـــة الصليبية الجديدة، أنهما لن يجـدا صعوبة في التحرك خلال قدومهما للمشرق الإســلامي، وأن الأمور ســيكون ميسرة لهما، وكانت هنـــاك خبــرة صليبية في المنطقـــة، توافرت لهم على مـدى قرابة نصف قرن من الزمـــن، وليس مثلما وقعت للصليبيين خلال الحملـــة الصليبية الأولى من صعوبات، فلم يكن المشرق الإسلامي معروفاً لهم.

خـــرج الإمبراطـــور كونـــراد الثالث فـــي 27 ذي الحجة 541هـــ / 31 مايو 1147م، على رأس ســبعين ألفاً من الفرســـان والمشاة[30]، واتخذت هذه الحملة الطريــق البري[31]، فعبروا أوروبا إلـــى الإمبراطورية البيزنطية، ومن هناك عبروا مضيق البوســفور إلى آســيا الصغرى[32]، وفي ذلـــك يقول ابن الأثير: «سار ملك الألمان من بلاده في خلق وجمع عظيم من الفرنج عازماً على قصد بلاد الإسلام، وهو لا يشك في ملكها بأيسر قتال لكثرة جموعه، وتوفر أمواله، وعدده»[33]، ويصف ابن القلانســـي المعاصر للأحداث المد الأوروبي بقوله: «تواصلت الأخبار من ناحية القســطنطينية وبلاد الإفرنج والروم وما والاها،

بظهور ملك الإفرنج من بلادهم، منهم ألمان والفنش، وجماعة من كبارهم في العدد الذي لا يحصر والعدد التي لا تحزر، لقصد بلاد الاسلام، بعد أن نادوا في سائر بلادهم ومعقلهم بالنفير إليها، والإسراع نحوها، وتخلية بلادهم، وأعمالهم خاليةً سافرةً من حماتها، والحفظة لها، واستصحبوا من أموالهم، وذخائرهم، وعددهم الشيء الكثير الذي لا يحصى»[34].

من ذلك يتبين لنا هنا حجم القوة الصليبية الكبيرة القادمة من أوروبا إلى بلاد الشام[35]، حيث يتضح تأثير الدعاية لهذه الحملة الصليبية الجديدة، وبالتالي نجح دعاة الحملة في هدفهم مؤقتاً.

اشترط البيزنطيون مساعدة الحملة؛ إذ تعهد رؤساؤها إعلان تبعيتهم للبيزنطيين من جهة، إلى جانب تسليمهم كل ما يستولون عليه من ممتلكات السلاجقة في آسيا الصغرى من جهة أخرى؛ التي كانت قبل احتلالها من قبل المسلمين جزءاً من الإمبراطورية البيزنطية[36]، ولا نغفل هنا ما يعرف بالمشكلة الأنطاكية في السياسة البيزنطية، حيث إنه وفقاً لاتفاقية (491هـ/ 1097م)، حيث اتفق الصليبيون مع البيزنطيين، على تسليم أنطاكية للبيزنطيين في حالة استيلاء الصليبيين عليها، ولكن لم ينفذوا هذا الأمر، وتم تأسيس إمارة نورماندية في أنطاكية، ووجد هناك ما يعرف بالمشكلة الأنطاكية، وقد سعت الإمبراطورية البيزنطية لاستردادها بكل الوسائل، الدبلوماسية، والسياسية، والتلويح بالقوة العسكرية.

نلاحظ أن العلاقة كانت متوترة بين البيزنطيين والصليبيين، ويعود السبب إلى جذور تاريخية، ليس هنا محل إيرادها، كما لا ننسى الفارق الحضاري الشاسع، بين بيزنطة المتحضرة والغرب الأوروبي حين ذاك.

رفض الإمبراطور الألماني كونراد الثالث، الاعتراف بالتبعية للإمبراطور البيزنطي مانويل الأول كومنينوس[37] Manuel I Komnenos (537 – 576هـ / 1143 – 1180م)، ولذلك حرم من المساعدات البيزنطية، في حين أذعن الملك لويس السابع لرغبة الإمبراطور بتقديم الولاء والتبعية، على الرغم من أن الفرنسيين أقسموا يمين التبعية للإمبراطور مانويل كومنينوس، إلا أنه لم يقدم أية مساندة فعلية للصليبيين لاحقاً، بل حاول العكس من ذلك أن يعرقلهم، لأن نجاحاتهم كانت تهدد بانتهاك السلام مع السلاجقة[38].

سنلاحظ فيما بعد مدى الخطأ الذي وقع فيه كونراد الثالث، بعدم الموافقة على شروط الإمبراطور البيزنطي مانويل كومنينوس، وذلك لجهله للمنطقة، مما تعرض جيشه لخسائر فادحة خلال تحركه في أراضي الإمبراطورية البيزنطية، ويدل هذا الموقف على تكبر وغرور الإمبراطور الألماني كونراد الثالث.

كان الجيش الألماني بقيادة كونراد الثالث يتقدم على الجيش الفرنسي عدة أيام[39]، وقد ذكر ابن القلانسي: «إن عدتهم ألف ألف إنسان، من الرجالة والفرسان وقيل أكثر من ذلك»[40]، من الواضح عنها المبالغة، عبر الجيش الألماني البوسفور إلى آسيا الصغرى، إلا أنه أخطأ باجتيازه طريق أواسط آسيا الصغرى[41]، فتعرض لهجمات شديدة من قبل الأتراك السلاجقة[42]، في 19 جمادى الأولى 543هـ / 26 أكتوبر 1147م، حينما بلغ الجيش الألماني منطقة دوريليوم (أسكي شهر حالياً)، شرقي نيقية، وهي المنطقة التي انتصر فيها الصليبيون في الحملة الصليبية الأولى، على سلاجقة الروم بقيادة قلج أرسلان، قبل خمسين عاماً كما أوضحنا من قبل.

وقع الجيش الألماني في قبضة جيش السلطان مسعود بن قلج أرسلان الأول

(510 – 551هـ / 1116 – 1156م) أمير سـلاجقة الروم في آسـيا الصغرى[43]، وضع السلجوقي خطة عسكرية محكمة، فقد تراجع السلطان وفق الخطة، حتى واصل الجيش الألماني تقدمه إلى قلب فريجيا، وكان السلطان المذكور قد نشر قواته على قمم الجبال المحيطة بهم، ولما وصل الجنود الألمان إلى نهر باتيس قرب دوريليوم، كان قد اسـتبد بهم التعب والظمأ، فداهمهم الجيش السلجوقي، فاختلت قيادتهم، وحاولوا الاحتماء في شـعاب الجبال، لكن الأتراك السلاجقة أحاطـوا بهم، وأمطروهم وابلاً من السـهام، عندئذ قـرر الإمبراطور كونراد الثالث الانسـحاب، لكن السلاجقة لم يتركوهم وشأنهم، فهاجموا مؤخرة جيشه ومقدمته وقلبه، فدبت الفوضى في صفوفه، وتعرض الجيش الألماني لخسائر فادحة، والواقع أن القتال لم يكن سـوى مذبحة حقيقية مروعة، قتل فيها تسـعة أعشار الجيـش الألماني[44] كما يقال، وأصيب كونراد الثالث نفسـه بجرحين أحدهما في رأسه[45]، حاول كونراد الثالث عبثاً جمع شتات جيشه، إلا أنه ترك سـاحة المعركة عند المسـاء، وقرر الفرار مع من تبقى من رجاله عائدين إلى نيقية، ومن ثم إلى القسطنطينية للعلاج، حيث بقي هناك حتى الربيع، في حين غنم السلاجقة كميات لا حصر لها من الغنائم، فقد غنموا كل ما في معسكرهم، من مواد وخيول، وأسروا أعداداً كبيرة منهم[46]، بهذه الهزيمة الساحقة، يمكننا التأكـد بأن الجيـش الألماني قد فشل في تحقيق الغاية التـي أتى من أجلها إلى الشرق، مما سيكون له أسوأ الأثر على الحملة الصليبية الثانية[47].

نلاحظ أن السـلاجقة قد اسـتفادوا من أخطاء الحملة الصليبية الأولى، التي تقدم فيها الجيش الصليبي في آسـيا الوسـطى دون أن يلقى أية مقاومة حقيقية تذكر.

أمـا الجيش الفرنسـي، فقد خرج متأخـراً عن الجيش الألمانـي بعدة أيام،

بقيادة الملك لويس الســابع، وكانت القوات الفرنســية مســاوية في العدد تقريباً للجيش الألماني، إنما كان أكثر تنظيماً، واصطحب لويس الســابع معه زوجته الملكة إليانور[48] Eleanor التي كانت تسـيطر عليه[49]، وفي الوقت الذي كان يجري فيه القتال بين السلاجقة والقوات الألمانية، عبر الجيش الفرنسي مضيق البوسـفور إلى آسـيا الصغرى، ووصل إلـى نيقية في أوائـل جمادى الآخرة 542هـ / أوائل نوفمبر 1147م، والتقى هناك ببقايا الجيش الألماني، التي كانت برئاسة فريدريك باربار وسا (فيما بعد الإمبراطور الألماني المعروف)، وعلم الملك الفرنســي ما حـل بالإمبراطور الألماني[50]، وتحـرك الجيشان معاً إلى الأمـام، وعند منطقة أفســوس[51] Ephesus (غرب الأناضــول)، عاد الجيش الألماني إلى القســطنطينية، لجمع القوى؛ بعد ما لحقهم من الخســائر على يد الأتراك الســلاجقة، وكذلك لكيلا يكون ذيلاً للجيش الفرنســي، وأيضـاً بسـبب إصابــة كونراد الثالث بالمرض[52]، مــن الواضح أن كونراد الثالث تعلل بهذه الذرائع من أجل التراجع.

ممـــا لا شــك فيه، أنه لم تكن هنــاك أي وحدة حقيقية بيــن الجيش الألماني والجيش الفرنســي، حيث إن كل جيش تحرك مســتقلاً عن الآخر، وفي أزمنة مختلفة، وكل جيش يتصرف مستقلاً عن الجيش الآخر.

نتيجة الفشل الذريع الذي تعرض له الجيش الألماني، ســلك لويس الســابع طريق الســاحل الأناضولي الطويل، المحاذي لساحل البحر المتوسط، يلاحظ هنا، أن الملك لويس الســابع قد استفاد من الأخطاء التي وقع فيها الإمبراطور الألمانــي كونراد الثالــث، وعلى الرغم مــن الاحتياطات التــي اتخذها الملك الفرنســي، لكنه وجد نفسه محاصراً من الســلاجقة عند ممرات بيسيديا، وفقد عدداً كبيراً من جيشه نهاية عام 542هـ / 1147م، وكذلك منيت القوات الفرنسية

بهزيمــة كبيــرة، بجوار خونية في 8 شــعبان 542هـ / 2 ينايــر 1148م، وكان الأدلاء البيزنطيون، يدلون الصليبيين قصداً وعمداً، إلى دروب كان فيها خطر التعرض لهجوم السلاجقة أكبر[53].

رغـم ذلك وصل إلى مرفـأ أتاليا (أنطاليا) البيزنطــي، في أوائل رمضان 542هـ / أوائل فبراير 1147م، مع فرقة عسكرية منهوكة القوى، حيث استقبل البيزنطيون الصليبيين ببالغ العداء[54]، ومنها ركب البحر ومعه فرسانه النبلاء باتجاه ميناء الســويدية مرفأ أنطاكية (مرفأ ســان سيمون)، دون أن يتمكن من اصطحــاب قوات المشــاة معه؛ وذلك لقلة الســفن، فتركهم وشــأنهم، وحاول المتبقون أن يواصلوا طريقهم إلى بلاد الشام بصورة مســتقلة، وكان عليهم أن يتابعوا سيرهم على الأقدام بمحاذاة الساحل[55].

فاجأ الســلطان السلجوقي مســعود الجيش الفرنســي، في مدينة ديكيرفيوم قرب أنطاكية، وقبل وصول جيشه إلى أنطاكية، وراح يناوئ الصليبيين حتى بلغ الجسر المقام على النهر، وهناك نشبت معركة كبيرة، استطاع الصليبيون خلالها شــق طريق لهم على الجسر، عند ذاك تراجع مسعود إلى داخل أسوار المدينــة، وتمكــن الصليبيــون بعدها من متابعــة طريقهم، ولم يغامر مســعود بالهبوط إلى الســهل لمطاردتهــم، وأكمل الصليبيون ســيرهم باتجاه أنطاكية، ولكن القبائل التركمانية البدوية في المناطق الحدودية، تصدت لهم، وهاجمتهم بشراســة، وأمطرتهم وابلاً من السهام، كما طاردت الجيش الصليبي، وقامت بقتــل جنود المؤخــرة والشاردين والمرضــى، ولم ينقذ الجيــش الصليبي من الفناء؛ ســوى هبوط الظلام، حيث انسحب التركمان، فوصل الجيش الفرنسي إلى أنطاكية في 26 شــوال 542هــ / 19 مارس 1148م، بعد أن رأى الويلات، وتكبد خسائر هائلة لا حصر لها، ونقصت قوته إلى النصف[56].

حينما وصل الملك لويس السابع مع جنوده إلى أنطاكية، بعد نجاة جيشه من كمين السلاجقة والتركمان، وجد نفسه وسط آراء واتجاهات متعارضة، يدعو إليهـا الأمراء الصليبيـون، يهدف كل منهم إلى تحقيق أهدافه الخاصة، فحاول أميـر أنطاكية ريموند أوف بواتيـه[57] Raymond of Poitiers (531 – 544هـ / 1136–1149م)، وهو عم زوجة الملك لويس السـابع إليانور، استغلال العلاقة العائليـة لتحريض لويس السـابع على توجيـه ضربة لنور الديـن محمود[58] أميـر حلب، وكان الصليبيـون يلقبونه (بنور الدين الرهيب) وهو من أشـهر أعدائهم[59]، إلا أن لويس السـابع كان غيوراً من علاقة زوجته إليانور وعمها ريموند، وعلى ما يبدو أن العلاقة قد تجاوزت حدود علاقات ذوي القربى[60]، فرفض هذا المقترح بشكل تام، وعرض جوسـلين الثاني تقديم دعمه لاستعادة إمارة الرهـا، مما يمكن اعتباره طبيعياً ومنطقياً، نظـراً لأن الحملة الصليبية خرجـت لاسـتعادة إمارة الرها أصـلاً، وكان ريموند الثانـي كونت طرابلس (531 – 547هـ / 1137 – 1152م) يطالـب أيضاً بدعم ملك فرنسـا له[61]، إلا أن الملك لويس السابع توجّه إلى بيت المقدس عن طريق البحر، ووصلها في شوال 542هـ / مارس 1148م، بعد أن فقد معظم جنده، ولم يصل إلى الأراضـي المقدسة إلا أعداد قليلة[62].

نلاحظ أن الإمارات الصليبية حاولت أن تستفيد من هذه الحملة، واستغلال الجيـش الصليبي، لتحقيـق أهدافها وغاياتها الخاصـة، وليس الهدف الأصلي المعلـن عنه، والذي جاءت الحملة الصليبية الثانيـة من أجلها، مما يؤكد تعدد أطمـاع القادة الصليبيين، وأن الهدف الديني توارى أمام المصالح السياسـية، والاقتصادية.

يقـدر عدد الصليبييـن الذين وصلوا إلى بيت المقدس بنحـو مائة ألف[63]،

كمـــا يقال، ويروي أبو شـــامة: «ويقال إنهم بعد مَا فنـــي منهم بالقتل والمرض والجوع، وصل تَقْدِيرهُم مئة ألف، وقصدوا بيت المقدس فقضوا حجهم، وَعَاد مــن عَاد مِنْهُم إِلَى بِلَادهمْ فِي البحر، وَقد هلــك مِنْهُم بالموت والمرض الخلق العظيم، وَهلك من مُلُوكهمْ من هلك»[64].

أمـــا الإمبراطور الألماني كونراد الثالث؛ فبعد أن شـــفي من جراحه، أكمل رحلته من القسطنطينية إلى عكا بحراً، عن طريق الأسطول البيزنطي في ذو القعـدة 542هــ / أبريل 1148م، ومن عكا انطلق إلى بيـــت المقدس[65]، والتقى هناك بالملك لويس الســـابع، وملك بيت المقدس بلدوين الثالث، وأمه ميليسيندا وصيـــة العرش، وكبار القادة ورجال الدين في مملكة بيت المقدس[66]، وبحث الجميـع في يـــوم الخميس 4 صفــر 543هــ / 24 يونيـــو 1148م، الهدف الذي ستتوجه إليه الحملة[67]، وقد أفلح ملك بيت المقدس بلدوين الثالث، في صرف الملك لويس الســـابع عن السـعي لتحقيق هدفه من الحملة؛ وهو تحرير الرها، وإنما أقنعه بمهاجمة مدينة دمشق والاستيلاء عليها[68]، فقرروا أن يكون هدفهم الأول مهاجمـــة دمشق، والاســـتيلاء عليها[69]، وفي ذلك يقول ابن القلانســـي: «واختلفت الآراء بينهم فيما يقصدون منازلته من البلاد الإســـلامية، والأعمال الشاميـــة، إلى أن اســـتقرت الحال بينهـم على منازلة مدينـــة دمشق، وحدثتهم نفوسهم الخبيثة بملكتها، وتبايعوا ضياعها وجهاتها»[70].

مما دل على متابعة المســلمين لما يجري في ســـاحة الصليبيين، على نحو جعل ذلك المؤرخ الدمشقي المعاصر للأحداث يصف الأمر بهذه الدقة.

يعـد من أخطر جوانب دراســـة الحركة الصليبية، أن المعلن عنها شـــيء، والواقع شيء آخر، فهذه الحملة كانت أصلاً لإنقاذ إمارة الرها، فإذا بها تتحول

إلــى مهاجمــة دمشق، التي كانت حليفةً للصليبيين، وقــد عقدت معاهدة معهم، ممــا دل علــى أن الصليبييــن لا أمان لهم، ولا عهــد، وأن مصالحهم فوق كل الاعتبارات.

ممــا يلفت النظر أن الهــدف الحقيقي للحملة الصليبية الثانية، أبعد ما يكون عن الانتقام لسـقوط إمــارة الرها، لأن الحملة لم تتجه إلــى إمارة الرها، التي كان سـقوطها في يد المسلمين، هو سـبب تحرك تلك الحملة الصليبية، ولكنها قررت الاتجاه إلى دمشق، حليف الصليبيين في المنطقة، ولم تتوجه إلى حلب أو الرها، حيث يوجد من يجب الانتقام منه.

يقــرر رانسـيمان: «لقد كــان القرار هــو الحماقة بعينها، علــى الرغم أن دمشق ستكون جائزة ثمينة، والاستيلاء عليها سيقطع الصلة تماماً بين مسلمي مصر وبين إخوانهم في بلاد الشام، غير أنه من بين الدول الإسـلامية جميعاً؛ كانت دمشق هي وحدها التي كانت تتطلع إلى أن تبقى على علاقة صداقة مع الصليبييـن؛ إذ إنها كانت تعتبر عدوها الرئيسـي هو نـور الدين، والمصلحة تقتضــي الحفــاظ على هــذه الصداقة إلى أن يتم سـحق نور الديـن، وأن يظل الخلاف مفتوحاً بين دمشق وحلب»[71].

لقد شـكلت الحملة الصليبية الثانية عام 543هــ / 1148م الحدث الأكبر في المنطقة حينذاك، وكانت بالنسبة إلى نور الدين محمود الحدث الأول من نوعه، بعــد توليــه الحكم عام 541هـ / 1146م، فقد كان يتوقــع أن تكون إمارته بحلب الهدف الأول لهذه الحملة الصليبية، لأنها تشكلت وتوجهت للشرق على خلفية سـقوط مدينة إمارة الرها عام 539هـ / 1144م، ولكن ما حدث فعلاً أن الحملة غيــرت هدفها المتوقع، وتوجهــت إلى دمشق وحاصرتهــا محاولة احتلالها،

وكان هذا التغيير مفاجأة كبيرة لنور الدين محمود، ومفاجأة أكبر لمجير الدين أبق (534 – 549هـ / 1140 – 1154م) حاكم دمشق وأتابكه معين الدين أنر[72]، لأنهم كانوا أصدقاء الصليبيين الوحيدين من المسلمين في المنطقة[73]، وجرى بين الطرفين تعاون وثيق ضد عماد الدين زنكي، عندما كان يحاول الاستيلاء على دمشق، ولم يكن متوقعاً من الصليبيين مهاجمة أصدقائهم في دمشق، وترك عدوهم الأول في حلب.

ولكن نور الدين محمود استفاد من هذا التغيير المفاجئ، في هدف الحملة، الذي لم يحصل ارتجالاً، بل جاء بعد دراسة وتحليل للأوضاع في المنطقة قام بها قادة الحملة، في اجتماعات مكثفة، في مدينة عكا في 4 صفر 543هـ / 24 يونيو 1148م، قبل الهجوم على دمشق، اشترك فيها لويس السابع ملك فرنسا، وكونراد الثالث إمبراطور ألمانيا، وملك بيت المقدس بلدوين الثالث، كما حضرت أمه الملكة ميليسيندا؛ وفولشر بطريرك بيت المقدس، وحضر الاجتماع عدد من رجال الدين، وعدد من النبلاء، وكذلك رئيس جماعتي الداوية Templars[74]، الإسبتارية Les Hospitallers[75].

اختلفت الآراء تبعاً لاختلاف الجماعات، واستطاع القادة الصليبيون المحليون إقناع قادة الحملة الصليبية، بأهمية مدينة دمشق، وثرواتها، وأنها مدينة ورد ذكرها في الكتب المقدسة، ويجب استعادتها من الكفار (على حد زعمهم)، استقر الرأي أخيراً على أن أحسن ما يفعلونه في هذه الظروف هو محاصرة مدينة دمشق[76].

يذكر البعض أسباباً أخرى، لاتجاه الصليبيين نحو دمشق، منها: أن دمشق من وجهة نظر عسكرية كانت أضعف إمارة، ومما يؤكد ضعفها؛ أن أميرها

مجير الدين أبــق ووزيره أنر، كانا قد أبرما معاهدات تحالف وتعاون حربي، واقتصـــادي بيــن دمشق والمملكـــة الصليبية في بيت المقـدس؛ خوفاً من نور الدين محمود، وقبله أبيه عماد الدين زنكي، لذلك فإن الســيطرة على المناطق الضعيفة اســتراتيجياً، يجب أن تكون الخطــوة الأولى، قبل الانطلاق لخوض المعارك الفاصلة[77]، وهكذا تصور الصليبيون الأمر.

توجهت الجيوش الصليبية نحو دمشق، التي كان يحكمها آنذاك معين الدين أنر أتابك الملك مجير الدين أبق بن جمال الدين بوري، المدبر الحقيقي لشؤون إمارة دمشق، والذي كان ســلطانه أعظم من ســلطان صاحبها ذاته[78]، والذي كان أكثر الأمراء المسلمين قرباً من الصليبيين[79]، ولم يكن يتوقع أمير دمشق أن تكون المدينة هدفاً للحملة الصليبية الجديدة، والضحية الأولى لهذه الجيوش الصليبية الضخمة[80].

عندما علم بنوايا الصليبيين، ومسيرهم نحو دمشق، اتخذ جميع الإجراءات اللازمة للدفاع عن المدينة، حيث بعث برســائل يطلب المســاعدة العاجلة من جيرانه، ويقول ابن القلانسي: «وكانت المكاتبات قد نفذت إلى ولاة الأطراف بالاستصراخ والاستنجاد»[81].

لقــد أجاب كل من نــور الدين محمود أمير حلب، وســيف الدين غازي[82] أمير الموصل، على الدعوة الموجهة لهما، وتوجها نحو دمشق، وكذلك قام أنر بتدعيم بعض النقاط من الســور، كما نشــر الجنود في ضواحي دمشق بما في ذلك الربوة، وقطع مجاري المياه إلى منازلهم، وطمر الآبار[83].

المرجح أن قبول نور الدين محمود، وأخيه سيف الدين غازي، تقديم الدعم العســكري لمعين الديــن أنر أتابك الملك مجير الدين، يرجــع لعدة اعتبارات،

منها الاعتبار الديني، واعتقاد نور الدين محمود أن هدف الصليبيين بعد دمشق ستكون حلب والموصل، وكذلك الأهمية الاستراتيجية لإمارة دمشق، ولوجود طرق تجارية بين حلب عاصمة شمال بلاد الشام ودمشق العاصمة التاريخية، فترسـخت فكرة الاسـتيلاء عليها بأي ثمن، وضمّه دمشق لحكمه بأية طريقة، وهذا ما فعله فيما بعد عام 549هـ / 1154م، عندما استولى على مدينة دمشق.

تـم تقدير عدد الصليبيين الذين توجهوا لمحاصرة دمشق، بنحو خمسين ألفاً، وذكر أبو شامة: «وَبلغ ذَلِك معِين الدّين فاستعد لحربهم فجاؤوا فِي تَقْدِير خمسين ألفاً، ودنوا من الْبَلَد وقصدوا المنزلة الْمَعْرُوفَة بنزول العساكر فِيهَا فصادفوا المَاء مَقْطُوعاً، فقصدوا نَاحيَة المزة فخيموا عَلَيْهَا لقربها من المَاء، وزحفوا إِلَى الْبَلَد بخيلهم ورجلهم ووقف الْمُسلمُونَ بإزائهم»[84]، ومع ذلك من المتصور طابع المبالغة الرقمية، الذي اعتادته مصادر ذلك العصر.

ذلك عرض عن المقدمات السياسـية والعسكرية لحصار الصليبيين لمدينة دمشق، أما المبحث التالي فيبحث أحداث الحصار ومراحله.

المبحث الثاني:

أحداث الحصار ومراحله

عقد اجتماع كبير للصليبيين في شهر صفر 543هـ / يوليو 1148، في طبرية، حيث اجتازت القوات الصليبية الضخمة، التي بلغت تعدادها نحو خمسين ألفاً الجليل، وعبرت مرتفعات الجولان، ومرت على بانياس (الداخلة) إلى جنوب الحرمون يوم الجمعة 4 ربيع الأول 543هـ / 23 يوليو 1148م، لتصل إلى السهل عبر وادي العجم، ثم تحركوا إلى دمشق، حتى مرتفع منازل العساكر التي تبعد عشرة كم جنوبي دمشق، ومن هناك انتشروا في البساتين والحدائق، الواقعة إلى الجهة الجنوبية المعروفة باسم الميدان الأخضر، نظراً لما تؤمنه لهم من حماية، بسبب كثافة الأشجار، احتل الصليبيون بساتين داريا إحدى ضواحي دمشق، يوم السبت 5 ربيع الأول 543هـ / 24 يوليو 1148م، وفرضوا الحصار على مدينة دمشق[85].

دارت معركة بين المسلمين والصليبيين بالقرب من دمشق، في يوم السبت

6 ربيع الأول 543هـ / 24 يوليو 1148م، فخرج أهل دمشق من الأجناد والأتراك والمطوعة، وحاول الجيش الدمشقي وقف تقدم الصليبيين، فاشتد القتل بينهم، فصبر لهم المسلمون، وتفوّق الصليبيون على المسلمين لكثرة عددهم، مما أجبر المسلمين على الانسحاب إلى داخل المدينة، وتقدّم الصليبيون حتى وصلوا إلى أسوار المدينة[86]، فظن أهل دمشق أن الصليبيين سوف يملكون البلاد، وبدؤوا في وضع المتاريس والحواجز في الشوارع، إيذاناً بالصراع الأخير[87].

يصف وليم الصوري صمود أهل دمشق: «صمد الدماشقة في بادئ الأمر صمود الأبطال، وحاربوا ببسالة، لكن سرعان ما تسرب إليهم الوهن، فلم يعودوا قادرين على تحمل المقاومة»[88]، وهي عبارة تخالفها وقائع الأحداث، والمؤكد أن الجانب الدعائي غالب على مؤرخ الصليبيين الكبير.

استشهد على أبواب دمشق في هذا اليوم، كل من الفقيه الإمام يوسف الفندلاوي[89]، والفقيه الحلحولي[90]، قرب الربوة، لوقوفه في وجوه الصليبيين، وترك الرجوع عنهم، فلما رآه معين الدين أنر وهو راجل، قصده وسلم عليه وقال له: «يا شيخ أنت معذور لكبر سنك، ونحن نقوم بِالذَّبِّ عن المسلمين، وسأله أن يعود فلم يفعل، وقال له: قد بعت واشترى مني، فوالله لا أقلته ولا استقلته، يعني قول الله تعالى في محكم تنزيله : {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ} [التوبة: 111]، وكان مع الفقيه الفندلاوي؛ الشيخ الزاهد الفقيه عبد الرحمن الحلحولي، وقد قاتلا قتالاً شديداً حتى استشهدا في أرض المعركة، ويعتبران من الأبطال الشعبيين في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية»[91].

في المساء قام الصليبيون بقطع الأشجار والتحصّن بها، وراحوا يغرزون

متاريس الحسائك الخشبية من الأشجار التي كانوا يقطعونها، وهدم القناطر، وباتوا تلك الليلة على هذه الحال، وقد لحق الناس من الارتياع، لهول ما شاهدوه، والروع بما عاينوه، ما ضعفت به القلوب وحرجت معه الصدور[92].

في صباح اليوم الثاني للحصار 7 ربيع الأول 543هـ / 25 يوليو 1148م، بدأت تتدفق التعزيزات التي طلبها أنر إلى داخل المدينة، من خلال البوابات الشمالية للمدينة، وبمساعدتها خرج المسلمون لقتال الصليبيين، وشنوا هجوماً مضاداً، ووقع القتال بينهم، واستظهر المسلمون عليهم، وأكثروا القتل والجراح في الصليبيين، ودحروهم بعيداً عن الأسوار، وأبلى الأمير معين الدين بلاءً حسناً، وظهر من شجاعته وصبره وبسالته ما لم يشاهد في غيره، ولم تزل رحى الحرب دائرةً بينهم، إلى أن مالت الشمس إلى الغروب، وأقبل الليل، وعاد كل منهم إلى مكانه، وبات الجند بإزائهم، وأهل البلد على أسوارهم للحرس والاحتياط، وهم يشاهدون أعداءهم بالقرب منهم، وتكررت الهجمات في اليومين التاليين، وشن المسلمون حرب العصابات داخل الحدائق والبساتين، وكانت عملياتهم من الخطورة البالغة للصليبيين؛ بحيث اجتمع كونراد وبلدوين وقررا إخلاء البساتين جنوب المدينة، والانتقال إلى الشرق وضرب المعسكر في بقعة لا يجد فيها العدو مثل هذه التغطية[93]، وكل هذا يؤكد تفنيد ما أورده وليم الصوري.

كان الصليبيون يحاصرون دمشق، وصل كل من سيف الدين غازي، ونور الدين محمود إلى مدينة حمص، على رأس جيش يقدر بعشرين ألف مقاتل كما يقال، أرسلا مبعوثين لمفاوضة أنر حول شروط دعمهما له، حيث اشتهر أنر بتقلباته السياسية، وقد وقف سيف الدين غازي على هذا المزاج السياسي لحاكم دمشق، لذلك لم يشأ أن يتحرك من حمص قبل أن يحصل على ضمانات

كافية، تمنعه من الغدر به، أو بعقد صلح منفرد مع الصليبيين، فيعرض قواته للخطر، فقد طالب ابنا الزنكي السماح لقواتهما بدخول دمشق، كما أصرا أيضاً على أن قيادتي القلعة والحامية يجب أن تسندا إلى أحد الضباط الزنكيين، وهما يتعهدان باستعادتهما بعد النصر، وبالمقابل فلم يكن أنر يجهل استحالة إزاحة الأميرين الزنكيين عن المدينة، وبالتالي فقد حاول أن يكسب الوقت[94].

اتصل كل من سيف الدين غازي وأخوه نور الدين محمود، بمعين الدين أنر لتنسيق التعاون بينهم ضد الصليبيين، وكان معين الدين أنر حاكم دمشق يعلم جيداً نية الأخوين، ولم يكن يرغب بدخول سيف الدين ونور الدين دمشق، ويدرك أنه إذا دخلت جنودهما دمشق مرة فلن يتركوها للأبد، فعمل على التخلص من هذا الموقف الذي فرضه عليه الصليبيون، من دون الاستعانة بقوات الأخوين الزنكيين، وقبول شروطهما، فقام بتهديد الصليبيين بتسليم دمشق لسيف الدين، أو لنور الدين، إذا حاولوا اقتحامها، فأرسل يقول لهم: «إن ملك الشرق قد حضر، فإن رحلتم، وإلا سلمت البلد إليه، وحينئذ تندمون»[95].

كذلك راسل حكام بيت المقدس، ووعدهم بتسليم حصن بنياس في مرتفعات الجولان لهم، إذا أقنعوا الإمبراطور كونراد الثالث والملك لويس السابع بالانسحاب عن دمشق، وترافقت هذه الاتصالات؛ مع حدوث خلاف بين الصليبيين أنفسهم، الصليبيين المحليين، والصليبيين الوافدين، حول من سيحكم دمشق بعد احتلالها، فقد طمع أمراء بيت المقدس، في أن تصبح دمشق بعد الاستيلاء عليها تابعة لمملكتهم، وعارض الملك لويس السابع، والإمبراطور كونراد الثالث اللذان طمعا في الفوز بدمشق، ليقيما فيها إمارة صليبية جديدة مستقلة، فاستغل معين الدين أنر هذه الخلافات، فعمل على تعميقها، ثم بذل الرشى للصليبيين المحليين ووعدهم بدفع الجزية[96]. إن هذه الواقعة تعطينا

انطباعاً، أنه رغم الكفاءة السياسـية والعسكرية لحاكم دمشق، إلا أنه يفعل أي شيء من أجل البقاء، وحب التملك والسيطرة.

قبِل ملـك بيت المقـدس عرض معيـن الدين أنـر، وأقنعـوا الإمبراطور الألماني كونراد الثالث، والملك الفرنسـي لويس السابع بضرورة الانسحاب، خوفاً من تسـليم دمشق لسـيف الدين غازي، الذي إن تسلمها طمع في احتلال بيت المقدس، وباقي الإمارات الصليبية فيما بعد، فيزول الوجود المسيحي كله من الشرق[97]، وفي رواية أخرى؛ أن معين الدين أنر اسـتطاع أن يبذر بذور الشقاق بين الصليبيين المسـتوطنين، وبيـن الصليبيين الجدد، وذلك بفضل ما بذله من الرشـى والوعود بدفع الجزية، وفي تحريض الصليبيين المستوطنين على أن يتسببوا في إفشال الحصار[98].

ذكر وليم الصوري؛ أن الصليبيين المستوطنين في الشرق؛ فاوضوا حاكم بيت المقدس سـراً، ويذهب المؤرخ ابن القلانسـي المذهب نفسه، فقد عرض الدمشقيـون على ملك بيت المقدس بلدوين الثالث، دفع مائتي ألف قطعة ذهبية (دينار)، ولحاكم طبرية مائة ألف قطعة، مقابل رفع الحصار، إذا أقنعوا الملك الألمانـي كونراد الثالث بالانسـحاب، فكـان العرض مغريـاً، فقبل ملك بيت المقدس هذه الصفقة المخجلة، التي خدع فيها خدعة كاملة[99].

يشير وليم الصوري إلى أن كونت فلاندرز يعتبر وراء الخيانة، والمسؤول عن فشل الحصار، حيث إنه لما صارت الكتائب الصليبية أمام دمشق، واحتلت الغابـات والنهر بالقوة، وفرضـت الحصار على البلد، جاء هـذا الكونت إلى كل واحـد من العاهلين، واحـداً بعد الآخر، يلح عليـه أن يقطعه مدينة دمشق بعـد إتمـام فتحها، وأبدى العاهلان اسـتجابة إلى طلبه، ولكـن بعض الأمراء

رفضـوا الفكـرة، فعمل علـى إفشال الحصـار[100]، وحيث إن ذلـك المؤرخ الرسـمي للمملكة الصليبية، ويعتمد على شهادات المعاصرين للأحداث، لذلك من الممكن الأخذ بروايته، خاصة أن منطق الأحداث نفسـه، يشير إلى تغيير موقع معسكر الصليبيين، على عكس مصلحتهم الأصلية.

بينمـا يرى البعض، أن أمير أنطاكيـة ريموند أوف بواتيه كرّس كل جهده من أجل إفشال مشروع الملك الفرنسي لويس السابع، الذي أثار غضبه، رغم ما قدم له من الدعم أثناء تواجه في أنطاكية، فعمل أمير أنطاكية على أن يغري فريقـاً من كبار رجال الجيش الصليبي علـى تعقيد الأمور؛ تعقيداً جعل الملك الفرنسي يتخلى عن المشروع نهائياً[101].

تحـرك الجيش الصليبي يوم 9 ربيـع الأول 543هـ / 27 يوليو 1148م، إلى السهل؛ خارج السور الشرقي لمدينة دمشق، وأخلى الجيش الصليبي الموضع الـذي حصل عليه بشق النفس، وتكبد فيه هـلاك الرجال، هكذا تحولت جميع الكتائـب من هـذا المكان، تنفيذاً للاتفاقات مع الدماشـقة، الذين قدموا للقيادات الصليبيـة الرشـوة، إلـى الجانب الآخر مـن المدينة، ولقد كان القـرار بمثابة كارثـة؛ وسـرعان ما اتضح أن هـذا الموضع الجديد يفتقر إلـى المياه، وبعيد كل البعد عن بساتين الفاكهة، ويواجه أقوى قسم من الأسوار، ويستطيع جيش المسـلمين أن يتحرك بحرية أكبر في أنحاء تلك البساتين، وبذلك ضاعت آخر فرصة للاستيلاء عن دمشق، وبات الجيش الصليبي هو الذي يدافع، وحينذاك أدركوا أن الخيانة آتت أكلها[102].

أثـارت هـذه الاتفاقية، ظلال عـدم الثقة بيـن صليبيي الشـرق وصليبيي الغرب، الذين لم يمنعوا أنفسهم من اتهام الصليبيين المحليين، مالكي الأراضي

والمستحوذين على المنافع، وخاصةً نبلاء مملكة بيت المقدس، بأنهم خانوا القضية المشتركة (خيانة القضية المسيحية)[103].

دل هذا على أن الحركة الصليبية، لم تكن حروباً مقدسةً، بل كانت من أجل مصالح سياسية واقتصادية، لا يمت بصلة، إلى استرجاع الأماكن المقدسة عند المسيحيين من المسلمين، أو تأمين طريق الحج إلى بيت المقدس، كما كان يزعم الباباوية، التي هندست للمشروع الصليبي.

عندما أيقن الصليبيون أن مشروعهم مقضي عليه، وباء بالفشل، تخلوا عن حصار دمشق، فجر يوم الأربعاء 10 ربيع الأول 543هـ / 28 يوليو 1148م، أي في اليوم الخامس لوصولهم أمام دمشق، دون أن يحصلوا على شيء، وقاموا بهدم معسكرهم، ورفعوا حصارهم عن المدينة، وتوجهوا نحو الجليل[104]، وتعرضوا أثناء انسحابهم لمناوشات العناصر التركمانية، ولم يدعوهم يرحلون بسلام، وقاموا يمطرونهم بالسهام، وتحول الطريق إلى فراش لجثث الرجال والخيول، وقد ضاقوا ذرعاً بمرارة الفشل، وحرارة الجو، وقلة الماء[105].

يقول وليم الصوري: إنه عجز عن الوصول إلى الخبر اليقين، في شأن من تقع على عاتقه مسؤولية إفشال حصار دمشق[106]، مما دل على تعدد أسباب فشل الحصار، على نحو جعل مؤرخ الصليبيين الرسمي في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، لا يستطيع تحديد أي تلك الأسباب أهم.

والواقع أن تسلسل الأحداث، أكد فكرة الخيانة في صفوف الصليبيين.

ذلك عرض أحداث ومراحل حصار الصليبيين لمدينة دمشق، أما المبحث التالي فيبحث نتائج الحصار.



المبحث الثالث:

نتائج الحصار

علـــى الرغم مما بذله الصليبيـــون من جهد لاحتلال دمشـــق، فإنهم أخفقوا في تحقيق هدفهم، وانســـحبوا من أمام أسوارها في فجر يوم الأربعاء 10 ربيع الأول 543هـ / 28 يوليو 1148م، بعد حصار دام خمسة أيام فقط، حاول خلالها الصليبيون عبثاً اقتحام أسوار المدينة[107].

يمكـــن إجمال العوامل التي أدت إلـــى فشل حصار الصليبيين لمدينة دمشق على النحو التالي:

أولاً: قوة دفاع معين الدين أنر حاكم دمشق عن المدينة، وصمود الدماشقة في وجه العدوان الصليبي، وتهديد معين الدين أنر الصليبيين بتسليمها للزنكيين.

ثانياً: تضامن الإمارات الإســـلامية، كحلب والموصل مع دمشق وسلاجقة الـــروم، في وجـــه العدوان، وتوفـــر إرادة المقاومـــة والقتال في نفـــوس القادة والعامة.

ثالثاً: وصول جيش الموصل بقيادة سيف الدين غازي، وجيش حلب بقيادة نـور الدين محمـود في الوقت المناسـب إلى حمص، وخـوف الصليبيين من وصول الزنكيين وأنصارهم لنجدة أهل دمشق.

رابعـاً: الخلافات بين الصليبيين والبيزنطيـن، والخلافات بين الصليبيين المحليين المقيمين في الشرق، والصليبيين الوافدين من الغرب.

خامساً: الخلافات بين الجيش الألماني والجيش الفرنسي، وكذلك الخلافات بين القادة الصليبيين أنفسهم.

سادساً: سوء التنظيم، وغياب الحماسة الدينية كما كانت في الحملة الأولى.

وعند المقارنة بين أهم هذه العوامل، نجد أنها اشـتركت معاً في إفشال هذا الحصار، دون أن نجعل عاملاً واحداً هو السبب.

انسـحبت جيـوش الصليبيين إلى فلسـطين، ومن عكا أبحـر الإمبراطور الألماني كونراد الثالث إلى القسطنطينية، يوم الأربعاء 22 ربيع الآخر 543هـ / 8 أغسطس 1148م، في طريق عودته لألمانيا، بعد أن تسلم قلعة بانياس، في حين تأخر الملك الفرنسـي لويس السابع عدة أشهر في الشرق، حيث عاد إلى مملكتـه بعد احتفاله بعيد الفصح في بيت المقدس عام 1149م / 544هـ، وهناك طلّق زوجته إليانور، بسبب ما تسببت به من الأضرار خلال الحملة الصليبية الثانية[108].

يصف المؤرخ رانسـيمان، تخلي الجيش الصليبي عن حصار دمشق، بعد خمسة أيام من الحصار: بأنه بمثابة لطمة مريرة للكبرياء المسيحية، وتحطمت تماماً أسطورة فرسان الغرب الذين لا يقهرون[109].

عن هذه الحملة يقول أيضاً، واصفاً الآمال والخيبة، والنتائج التي ترتبت عليها: إنه ما من حملة تضارعها، إذ دعا إليها ووضع خططها البابا، وقادها أعظم ملكين في أوروبا، فاتجهت إليها أنظار العالم المسيحي، ولكن فشلها الذريع وارتدادها المشين عن دمشق، كان خيبة لا توصف، بل إنها أدت إلى القطيعة النهائية بين المسيحيين في الغرب والبيزنطيين، وبذرت الشكوك بين الصليبيين القاطنين في الشرق، ثم حملت المسلمين على أن يزدادوا تقارباً، وكشفت القناع عن أسطورة الفرنج الذين لا يقهرون، يضاف إلى ذلك أنها كشفت عن جهل وحماقة الملوك الأوروبيين الذين قادوا تلك الحملة[110].

واقع الأمر، من الممكن تأييد ما ذهب إليه المؤرخ البارز المذكور، إذ إن تلك الحملة، أكدت أنه من الممكن أن يهزم الصليبيون، الذين انتشوا بخمر انتصارهم في الحملة الأولى، وجاء هذا الفشل لدعم نجاح المسلمين السابق عام 539هـ / 1144م، عندما أسقطوا إمارة الرها.

هكذا انتهت تلك الحملة الصليبية بالفشل التام، وهناك مجموعة من النتائج تمخضت عنها الحملة الصليبية الثانية منها:

أولاً: كان فشل الحملة الصليبية الثانية نقطة تحول محورية، في تاريخ الحروب الصليبية بصفة عامة، وفي تاريخ الشرق الأدنى بصفة خاصة، الأمر الذي نجم عنه كسر هيبة الصليبيين في نفوس المسلمين، وتطور حركة المقاومة الإسلامية[111].

ثانياً: أدى إخفاق الحملة الصليبية الثانية، إلى أن يسيء الظن الغرب الأوروبي بالحركات الصليبية، وترتب على ذلك أن ضاعت الجهود التي بذلت من أجل الدعاية لتلك الحملة الصليبية[112].

ثالثـــاً: قضـــى هذا الإخفاق على كل أمل في اعتمـــاد الصليبيين في الشرق، علـــى أوروبا لإمدادهم بالعون والمســـاعدة في المســـتقبل، بعـــد أن فقدوا ثقتهم بأولئك الغربيين، الذين لا يحسنون التصرف في الشرق.

رابعـــاً: أجّـــج فشل الحملة الصليبيـــة الثانية، وفشـــل الصليبيين في احتلال دمشـــق، العداء الصليبي تجـــاه الإمبراطورية البيزنطيـــة، إذ إن المعاناة التي لقيها الإمبراطور الألماني كونراد الثالث، وكذلك الملك الفرنسي لويس السابع في آسيا الصغرى، من خلال الطريق البري، الذي مر بمناطق الإمبراطورية البيزنطية، أكد العداء المتأصل بين الطرفين، وهو عداء سيتراكم طول القرن الســـادس الهجـــري / الثاني عشر الميلادي، حتى يصل إلـــى ذروته مع مطلع القرن الســـابع الهجري / الثالث عشر الميلادي، عندما تسقط القسطنطينية عام 600هـ / 1204م على أيدي الغرب الأوروبي.

خامســـاً: قام نـــور الدين محمود بعد رحيل الصليبييـــن، بالإغارة على إنب وقتل ريموند بواتيه فيها عام 544هـ / 1149م، وحصل على الأراضي المتصلة بإمـــارة أنطاكية؛ مثل حـــارم وأفامية، وضاعت إمارة الرهـــاء، وتفككت إمارة أنطاكية[113].

سادساً: ما من شك أن نور الدين محمود بمثابة المستفيد الرئيسي، من فشل الحملة الصليبية الثانية، بعد حاكم دمشق، وقد خرج من هذا الحدث الكبير بما أكد قناعاته وتوجهاته الســـابقة، الخاصة بالأهمية الاستراتيجية لإمارة دمشق، في المواجهة مع الصليبيين، فترسخت فكرة الاستيلاء عليها بأي ثمن، وهذا ما فعله عام 549هـ / 1154م، عندما اســـتولى على مدينة دمشق، بعد ست سنوات من فشل الحصار، وذلك من خلال المصاهرة السياسية[114].

سابعاً: نتج عن تلك الحملة الصليبية، أن ظهر لدى الوجدان الشعبي الإسلامي بطلان، استشهدا أمام أسوار دمشق، هما الفندلاوي والحلحولي، وقد أحاطهما العامة بهالة من القداسة، وكانوا يزورون قبرهما للتبرك بهما، وهكذا أفرزت تلك الأحداث، أبطالاً شعبيين بجوار القيادات السياسية.

في النهاية تأكد لنا أن الحركة الصليبية لا تلتزم بأية اتفاقيات، بل الجشع والطمع، والمكاسب السياسية والاقتصادية، كانت المحرك لها، فها هي دمشق حليفة الصليبيين، تدفع ثمن دائرة أطماعهم.

ذلك عرض عن حصار الصليبيين لمدينة دمشق، خلال الحملة الصليبية الثانية، أما الفصل التالي فيتناول حصار الصليبيين لمدينة عكا.

هوامش الفصل الثالث:

1 – عماد الدين زنكي: وهو الملك عماد الدين زنكي بن الحاجب قسيم الدولة آق سنقر، أتابك الموصل، وصاحب حلب، من أبرز الأمراء في العصر السلجوقي، تولى حكم الموصل والجزيرة عام 521هـ / 1127م، بذل جهوداً من أجل توحيد الجبهة الإسلامية في مواجهة الصليبيين، فضم إليه العديد من المدن أهمها مدينة حلب وحمص وحماة؛ كان من أهم أعماله فتح إمارة الرها الصليبية عام 539هـ / 1144م، قتل أثناء حصاره لقلعة جعبر على يد أحد مماليكه عام 541هـ / 1146م، ابن العديم، زبدة الحلب من تاريخ حلب، ص301 – 304؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، 2/327 – 329؛ وليم الصوري، الحروب الصليبية، ترجمة: حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة: مصر، 1414هـ – 1994م، 3/242؛ عوض، محمد مؤنس، معجم أعلام عصر الحروب الصليبية، ص107.

2 – تولى أمر الرها الكونت جوسلين الثاني، فهجر مقامه هناك، وجعل مقره الدائم قرب الفرات، في قلعة تل باشر، لمعرفة المزيد من التفاصيل عن الرها الصليبية انظر: وليم الصوري، الحروب الصليبية، 3/235. الجنزوري، علية عبد السميع، إمارة الرها الصليبية؛ الرويضي، محمود محمد فالح، إمارة الرها الصليبية (1097م – 1155م)؛ رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 2/272.

3 – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص279، وليم الصوري، الحروب الصليبية، 3/235 – 239.

4 – رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 2/274.

5 – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 9/131، ابن الأثير. أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت: 630هـ/1233م)، التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية، تحقيق: عبد القادر أحمد طليمات، دار الكتب الحديثة، القاهرة: مصر، 1382هـ – 1963م. ص70، وليم الصوري، الحروب الصليبية، 3/267.

6 – تل باشــر: قلعة حصينة وكورة واسعة في شمال حلب بينهما يومان، ياقوت الحموي، معجم البلدان، 2/40.

7 – هـو ابــن جوسـلين الأول الذي لقــب بصاحب الرها، أمــه أرمنية، يعد مــن الأمراء الصليبييــن الذين ولــدوا في المشرق، تولى خــلال الفترة (525 – 559هـ/1131 – 1164م) مــا تبقى من إمارة الرها وتل باشــر، في عهده تمكــن عماد الدين زنكي من فتح الرها عام 539هـ/1144م، ماير، هانس أبراهارد، تاريخ الحروب الصليبية، ص128 – 129. عوض، محمد مؤنس، معجم أعلام عصر الحروب الصليبية، ص391.

8 – رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 2/275.

9 – التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية، ص69.

10 – وليــم الصوري، الحروب الصليبية، 3/267؛ المطوي، محمد، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، ص69.

11 – عاشــور، ســعيد، الحركة الصليبية، 1/606؛ طقوش، محمد ســهيل، تاريخ الحروب الصليبيــة، حــرب الفرنجة في المشــرق (489 – 690هـ/1096 – 1291م)، ط: الأولى، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت: لبنان، 1432هـ – 2011، ص314؛ نقلي، آســيا، دور الفقهاء والعلماء في الجهاد ضد الصليبيين، ص53.

12 – للمزيد عن الملكة ميليسيندا انظر: وليم الصوري، الحروب الصليبية، 3/234.

13 – ملك بيت المقدس (539 – 558هـ/1145 – 1163م)، الابن الأكبر للملكة ميليسيندا والملك فولــك، عندما مات ملك بيت المقدس فولك عــام 538هـ/1143م، انتقل التاج إلى ابنه بلدوين الثالــث، ولكنــه كان قاصراً وكان عمره 13 عاماً، فتولت أمه ميليســيندا شــؤون الوصاية علــى الحكم، حتى تولاها عام 547هـ/1152م، وحكم عشرين ســنة، للمزيد عنه انظر: وليم الصوري، الحروب الصليبية، 3/230 – 233؛ عاشــور، ســعيد، الحركة الصليبية، 1/483، الزيــدي، مفيد، تاريــخ الحروب الصليبيــة، ص73؛ عوض، محمد مؤنــس، معجم أعلام عصر الحروب الصليبية، ص368.

14 – بابا روما، تولى المنصب البابوي خلال الفترة من 20 شعبان 539هـ/15 فبراير 1145م إلى 13 ربيع الأول 548هـ/8 يونيو 1153م، عنه انظر:

J. A. N. E. Kelly, Oxford Dictionary of Proper, Oxford 1996, p.p 172 – 173 .

15 – طقـوش، محمد سـهيل، تاريخ الحروب الصليبية، ص314؛ أبـو صيني، عبد القادر أحمـد، دور نـور الدين في نهضة الأمة ومقاومة غزو الفرنجة، الجامعة الأردنية، عمان: الأردن، 1996م، ص94. رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 2/287.

16 – رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 2/275.

17 – هو إمبراطور ألمانيا خلال الفترة (532 – 547هـ/1138م – 1152م)، ابن الدوق فريدريك الأول السـوابي وأمه وأجنيس ابنة هنري الرابـع إمبراطور ألمانيا (448 – 498هـ/1056 – 1105م)، وفي عام 519هـ/1125م أقسـم كونراد الثالث على الذهاب إلى الأراضي المقدسة، توفـي فـي 7 ذو القعدة 546هـ/15 فبراير 1152م، في بامبرج ودفن في كنيسـتها، وخلفه بعد موته ابن أخيه فريدريك بارباروسـا دوق سـوابيا، الذي رافـق الإمبراطور خلال الحملة الصليبية الثانية، وليم الصوري، الحروب الصليبية، 3/320 – 321؛ عوض، محمد مؤنس، معجم أعلام عصر الحروب الصليبية، ص438 – 439.

18 – ملك فرنسا خلال الفترة (531هـ – 576هـ/1137م – 1180م)، خلف والده لويس السادس (501 – 531هـ/1108 – 1137م)، ولد عام 514هـ/1120م، تزوج بإليانور ابنة وليم العاشر دوق أكويتين، وقد شـاركت في أحداث الحملة الصليبية الثانية (541 – 543هـ/1147م – 1149م)، وليـم الصوري، الحـروب الصليبية، 3/320؛ عوض، محمد مؤنـس، معجم أعلام عصر الحروب الصليبية، ص440.

19 – دويل، أودو أوف، رحلة لويس السابع إلى الشرق، وقع ضمن الموسوعة الشاملة في الحـروب الصليبية، ج: 7، تحقيق وترجمة: سـهيل زكار، ط: الأولى، دار الفكر، دمشق: سوريا، 1416هـ – 1995م، 2/292.

20 – هو رئيس رهبان دير السسـتريان في كليرفوه بفرنسـا منذ عام 509هـ/1115م، وكان عمـره آنذاك خمسـاً وعشرين سـنة، وهـو لاهوتي وداعيـة للحروب الصليبيـة، ولد في فونتاين عام 483هـ/1090م، وكان صاحب الأثر المهيمن على الحياة الدينية والسياسـية في أوروبا الغربية، وهو الذي أعطى النظام البندكتي قوته الدافعة، وهو الذي أنقذ البابوية من رغام الصدع الذي كاد يسـببه أناكليتوس، إذ كان في وعظه حماس واخلاص، يعد داعية للحملـة الصليبيـة الثانيـة (541 – 543هـ/1147م – 1149م)، وكان ذلـك في مجمع فيزيلاي عـام 540هـ/1146م، توفي عـام 548هـ/1153م، عوض، محمد مؤنـس، معجم أعلام عصر الحروب الصليبية، ص541، رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 2/293.

21 – تاريخ الحملات الصليبية، 2/292.

22 – دويل، أودو، 7/13 – 15 – 17، وليم الصوري، الحروب الصليبية، 3/268؛ روجر أوف ويندوفر، ورود التاريخ، تحقيق وترجمة: سهيل زكار، دمشق: سوريا، 1421هـ – 2000م، 39/164. رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 2/288.

23 – أبو صيني، عبد القادر، دور نور الدين في نهضة الأمة، ص94.

24 – وليم الصوري، الحروب الصليبية، 3/267؛ المطوي، محمد، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، ص70، رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 2/293 – 294.

25 – وليم الصوري، الحروب الصليبية، 3/269.

26 – لم تكن العلاقة بين الجيشين الألماني والفرنسي وأتباعهما من الحجاج جيدة، حيث كان كل منهما ينهب تموين الآخر، أليسيف، نيكيتا، السلطان نور الدين بن زنكي، ترجمة، تحقيق: سليم قندلفت، علي القيم، ط: الأولى، ألف باء الأديب، دمشق: سوريا، 1998م، ص149.

27 – وليم الصوري، الحروب الصليبية، 3/269.

28 – عاشور، سعيد عبد الفتاح، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، بيروت: لبنان، 2009م – 1430هـ، 1/452.

29 – وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، 3/269؛ طقوش، محمد سهيل، تاريخ الحروب الصليبية، ص317.

30 – وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، 3/271.

31 – حيث رفض البابا والإمبراطور كونراد الثالث، عرض روجر السيسيلي بنقل الجيش الصليبي بحراً، مما يتيح تحاشي الاحتكاك بالبيزنطيين، أليسيف، نيكيتا، السلطان نور الدين بن زنكي، ص149.

32 – وليم الصوري، الحروب الصليبية، 3/270؛ طقوش، محمد سهيل، تاريخ الحروب الصليبية، ص317؛ أبو صيني، عبد القادر، دور نور الدين في نهضة الأمة، ص94.

33 – الكامل في التاريخ، 9/158.

34 – ذيل تاريخ دمشق، ص461، 462.

35 – حتى إن وليم الصوري يقول: «إنه لم يحدث قط، أن كان ثم جيش يكافئ هذا الجيش الزاحف في كثافته، وكثرة رجاله، حتى قيل إن خيّالته وحدها تغطي سطح البلد كله، ولا تكفيهم مياه أكبر الأنهار للشرب، ولا تسد جوعهم وشبع بطونهم أوفر الحقول إنتاجاً»، الحروب الصليبية، 3/270 – 271، وهو أمر يحوي مبالغة واضحة لا تخلو من دلالة.

36 – عاشور، سعيد، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، 1/453؛ أليسيف، نيكيتا، السلطان نور الدين بن زنكي، ص148.

37 – على الرغم من أن العلاقات بين مانويل كومنينوس وكونراد الثالث كانت جيدة، حيث كانا متزوجين من شقيقتين، وكلاهما إمبراطور، وبالتالي فهما متساويان في الحقوق، وكان لهما عدو مشترك هو روجر الثاني ملك سيسيليا، فرفض التبعية للإمبراطور البيزنطي، أليسيف، نيكيتا، السلطان نور الدين بن زنكي، ص149.

38 – وليم الصوري، الحروب الصليبية، 3/273 – 274؛ زابوروف، ميخائيل، الصليبيون في الشرق، ص183.

39 – وذلك لحرصهم على أن يصيبوا أولى ثمار الغنيمة، باركر، إرنست، الحروب الصليبية، ص76.

40 – ذيل تاريخ دمشق، ص462.

41 – أليسيف، نيكيتا، السلطان نور الدين بن زنكي، ص149.

42 – عاشور، سعيد، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، 1/453.

43 – للمزيد عن السلطان مسعود انظر: المحيميد، علي، الدانشمنديون وجهادهم في بلاد الأناضول، صفحات متفرقة.

44 – أليسيف، نيكيتا، السلطان نور الدين بن زنكي، ص149.

45 – طقوش، محمد سهيل، تاريخ سلاجقة الروم في آسيا الصغرى، دار النفائس، عمان: الأردن، 2002م، ص146.

46 – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص462.

47 – طقوش، محمد سهيل، تاريخ سلاجقة الروم في آسيا الصغرى، ص146.

48 – هي ابنة وليم العاشر دوق أكويتاين، أخ أمير أنطاكية ريموند، ولدت عام 516هـ/1122م،

وتوفيت عام 600هـ/1204م، كانت أغنى وأشهر وأقوى امرأة في أوروبا الغربية خلال العصور الوسطى، كانت ملكة فرنسا بين العامين (531 – 547هـ/1137–1152م)؛ بزواجها بلويس السابع، وبعدها ملكة إنجلترا بين العامين (549 – 585هـ/1154–1189م) من خلال زواجها بالملك الإنجليزي هنري الثاني، أليسيف، نيكيتا، السلطان نور الدين بن زنكي، ص150.

49 – طقوش، محمد سهيل، تاريخ سلاجقة الروم في آسيا الصغرى، ص146، رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 2/288.

50 – زابوروف، ميخائيل، الصليبيون في الشرق، ص183؛ طقوش، محمد سهيل، تاريخ سلاجقة الروم في آسيا الصغرى، ص146،

51 – أفسوس: مدينة تقع على ساحل بحر إيجة، عرفها البلدانيون العرب باسم أبسوس، اشتهرت لأن فيها كهف أصحاب الكهف، وعرف بعد ذلك باسم أيلسوق أو أياسليغ، المحيميد، علي، الدانشمنديون وجهادهم في بلاد الأناضول، ص210، حاشية 5.

52 – زابوروف، ميخائيل، الصليبيون في الشرق، ص183.

53 – نفس المرجع، نفس الصفحة.

54 – زابوروف، ميخائيل، الصليبيون في الشرق، ص184.

55 – أليسيف، نيكيتا، السلطان نور الدين بن زنكي، ص149.

56 – زابوروف، ميخائيل، الصليبيون في الشرق، ص185؛ طقوش، محمد سهيل، تاريخ سلاجقة الروم في آسيا الصغرى، ص146؛ انظر: خريطة رقم (6)، مسار الحملة الصليبية الثانية عام 1147 – 1149م/542 – 543هـ.

57 – تولى ريموند أوف بواتيه إمارة أنطاكية بعد زواجه بكرنستانس الوريثة الوحيدة للإمارة، بعد وفاة والدها بوهيموند الثاني سنة 529هـ/1136م، عاشور، سعيد، الحركة الصليبية، 2/524 – 525.

58 – أبو القاسم محمود بن عماد الدين زنكي بن آق سنقر، الملقب بالملك العادل نور الدين، وكان الصليبيون يلقبونه بنور الدين الرهيب، ولد سنة 1117م/511هـ، لما حاصر والده عماد الدين زنكي قلعة جعبر وقتل على يد أحد مماليكه سنة 1146م/541هـ، سار نور الدين إلى مدينة حلب فملكها، وملك أخوه سيف الدين غازي مدينة الموصل، استولى

على مدينة دمشق سنة 1154م/549هـ، وأسقط حكم الدولة البورية، وفتح الكثير من بلاد الروم، وسير الأمير أسد الدين شيركوه وابن أخيه صلاح الدين الأيوبي إلى مصر وسيطر عليها بعد الصراع الوزاري في مصر الفاطمية بين شاور وضرغام، وكان ملكاً عادلاً زاهداً عابداً ورعاً، حتى إن مملكة الصليبيين تقلصت في عهده، توفي سنة 1174م/569هـ بمرض الخوانيق (الذبحة الصدرية)، ابن عساكر، تاريخ دمشق، 57/118؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، 5/184 – 189؛ ابن قاضي شهبة، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة الأسدي الدمشقي (ت: 851هـ/1448م)، الكواكب الدرية في السيرة النورية، تحقيق: محمود زايد، دار الكتاب الجديد، بيروت: لبنان، 1971م؛ حبشي، حسن، نور الدين والصليبيون، دار الفكر العربي، القاهرة: مصر، 1948م، ص24 – 172.

59 – الزيد، مفيد، تاريخ الحروب الصليبية، ص75.

60 – غادر الملك لويس السابع أنطاكية بصورة مفاجئة دون استئذان من مضيفه، ودون الاكتراث بما تتعرض له إمارة أنطاكية، واصطحب زوجته معه بالقوة، بعد أن كثرت الألسنة عن وجود علاقة حميمة بين العم وابنة أخيه. أليسيف، نيكيتا، السلطان نور الدين بن زنكي، ص152، الجنابي، طلب صبار، إمارة أنطاكية، ص200؛ قاسم، قاسم عبده، ماهية الحروب الصليبية، ص138.

61 – رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، ص2/323 – 324؛ أليسيف، نيكيتا، السلطان نور الدين، ص152.

62 – عاشور، سعيد، تاريخ أوروبا العصور الوسطى، 1/465، رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، ص2/324؛ باركر، إرنست، الحروب الصليبية، ص76.

63 – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص463.

64 – الروضتين في أخبار الدولتين، 1/184.

65 – رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، ص2/325.

66 – أليسيف، نيكيتا، السلطان نور الدين بن زنكي، ص153.

67 – أبو صيني، عبد القادر، دور نور الدين في نهضة الأمة، ص95؛ رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، ص2/326.

68 – بيطار، أمينة، تاريخ العصر الأيوبي، ط: الأولى، جامعة دمشق، سوريا، 1995م، ص57.

69 – باركر، إرنست، الحروب الصليبية، ص76.

70 – ذيل تاريخ دمشق، ص463.

71 – تاريخ الحملات الصليبية، ص2/326.

72 – هو أتابك دمشق خلال الفترة (532 – 544هـ/1138 – 1149م)، وهو في الأصل مملوك تركماني لظهير الدين طغتكين، دبر دولة أولاد أستاذه طغتكين، تميزت سياسته بمعاداة أتابك الموصل عماد الدين زنكي، تحالف مع مملكة بيت المقدس، تمكن أنر من الصمود في وجه الحملة الصليبية الثانية أثناء حصار دمشق عام 543هـ/1148م، توفي عام 544هـ/1149م، ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص252 – 253؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، 15/47، عوض، محمد مؤنس، معجم أعلام عصر الحروب الصليبية، ص128.

73 – وليم الصوري، الحروب الصليبية، 3/244.

74 – الداوية أو فرسان المعبد فقد نشأت ونظم قانونها من استقرار الحملة الصليبية الأولى، وقد صدر قانون أنظمتها ومبادئها عام (512هـ/1118م) زمن بلدوين الثالث، وقد أسس هذه الفرقة جماعة من الفرسان الفرنسيين (عددهم سبعة أو ثمانية)، الذين قدموا إلى بيت المقدس في الحملة الصليبية الأولى، وأقاموا في هيكل (معبد) سيدنا سليمان فنسبوا إليه (فرسان المعبد)، ونظراً لما أغدق على هذه الفرقة من العطايا والهبات فإنها أثرت ثراءً فاحشاً، واتجه نشاطها من بعد إلى الناحية المالية الصرفة، فأصبح أفرادها صيارفة لهم مصارف مالية لدى البابا وملوك أوروبا، إلى أن صدر قانون من البابا كليمانت الخامس، عام 712هـ/1312م، حجر فيه وأبطل قانون هذه الفرقة من الفرسان، التي لم تبق لها صبغتها الأصلية، وأصبحت لها خطورة، ولم يسمح صلاح الدين بعد انتصاره في حطين بإطلاق سراح هؤلاء الفرسان من الأسر، ولم يتسامح معهم كما تسامح مع بقية الصليبيين، المطوي، محمد العروسي، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، ص96، للمزيد انظر: سلامة، إبراهيم خميس إبراهيم، دراسات في تاريخ الحروب الصليبية (جماعة الفرسان الداوية)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية: مصر، 2004م.

75 – الإسبتارية فيرجع تأسيسها إلى ما قبل الحرب الصليبية الأولى عندما طلب جماعة من تجار مدينة آمالفي Amalfi (مرفأ إيطالي يقع على خليج سالرنو تابعة لمملكة نابلي) الإيطالية من الخليفة الفاطمي المستنصر معد عام 440هـ/1048م، أن يسمح لهم بإقامة دير وبيمارستان بيت المقدس، على أن يكون مأوى وملجأ للحجاج النصارى للإقامة والعلاج

أثنــاء زيارتهــم لبيت المقــدس، لكن تطور أمر هــذه الجماعة لما قدمــت الحملة الصليبية الأولــى، إذ وهبهم غورفــروا حاكم بيت المقــدس هبات عديدة؛ وكان رئيســهم حين ذاك يدعى جرار، فصدر قانون جديد في تنظيمهم، وأصبح يطلق عليهم فرسان القديس يوحنا، وكانت لهم مشاركة قوية في محاربة المســلمين، والدفاع عن المصالح الصليبية، وعندما اســترجع صلاح الديــن بيت المقدس في 27 رجــب 583هـ/2 أكتوبــر 1187م، تحول أفراد هــذه الفرقة إلى مدينــة عكا، ثم انتقلوا بعد ذلك إلى جزيرة قبــرص فجزيرة رودس، التي اســتمروا فيها من عام 710هـ/1310م إلى عام 929هـ/1522م، فلما اســتولى عليها الســلطان العثمانــي ســليمان القانوني (1494م – 1566م)، خرجوا منها إلــى جزيرة مالطا، وصمدوا لمحاربــة العثمانيين وهجوماتهم، وفي عام 1213هـ/1798م اســتولى نابليون بونابرت على جزيرة مالطا في طريقه إلى مصر، وأخذ أمر هؤلاء الفرسان بعد ذلك يضعف شيئاً فشيئاً حتــى انقرضوا، المطوي، محمد، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، ص96 – 97؛ للمزيد عن الإســبتارية انظر: جوناثان، رايلي سميث، الإسبتارية – فرسان القديس يوحنا فــي بيــت المقدس وقبرص (1050 – 1310م)، تحقيق: صبحــي الجابي، ط: الأولى، مركز الدراســات العسكرية، دمشق: ســوريا، 1989م، للمزيد عن الذين حضروا الاجتماع انظر: وليم الصوري، الحروب الصليبية، 3/305 – 307.

76 – وليم الصوري، الحروب الصليبية، 3/308؛ أليســيف، نيكيتا، الســلطان نور الدين بن زنكي، ص153 – 154، مؤنس، حســين، نور الدين محمود ســيرة مجاهد صادق، ص212 – 213.

77 – ابن موســى، تيسير، نظرة عربية على غزوات الإفرنج من بداية الحروب الصليبية حتى وفاة نور الدين، الدار العربية للكتاب، طرابلس: ليبيا، د. ت، ص134.

78 – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 9/152؛ وليم الصوري، الحروب الصليبية، 3/243

79 – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 9/152؛ وليم الصوري، الحروب الصليبية، 3/235.

80 – رانســيمان، تاريــخ الحملات الصليبية، ص2/327. أليســيف، نيكيتا، الســلطان نور الدين، ص155.

81 – ذيل تاريخ دمشق، ص464.

82 – ســيف الديــن غازي بن عماد بن زنكي بن آق ســنقر صاحــب الموصل، بعد اغتيال والــده عام 540هـ/1146م، وصفه ابــن خلكان بأنه كان خيراً وصالحــاً ومحباً للعلم وأهله،

توفي عام 545هـ/1150م، ابن العديم، زبدة الحلب من تاريخ حلب، ص301؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، 4/3.

83 – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص461؛ أليسيف، نيكيتا، السلطان نور الدين بن زنكي، ص155، أبو صيني، عبد القادر، دور نور الدين في نهضة الأمة، ص96.

84 – الروضتين في أخبار الدولتين، 1/184.

85 – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص463؛ أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، 1/184؛ وليم الصوري، الحروب الصليبية، 3/313، رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، ص2/327.

86 – وليم الصوري، الحروب الصليبية، 3/313.

87 – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص461 – 468؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 9/152؛ أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، 1/184، وليم الصوري، الحروب الصليبية، 3/313؛ رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، ص2/327.

88 – الحروب الصليبية، 3/313.

89 – هو أبو الحجاج، يوسف بن درياس الفندلاوي المغربي، كان شيخاً فقيهاً عالماً زاهداً صالحاً، وهو خطيب بانياس ثم مدرس المالكية بدمشق، وله فتوى الفندلاوي، ودفن بدمشق بظاهر باب الصغير بالجبيل، ابن خلكان، 2/452، عوض، محمد مؤنس، أضواء جديدة على الحروب الصليبية، دار الشيماء، رام الله: فلسطين، 2011م، ص9.

90 – هو عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن الحلحولي الحلبي، ينسب إلى قرية حلحول الواقعة بين بيت المقدس والخليل، محدث زاهد، ولد بحلب ونشأ بها، ثم انتقل إلى مصر، وكان آخر أمره أنه انقطع بمسجد في ظاهر دمشق، وقبره بالجبل، انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، 2/290، عوض، محمد مؤنس، أضواء جديدة على الحروب الصليبية، ص9 – 10.

91 – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص464؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 9/159؛ أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، 1/184؛ ابن منقذ، الاعتبار، ص94 – 95، نقلي، آسيا، دور الفقهاء والعلماء في الجهاد ضد الصليبيين، ص116 – 117، عوض، محمد مؤنس، أضواء جديدة على الحروب الصليبية، ص9 – 11.

92 – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، 1/462.

93 – نفس المصدر، 1/461،468؛ رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، ص2/327.

94 – رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، ص2/327 – 329؛ أليسيف، نيكيتا، السلطان نور الدين بن زنكي، ص157 – 158.

95 – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 9/152.

96 – وليم الصوري، الحروب الصليبية، 3/319؛ رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، ص2/328.

97 – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 9/152.

98 – باركر، إرنست، الحروب الصليبية، ص76.

99 – وليم الصوري، الحروب الصليبية، 3/318.

100 – وليم الصوري، الحروب الصليبية، 3/318.

101 – نفس المصدر، 3/319.

102 – وليم الصوري، الحروب الصليبية، 3/315 – 316؛ رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، ص2/328.

103 – زابوروف، ميخائيل، الصليبيون في الشرق، ص186؛ الزيدي، مفيد، تاريخ الحروب الصليبية، ص68.

104 – وليم الصوري، الحروب الصليبية، 3/319؛ رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، ص2/329؛ أليسيف، نيكيتا، السلطان نور الدين بن زنكي، ص159؛ زابوروف، ميخائيل، الصليبيون في الشرق، ص186.

105 – وليم الصوري، الحروب الصليبية، 3/317؛ رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، ص2/329.

106 – الحروب الصليبية، 3/319.

107 – باركر، إرنست، الحروب الصليبية، ص76.

108 – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 9/158؛ وليم الصوري، الحروب الصليبية، 3/320 – 321؛ طقوش، محمد سهيل، تاريخ الحروب الصليبية، ص326.

109 – تاريخ الحملات الصليبية، 2/329 – 330.

110 – رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 2/333.

111 – الزبدة، عبلة، صلاح الدين وتحرير القدس، ص55.

112 – باركر، إرنست، الحروب الصليبية، ص76 – 77.

113 – الزيدي، مفيد، تاريخ الحروب الصليبية، ص74.

114 – أبو صيني، عبد القادر، دور نور الدين في نهضة الأمة، ص151.



الفصل الرابع:

حصار الصليبيين لعكا

(585 - 587هـ / 1189 - 1191م)

سنتناول في هذا الفصل ثلاثة مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول نتكلم فيه عن المقدمات السياسية، والعسكرية لدى المسلمين والصليبيين، منذ معركة حطين الحاسمة التي وقعت يوم السبت 25 ربيع الآخر 583هـ/ 4 يوليو 1187م، واسترداد المسلمين معظم ما كان في أيدي الصليبيين من أراض في بلاد الشام، بما فيها بيت المقدس، وحتى وصول الصليبيين إلى أسوار عكا.

أما المبحث الثاني فيتعرض لأحداث حصار عكا على مدى عامين كاملين، وما تخلل تلك الفترة من عمليات عسكرية، ومفاوضات سياسية، وموقف القوى المسيحية، وموقف القوى الإسلامية، ونتكلم عن الصعوبات التي واجهت الصليبيين، والمسلمين.

وفـــي المبحث الثالث، نقف على نتائج الحصار، وما آل إليه، بالنســبة إلى المســلمين والصليبيين، وســقوط المدينة في أيديهم، مع دراســة أسباب سقوط عكا، ونتائج السقوط.

المبحث الأول:

المقدمات السياسية والعسكرية للحصار

على إثر الهزيمة الساحقة التي مني بها الصليبيون في معركة حطين[1]، في 25 ربيع الآخر 583هـ / 4 يوليو 1187م، وما أعقبها من سقوط المدن والحاميات، والممالك الصليبية في بلاد الشام، مثل مدينة عكا، التي سقطت يوم غرة جمادى الأولى 583هـ / الجمعة 10 يوليو 1187م، وقد استسلم أهلها شريطة؛ أن يبقيهم صلاح الدين الأيوبي على قيد الحياة، وصلّوا الجمعة بها، وهذه أول جمعة أقيمت بالساحل الشامي بعد أن ملكه الصليبيون، وسلم صلاح الدين الأيوبي[2] عكا إلى ولده الملك الأفضل بن صلاح الدين (564 – 622هـ / 1169 – 1225م)[3].

اتجه صلاح الدين الأيوبي إلى صيدا، التي سقطت يوم الأربعاء 21 من جمادى الأولى 583هـ / 29 يوليو 1187م، ثم بيروت؛ التي خضعت له أيضاً بدون مقاومة، من قبل سكانها البائسين، يوم الخميس 29 جمادى الأولى

583هـ / 6 أغسطس 1187م، ثم جبيل التابعة لإمارة طرابلس، يوم الثلاثاء 17 جمادى الآخرة 583هـ / 25 أغسطس 1187م، ثم نابلس فحيفا، والناصرة، وقيسارية، وصفورية، فيافا، ثم عسقلان يوم الأحد 16 رجب 583هـ / 20 سبتمبر 1187م[4]، ولم تجرؤ أي من المدن الواقعة على ساحل البحر المتوسط؛ من عكا إلى عسقلان أن تقاومه[5]، أخيراً بيت المقدس، يوم الجمعة 27 رجب 583هـ / 2 أكتوبر 1187م[6]، بعد احتلالها من جانب الصليبيين لمدة 88 عاماً[7].

ويصف المؤرخ قاسم عبده ما حدث بعد حطين، كان أشبه بنزهة عسكرية[8]، وفي تصوري أن الأمر لم يكن بمثل هذه الصورة، إذ أعقبت معركة حطين معارك فرعية عديدة، من أجل اخضاع الساحل الشامي، وإسقاط القلاع.

كانت حطين بمثابة زلزال عسكري وسياسي، ونبأ سقوط مملكة بيت المقدس بمثابة صاعقة، أصاب الكيان الصليبي فيما يشبه المقتل، أحدثا رد فعل عنيفاً في المجتمع الغربي، الذي ذعر لنبأ الكارثتين[9]، واعتقد النصارى في الغرب؛ بأنه جاءت نتيجة إهمالهم في عدم الاستجابة للاستغاثات المتكررة، التي جاءت من مملكة بيت المقدس في السنوات الأخيرة[10]، وقد تأكد من مجريات الأحداث، أن الصليبيين في مملكة بيت المقدس، وبإمكانياتهم فشلوا في أول معركة حاسمة كبرى، وأنه لا بد من الحلف الدفاعي الاستراتيجي مع الغرب الأوروبي من التدخل، لإنقاذ بقايا الوجود الصليبي في بلاد الشام[11].

يقول ابن خلدون في تاريخه: «لما فتح القدس؛ لبس كثير من رهبانهم وقسيسيهم وزعمائهم السواد حزناً على البيت المقدّس»[12].

يصف بطريرك عكا يعقوب الفيتري، وضع الغرب عشية سقوط بيت المقدس، بقوله: «إن محنتنا المؤسفة، وإشاعاتنا المحزنة، قد هزت بلدان

الغــرب بأســرها، وكل من ســمع عنها كــان مكتئباً، مثل رجــل متأثر بجرح مؤلم»[13].

وبســقوط المدينة المقدســة، لم يبق للصليبيين في مملكة بيت المقدس سوى مدينة صور بجنوبــي لبنان، وإمارة أنطاكية[14] في الشمال، وطرابلس الشام، وحصــن المرقب التابــع للإســبتارية، وبعض القــلاع والحصــون الصليبية المتناثرة في بلاد الشام[15]، وبذلك ارتدت عقارب الساعة إلى الوراء، وعادت الأمــور من جديد إلى ما كانت عليه قبــل الحملة الصليبية الأولى، وكان لا بد للغــرب أن يتجهز من جديــد لحرب صليبية مرة أخــرى، ولكن الوضع الآن اختلــف عما كــان عليه في الحملة الصليبية الأولى عام 490هـ / 1096م، حيث سيواجهون العالم الإسلامي متحداً، بينما لم يواجه في الحملة الصليبية الأولى، إلا بعد أن حلت النزاعات السياسية والدينية بينهم[16].

لقد وصف المــؤرخ الإنجليزي، المتخصص في فترة العصور الوســطى الســير ستيفين رانســيمان، الوضع في المشرق، عشية سقوط بيت المقدس بيد المســلمين، قائلاً: «والآن كل شــيء قد انتهى، فالجيش المسيحي قُضي عليه، والصليب المقدس (صليب الصَّلبوت) أقدس الآثار في العالم المســيحي، بات في أيدي الكفرة (المســلمين)، والقدس ذاتها ضاعت، لقد انهار صرح الشرق الفرنجي كله في غضون أشهر قليلة، وإذا ما كان لشيء أن ينقذ من الأنقاض، فلا مهرب من إرسال المساعدة، وإرسالها بسرعة»[17].

أمــا اللاجئون الناجون من ســقوط بيــت المقدس، وعكا والمــدن الصليبية الأخــرى التي وقعت بيد المســلمين، فقد تزاحموا خلف أســوار مدينة صور، بفضل جهود ماركيز كونراد دي مونتفيرات[18] Conrad of Montferrat، الذي

أنقذ مدينة صور من الاستسلام، وراح اللوردات الذين أفلتوا من قبضة صلاح الدين الأيوبي، ينضمون إليه الواحد تلو الآخر، وقبلوا بزعامته[19].

يقول ابن الأثير: «كثر جمع الفرنج بصور، على ما ذكرناه من صلاح الدين كان كلما فتح مدينة، أو قلعة، أعطى أهلها الأمان، وسيرهم إليها بأموالهم ونسائهم وأولادهم، اجتمع بها منهم عالم كثير، لا يعد ولا يحصى، ومن الأموال ما لا يفنى على كثرة الإنفاق في السنين الكثيرة»[20].

يدل هذا على سماحة صلاح الدين الأيوبي، والتزامه الدقيق بالتعاليم الإسلامية، التي تنادي بتكريم الإنسان، فلم يثأر للمذابح التي ارتكبها الصليبيون عندما احتلوا المدينة، ولكنه سمح لكل صليبي أن يفتدي نفسه، كما أعفى أكثر من ألفين من الأسرى من دفع الفدية، لأنهم لم يكن معهم مال ليفتدوا به أنفسهم، كما أطلق سراح كل شيخ وامرأة عجوز، ومنح الأرامل واليتامى والمحتاجين أموالاً، كلٌّ حسب حاجته.

ويقول كذلك: «ولم يكن لأحد ذنب في أمرها غير صلاح الدين، فإنه هو جهر إليها جنود الفرنج، وأمدها بالرجال والأموال، من أهل عكا وعسقلان والقدس وغير ذلك»[21].

وهو اتهام تردد من جانب المؤرخ العراقي البارز، والواضح أن ولاء ابن الأثير للبيت الزنكي، هو ما جعل صلاح الدين الأيوبي لا يسلم من نقده، فصلاح الدين الأيوبي هو الذي استولى على ممتلكات الأسرة الزنكية في بلاد الشام، والجزيرة الفراتية.

ويقول رانسيمان: «تسبب ما كان عليه صلاح الدين الأيوبي من كرم وسخاء في أن يشعر رفاقه بالخطر»[22].

نعتقد أن الأمر لم يكن بمثل هذه الصورة، لأن صلاح الدين الأيوبي لم يكن يأخذ القرارات منفرداً، ولا نغفل أنه حصل على مواثيق من القادة الصليبيين الأسرى، بعد معركة حطين بعدم محاربته.

الواقع أن فشل فتح مدينة صور المحصنة طبيعياً وصناعياً، كان أمراً خطيراً، إذ صارت صور منطقة تمركز قوات الصليبيين الفارين من البقاع الأخرى، أو القادمين الجدد من الغرب، وخطورتها الأساسية هي أن صور غدت مخلب القط الذي وجه نحو عكا[23].

لقد أدرك المجتمعون من الصليبيين في مدينة صور، أنه ما لم تصلهم نجدة من الغرب الأوروبي، فإن فرص الاحتفاظ بصور ستتضاءل، فخرج القساوسة والرهبان من بلاد الشام إلى غرب أوروبا، لإعلام ملوك أوروبا وأمرائها، بما آلت إليه أوضاع الصليبيين في الشرق، ويدعونهم لمحاربة المسلمين، وإعادة بيت المقدس إلى الصليبيين[24]، وهو ما عرف بالحملة الصليبية الثالثة[25].

كان أول من دعا للحملة الصليبية الجديدة، هو رئيس أساقفة مدينة صور جوسياس Josias، حيث أرسله كونراد دي مونتفيرات، إلى الغرب الأوروبي في منتصف عام 583هـ / أواخر صيف 1187م، وذلك لإطلاع البابوية، وملوك أوروبا على ما لحق بالمملكة الصليبية، وليطلب من البابا وملوك أوروبا وأمرائها، النجدة العاجلة لإنقاذ الصليبيين في الشرق، واسترداد بيت المقدس من المسلمين[26].

وصل جوسياس إلى صقلية، واجتمع بملكها وليم الثاني[27] Wilhelm II (وليم الصقلي) (550 – 585هـ / 1155 – 1189م)، الذي استجاب لهذه الدعوة، ثم أرسل أسطولاً يحمل ثلاثمائة من الفرسان[28] في أواخر الربيع عام 584هـ /

1188م، إلى طرابلس بقيادة أمير البحر الصقلي مرجاريتوس أوف بريينديزي، وقد نجح في منع صلاح الدين الأيوبي، من فتح طرابلس، واضطر صلاح الدين الأيوبي إلى رفع الحصار عن قلعة الكرك[29] في جمادى الأولى 584 / يوليو 1188م[30].

انتقل جوسياس بعد ذلك إلى روما، ليشرح للبابا أوربان الثالث Urban III (581 – 583هـ / 1185 – 1187م)، حقيقة وضع الصليبيين في بلاد الشرق، وما Yان عرف البابا بما حدث، حتى مات من وقع الصدمة يوم الثلاثاء 14 شعبان 583هـ / 20 أكتوبر 1187م[31].

على أن خليفته البابا غريغوري الثامن Gregory VIII (583 – 583هـ / 1187 – 1187م)، بادر على الفور، بإرسال رسائل إلى كل من الملك الإنجليزي هنري الثاني Henry II (549 – 585هـ / 1154 – 1189م)، وملك فرنسا فيليب الثاني أغسطس Philip II Augustus[32] (560 – 620هـ / 1165 – 1223م)، وإمبراطور ألمانيا فريدريك الأول بربروسا Barbarossa Frederick I، (516هـ – 586هـ / 1122م – 1190م) يستحثهم على أن يتناسوا ما بينهم من خلافات، وأمرهم بالهدنة بينهم لمدة سبع سنوات، وأن يرسلوا قواتهم لمحاربة المسلمين[33].

دعا البابا غريغوري الثامن، بمنشور بابوي يوم الخميس 24 شعبان 583هـ / 29 أكتوبر 1187م وزعه من فيرارا، الصليبيين إلى حملة صليبية جديدة، ولم يقدر للبابا أن يرى نتائج جهوده، فقد توفي هو الآخر في 13 شوال 583هـ / 17 ديسمبر 1187م في مدينة بيزا Pias، انتخب بعده البابا كليمنت الثالث Clemens III (583 – 587هـ / 1187 – 1191م)، وقد استقبلت الجماهير الشعبية دعوات

بابا روما لإنقاذ مسيحي الشرق بقدر من التعاطف أقل بكثير من ذي قبل[34].

لوحظ بأن الأهـداف الدينية من الحملات الصليبية تتراجع أكثر فأكثر إلى المؤخرة، وعلى العكس أخذت مطامع الشخصية والاقتصادية عند المشتركين فيها تبرز أكثر فأكثر[35].

أسرع جوسياس بالاتصال بالإمبراطور الألماني فريدريك الأول بربروسا وأقنعه

بالاشتراك في حملة صليبية تتجه إلى الشرق، ثم انتقل لمقابلة ملكي فرنسا فيليب الثاني أغسـطس، وإنجلتـرا هنري الثاني، واجتمـع بهما في جيزورز (جيسور) على الحدود بين نورماندي والأراضي الفرنسية، حيث تقابلا لمناقشة الهدنة بينهما، وأقنعهما بتناسي خلافاتهما التي كانت حادة[36]، وشجعهما على عقد الصلح، والاشـتراك معاً في حملة صليبية جديدة إلى الشرق، وسـاعدته فصاحته في إقناعهما بالاتفاق على السلام، والوعد بالذهاب في حملة صليبية بأسـرع مـا يمكنهمـا، ومع ذلك فإنهمـا تباطآ فـي التنفيذ، وتجـددت الحرب بينهما[37].

وسـارع الأمير فيليب كونت فلاندرز[38] باقتفاء أثرهما، وأقسم الكثير من كبار النبلاء على مرافقة الملكين، وتقرر أن تسير الجيوش معاً؛ على أن يضع الجنود الإنجليز صلباناً حمراء، والفرنسـيون صلباناً بيضاء، والفلاندرزيون صلباناً خضراء[39].

فرض الملكان الإنجليزي ريتشارد قلب الأسد[40] Richard the Lionheart والفرنسي فيليب الثاني أغسطس ضرائب خاصة (إتاوة عامة)، في نهاية يناير

1188م / أواسط ذو القعدة 584ه، في إنجلترا ثم في فرنسا قدرها عشر اشتهرت باسم «عشر صلاح الدين»، لمجابهة نفقات وتغطية حاجات الحملة الصليبية الثالثة، وقد حدد المرسوم الذي أصدره الملكان[41]، قيمة الضريبة بعشر على جميع المداخيل، وعشر قيمة الإيرادات والمنقولات لمدة عام واحد[42]، تحصل من كل فرد من الرعايا[43]، ويستثنى من دفع هذه الضريبة الذين يشاركون بأنفسهم في الحملة، مما دفع بالكثير منهم إلى المشاركة في الحملة الصليبية حتى لا يقوموا بدفعها[44]، استقبل الناس جباة «عشر صلاح الدين» بالحجارة، ولذا كان لا بد من إلغائها كلياً في فرنسا، كذلك تفاقم التذمر من الضريبة بين رجال الدين، إذ رأوا في فرض مثل هذه الضريبة تطاولاً على امتيازاتهم[45].

دل فرض هذه الضريبة أن هذه الحملة الصليبية كانت ذات مظاهر علمانية، فالأساس العلماني لهذه الحملة الصليبية؛ هو الذي جعلها من أكبر الحملات الصليبية، وإن هذه الحملة تختلف عن الحملة الصليبية الأولى، في إنها نبعت من البابوية، التي كانت وقتذاك تجتاز مرحلة من مراحل الانهيار، إنما نبعت من السلطة الزمنية، المتمثلة في الملكيات القوية الثلاث في أوروبا ألمانيا وانجلترا وفرنسا، التي كانت لها وقتذاك السيادة والسلطة في أوروبا.

زيادة على ذلك؛ قام ريتشارد قلب الأسد ببيع وظائف التاج على نطاق واسع، كي يؤمن سيولة نقدية للحملة الصليبية[46].

مات الملك هنري الثاني في 20 جمادى الأولى 585هـ / 6 يوليو 1189م، وبموت الملك العجوز انتهت الحرب بين إنجلترا وفرنسا[47].

من هنا تشكل الحلف الدفاعي الاستراتيجي، المتمثل في الغرب الأوروبي، من أجل إنقاذ الكيان الصليبي الذي أوشك على الانهيار التام، وهو ما يعرف

بالحملة الصليبية الثالثة، بقيادة كل من فريدريك بربروســا ذي اللحية الحمراء إمبراطور ألمانيا، وفيليب الثاني أغســطس ملك فرنسا، وريتشارد قلب الأسد ملك إنجلترا، ووليم الثاني ملك صقلية، والأمير فيليب كونت فلاندرز، والكثير من كبار النبلاء حتى لقبت بحملة الملوك(48).

في المقابل لم يهنأ صلاح الدين الأيوبي بفتح عكا أكثر من عامين، فسرعان ما استجمع الصليبيون صفوفهم، وتوجهوا نحو هذه المدينة للاستيلاء عليها، بعد إخفاق صلاح الدين الأيوبي في فتح صور(49)، حيث إن الدفاع الشديد عن مدينة صــور، الذي أبداه كونراد دي مونتفيرات في عــام 583هـ / 1187م، والأخبار حول الاستعداد لحملة صليبية أذكت الشجاعة في نفوس الصليبيين(50).

الواقع أنه لم يكن أمام الصليبيين في بلاد الشام سوى الاعتماد على أنفسهم، وعلى ما عســاه يصلهم من جموع صليبية صغيرة ومتفرقة، بعد فشل الجيش الألماني وتأخر وصول الجيش الإنجليزي والفرنسي(51).

حـــــدث فــي ذلك الوقــت، أن خـــرج الملــك غي دي لــوزنيــان(52) ملك مملـــكــة بيــت المقدس من ســجنه في طرطــوس(53)، وكان قد أســر فيه بعد معركة حطين(54)، حيث إنه في شهر ربيع الثاني 584هـ / يونيو 1188م، أطلق صلاح الدين الأيوبي سراحه، وكانت مدينة عسقلان هي ثمن الإفراج عنه(55)، وبناءً على طلب، وتوســلات الملكة ســيبيلا(56)، مراراً وتكراراً لصلاح الدين الأيوبــي أن يعيد إليها زوجها، وبعد أن أقســم غــي أغلظ الأيمان، وقطع على نفســه عهداً، بأنه ســوف يعبر البحر عائداً إلى بلاده، وأنه لن يشهر في وجه صلاح الدين الأيوبي سيفاً أبداً(57)، وأن يكون غلامه ومملوكه أبداً، فذهب إلى طرابلس للانضمام إلى الملكة سيبيلا(58).

لقد استفاد صلاح الدين الأيوبي، نظرياً من إطلاق سراح غي دي لوزنيان، لما ترتب على ذلك الخطوة، من اشتداد النزاعات بين صفوف الصليبيين، وبخاصة بين غي دي لوزنيان وكونراد دي مونتفيرات، لكنها لم تصل إلى حد الصدام[59].

إلا أن غي دي لوزنيان حنث بيمينه من فوره، والتفّت حوله في طرابلس حفنة من الفرسان، والمتطوعين البيازنة، فسار بهم نحو صور في بادئ الأمر، في 8 رجب 585هـ / أوائل مايو 1189م، بعد أن وعده أمير أنطاكية بوهيموند الثالث (538 – 597هـ / 1144–1201م) بمعاونته على استرجاع مملكته المفقودة، إلا أن كونراد دي مونتفيرات في صور، لم يفكر بترك زمام الأمور في المدينة التي يدافع عنها، والتي كانت من أملاك التاج الملكي في القدس، وأغلق أبواب صور في وجه غي دي لوزنيان، لأنه لم يعد يعترف به ملكاً، لأنه قد خسر مملكته في حطين[60]، وكذلك خوفاً من أطماعه، ولخشيته بأن غي دي لوزنيان، بصفته ملك مملكة بيت المقدس سيزيحه عن صور، فما كان من غي دي لوزنيان إلا أن عسكر أمام أسوار صور، وعمد إلى تجميع أكبر عدد من القوات الصليبية تحت لوائه، في محاولة لاستعادة مدينة عكا لاتخاذها مركزاً جديداً له[61]، وقد تمكن من تكوين قوة له، تتكون من سبعمائة فارس، أكثرهم من الداوية، بمن فيهم قائدهم نفسه جيرار أوف ريدفورد، كما انضم نحو تسعة آلاف رجل إليه[62].

أثناء ذلك، وصل إلى صور يوم الخميس 17 صفر 585هـ / 6 أبريل 1189م، اثنتان وخمسون سفينة من مدينة بيزا الإيطالية، تحت قيادة أوبالدو رئيس أساقفتها، وقد وقعت مشاجرة بين أوبالدو وكونراد دي مونتفيرات بعد وصوله إلى صور مباشرة، فانضمت سفن البيازنة إلى الملك غي دي لوزنيان،

وتحالفت معه، وكذلك انضم الأسطول الصقلي الموجود أمام صور إليه[63].

رفــع الملك غي دي لوزنيان، معســكره من أمام صور في جمادى الآخرة 585هـ / أغســطس 1189م، بعد أن مكث شــهوراً أمام أســوار صور، وشرع بالمســير نحــو عكا مع أنصاره، وانضم إليه البيزيــون الذين كانوا في صور، مع قواته التي قوامها نحو ألف مقاتل من الفرســان والمشاة[64]، ملتزماً طريق الســاحل؛ ليتجنب المقاومة الإســلامية فــي المدن، والمعاقــل الداخلية الواقعة على الطريق، بينما أبحرت ســفن بيزا وصقليــة بمحاذاتهم وهي تحمل العتاد والمؤن[65].

زحــف غي دي لوزنيان على عكا، وكان هذا الأمر مفاجأة لصلاح الدين، الذي كان مشغولاً في مناطق أخرى، حيث كان يحاصر قلعة شقيف أرنون[66]، وعندما جاءته الأخبار بزحف غي دي لوزنيان نحو عكا، ظن في بادئ الأمر أن في الخبر خدعة، لحمله على ســحب الجيش وفك الحصار عن القلعة، ولم يتحقــق من الأمــر إلا بعد فــوات الأوان، عندما اقتــرب الصليبيون من عكا، وأحكموا الســيطرة عليها، عندئذ ترك قســماً من جيشه يحاصر القلعة، وتقدم بالقسم الآخر باتجاه الصليبيين[67].

يصف ابن شــداد حالــة صلاح الدين بعــد علمه بهذا الأمــر: «أنه لما بلغ السلطان حركة الإفرنج إلى تلك الجهة، عظم عليه ولم ير المسارعة خوفاً من أن يكون قصدهم ترحيله عن الشقيف، لا قصد المكان، فأقام مســتكشفاً للحال إلى ثاني عشر رجب، فوصل قاصداً آخر أن الإفرنج في بقية ذلك اليوم رحلوا ونزلوا عين بصة، ووصل أوائلهم إلى الزيب»[68].

دعا صلاح الدين الأيوبي إلى عقد مجلس شورى (مجلس حرب)[69]، بمرج

عيـون لاتخاذ قرار؛ فيما يجب أن يفعلوه إزاء اقتـراب هذا الخطر الصليبي، وقد أبدى صلاح الدين الأيوبي رأيه بضرورة الإسـراع بمهاجمة الصليبيين، أثنـاء زحفهم من صور إلى عكـا، عند رأس الناقـورة[70]، قبل وصولهم إلى عكـا، حيث قال: «المصلحة مناجزة القـوم ومنعهم من النزول إلى البلد، وإلا فإن نزلوا جعلوا الرجالة سـوراً لهم وحفروا الخنادق وصعب علينا الوصول إليهـم وخيـف على البلـد منهـم»[71]، لكن مجلس حربـه لم يوافق، إذ أشـار أمـراؤه أنـه من الأفضل أن يتركوهم حتى يبلغوا عكـا، عندئذ يزحف الجيش الإسـلامي عليهم، فيقعون بين فكي الكماشـة، الجيش الإسلامي من الخارج؛ وحامية المدينة القوية من الداخل[72]، فاضطر صلاح الدين إلى أن ينزل على رأي مجلسـه، ويقول المؤرخ رانسـيمان: «لم يكن صلاح الدين على ما يرام آنـذاك، فوافـق على ما ارتـآه المجلس وهو في حالة من الوهـن»[73]، ويذكر العماد الأصفهاني في هذا الصدد: «وتبين لنا بالعاقبة أن الرأي السلطاني كان أصوب، فإن نزالهم عند نزولهم صار أصعب»[74].

هذا هو ما أكده ابن شداد: «وكان الأمر كما قال السلطان، والله لقد سمعت هذا القول وشـاهدت الفعل كما قال السلطان، وهو يوافق معنى قوله صلّى الله عليه وسـلّم إن من أمتي لمحدثين ومكلمين وإن عمر لمنهم»[75]، دل هذا على أن صـلاح الدين، كان ذا كفاءة قتالية فذة، وخبرة عسـكرية نادرة، ولديه بعد نظر أكثر من غيره.

يذكـر بعـض المؤرخيـن: لقد تهاون صـلاح الدين في الوقـوف في وجه الصليبييـن، حينمـا لم يبادر بالزحف على عكا، ليسـبقهم فـي الوصول إليها، والحيلولـة دون فـرض الحصـار عليها، بل إنـه تمهل بضعة أيـام، ثم توجه إليها عن طريق طبرية، صبيحة يوم الاثنين 13 رجب 585هـ / 27 أغسـطس

1189م، لاتساع هذا الطريق[76]، وهو طريق بعيد، فكان الصليبيون أسرع منه في التحرك[77].

اصطفت قوات الملك غي دي لوزنيان على مشارف المدينة؛ في نهاية يوم الاثنين 13 رجب 585هـ / 27 أغسطس 1189م، وحاصرها براً وبحراً، وبذلك تحول الصليبيون من الدفاع إلى الهجوم[78]، يقول ابن شداد عن عدد القوات الصليبية المصطفة أمام عكا: «وكان عدد راكبهم ألفي فارس، وعدد راجلهم ثلاثين ألفاً، وما رأيت من أنقصهم عن ذلك، ورأيت من حزرهم بزيادة على ذلك»[79].

يقول السير هاملتون جب: «إن صلاح الدين صار يواجه مهمة جديدة، أشد تهجماً، وهي مهمة لم يواجهها أبداً أي قائد إسلامي قبله طيلة قرون، مهمة الإبقاء على جيش في الميدان لمدة ثلاث سنوات، وذلك وسط كافة الظروف المثبطة للعزيمة، فلو أنه لم يكن سوى مجرد قائد للجيوش، لما استطاع إنجازها، ولكانت قواته الإقطاعية قد تلاشت، وتركت ميدان المعركة للصليبيين، لكن عظمة صلاح الدين...»[80]، لقد أدرك ذلك المؤرخ، حجم المسؤولية الكبيرة الملقاة على عاتق ذلك القائد حين ذلك.

ذلك عرض عن المقدمات السياسية والعسكرية لحاصر الصليبيين لعكا، أما المبحث التالي فيتناول أحداث الحصار ومراحله.

المبحث الثاني:

أحداث الحصار ومراحله

لقد أحكمت القوات الصليبية بوصولها إلى عكا يوم الثلاثاء 14 رجب 585هـ / 28 أغسطس 1189م، السيطرة على المناطق المحيطة بعكا، «فنزلوا عليها من البحر إلى البحر، ولم يبق للمسلمين إليها طريق»[81]، ويشير ابن شداد: «واستداروا بعكا بحيث منعوا من الدخول والخروج منها»[82]، ولكن بدلاً من أن يقيم الصليبيون معسكرهم تحت أسوار المدينة، تقدموا إلى التلال القريبة منها، فنصبوا خيام معسكرهم على تل كيسان[83]، وذهب قسم منهم لحفر خندق حول معسكرهم، ثم حولوا الماء إلى الخندق حتى امتلأ، وهكذا أصبح معسكرهم محاطاً بالخندق من جهة، وبأسوار المدينة من جهة أخرى، وانحصر اتصالهم بالعالم الخارجي، عن طريق البحر فقط، إن الصليبيين حصروا أنفسهم في بقعة معينة من الأرض، تقع بين أسوار مدينة عكا، وخندق الماء الذي حفروه، بغرض حماية أنفسهم من

جيش صلاح الدين من جهة، وقطع الطريق على المسلمين من دخول المدينة وتقديم المساعدة لها، ومهاجمة أسوار المدينة من جهة أخرى[84].

وكان صلاح الدين قد استدعى بعض القوات من منطقة الجليل[85] بفلسطين، ولكنه لم يصل إلى الخروبة[86] التي تبعد 10 أميال (16 كم) إلى الجنوب الشرقي من عكا، إلا يوم الثلاثاء 15 رجب 585هـ / 29 أغسطس 1189م، بعد أن كان الصليبيون قد احتلوا مراكزهم وأحكموا الحصار على المدينة، وتحرك صلاح الدين مع جيشه من الخروبة حتى وصل تل كيسان، في أوائل مرج عكا، وصار على جيش صلاح الدين أن يحيط بالصليبيين المحيطين بعكا خلف الخندق، إذ لم يكن بوسع صلاح الدين أن يفعل غير هذا، فرابط على تل كيسان الواقع إلى الشرق من عكا وعلى مروجها[87].

وزع صلاح الدين جيشه ميمنة وميسرة وقلباً، وامتدت ميمنة الجيش إلى تل العياضية، وميسرته إلى طرف النهر الحلو (نهر النعامين)، في حين أنزلت الأثقال في صفورية[88]؛ الواقعة بين عكا وطبرية، فكان هناك حصار على حصار[89].

قام غي دي لوزنيان بأول محاولة لاقتحام المدينة، بعد ثلاثة أيام من وصوله، لكنه فشل فتريّث بعدئذ بانتظار قدوم الإمدادات من الغرب الأوروبي[90].

أخذ جيش صلاح الدين يعمل على مهاجمة القوات الصليبية، في سبيل فك الحصار عن المدينة، إلا أن مرضاً أصابه؛ مما اضطره إلى ترك الدفاع عن المدينة للاستشفاء، مما ترك المجال أمام الصليبيين لتحصين مواقعهم، ونصبوا آلات الحرب والحصار، مما قطع الطريق على جيوش المسلمين من الوصول إلى المدينة[91].

وكانت الإمدادات من العتاد والرجال والغذاء تصل إلى صلاح الدين في يسر ومرونة عن طريق البر المفتوح، لكنها كانت تصل بصعوبة شديدة إلى المدينة المحاصرة، أما بالنسبة إلى الصليبيين، فكانت تصلهم عن طريق البحر، ذلك أنه كان يجلب لهم المواد الحربية، والذخيرة، والمؤن، والنجدات من أوطانهم[92].

وبدءاً من أوائل رجب 585هـ / سبتمبر 1189م، حصل الصليبيون أمام عكا على تعزيزات كبيرة من أوروبا عن طريق البحر، فجاء أول أسطول كبير يحمل الدنماركيين والإسكندنافيين والفريزيين[93]، وهم جنود لا يعرفون الانضباط، لكنهم ملاحون مهرة، وكانت سفنهم ذات فائدة بالغة في إحكام الحصار البحري حول المدينة، وخاصة عندما أدى موت الملك الصقلي وليم الثاني في 7 شوال 585هـ / 18 نوفمبر 1189م إلى انسحاب الأسطول الصقلي، وبعد أيام قليلة جاءت سفن من إيطاليا، تحمل كتائب البلجيك من الفلاندرز (فلمنك)، وكتائب الفرنسيين[94]، وقد قدر المؤرخ رانسيمان، عدد سفن الأسطول التي وصلت قبالة الشاطئ الشامي، في شهر شعبان 585هـ / سبتمبر 1189م، بأنه خمسمائة سفينة[95]، وقد تكون هناك مبالغة في الرقم المذكور، وإن كنا نعتقد أن الدعم كان كبيراً.

كذلك انضم كونراد دي مونتفيرات حاكم صور، وعدو الملك غي دي لوزنيان، إلى الصليبيين أمام عكا، وقدم لهم المعونة والدعم[96]، لكنه انسحب لاحقاً إلى صور، في الشتاء عام 586 – 587هـ / 1190 – 1191م[97].

لقد واجه صلاح الدين، وجيشه تجربة بالغة المشقة، فقد كان عليه أن يبقي عساكره في أعمال عسكرية مستمرة، وتحول من الهجوم إلى الدفاع،

غيـــر أن ذلك القائد لم يكن باســـتطاعته أن يتفـــرغ للدفاع عن عكا وحدها، مما اضطـــره إلى أن يوزع قواته علـــى أنحاء متفرقة من البلاد[98]، فبالإضافة إلى قواته المرســـلة إلى عكا، فإن قســـماً منه كان مع ابنه الملك الأفضل نور الدين علـــي يرابط عنـــد حمص، لمراقبة ما قـــد ينجم من أعمال عدائية، واســـتعداداً للقتـــال من جانب إمارة طرابلس، وقســـم آخر من الجيـــش كان يراقب صور، خشيـــة قيام كونـــراد مونتفيرات بعمل معاد ضد المســـلمين، وثالث مرابط في ثغور مصر، لا سيما عند دمياط والإسكندرية لحماية سواحل مصر من إنزال بحري صليبي محتمل، وقسم رابع مقابل أنطاكية ليردوا بوهيموند عن حلب، غداة انتهاء الهدنة بينهما[99]، وبالتالي تشتت قوة جيشه على نحو أثر سلبياً في الموقف العسكري في عكا.

فـــي تلك الأثناء، بدأت تصل جحافل الصليبيين إلى بلاد الشام وســـواحلها، فكان أول من تقدم نحو الشرق هو الإمبراطور الألماني فريدريك بربروســـا، ومعـــه ثانـــي أبنائه فريدريك الســـادس أوف ســـوابيا Frederick VI, Duke of Swabia، وأرسل قبل انطلاقه رسائل إلى الملوك والأمراء الذين سوف يجتاز أراضيهـــم، يبلغهـــم بعزمـــه على القيام بحملـــة صليبية إلى فلســـطين، ويطلب منهم مســـاعدته في اجتياز بلادهم، منهم الإمبراطور البيزنطي إســـحق الثانـــي أنجيلوس[100] Isaac II Angelos (551 – 600هـ / 1156–1204م)، كذلك أرسل برســـالة إلى السلطان الســـلجوقي قلج أرســـلان الثاني، كما أرسل إلى صلاح الدين رسالة مفعمة بالخيلاء والمباهاة، يطلب منه فيها بأن يعيد كامل فلسطين إلى الصليبيين[101].

لكنه لـــم يقدر للإمبراطور الألماني فريدريك بربروســـا أن يصل إلى بلاد الشام، إذ غرق في نهر Saleph من أنهار كيليكيا في آسيا الصغرى يوم الأحد

4 جمادى الأولى 586هـ / 10 يونيو 1190م[102]، وأسندت قيادة الجيش الألماني لابنه فريدريك أوف سوابيا، غير أن الألمان عادة ما تضعف معنوياتهم باختفاء الزعيم، وهيمن الارتباك عليهم، ولم يلبث أن اختل نظام جيشه، لقد أدت وفاة الإمبراطور الألماني إلى تحطم الحملة الصليبية الألمانية تماماً، فعاد معظم أفراده إلى بلادهم ومن المرافئ الكيليكية والشامية، وواصل الباقون؛ وتناقص عددهم بصورة كبيرة نتيجة تعرضهم للوباء، طريقهم إلى أنطاكية، ثم إلى عكا[103].

كلف صلاح الدين أمين سره القاضي بهاء الدين بن شداد[104]، بالمسير إلى صاحب الجزيرة[105]، والموصل[106]، وأربيل، واستدعاهم إلى الجهاد بأنفسهم وعساكرهم وطلب المساعدة منهم، ووصل إليهم في شهر محرم 586هـ / فبراير 1190م[107].

كما كلف ابن شداد بالذهاب إلى بغداد طالباً النجدة، وإمدادات فورية من الخليفة العباسي في بغداد الناصر لدين الله، ويري له ما به المسلمون من خطر[108].

كما وجه صلاح الدين برسالة إلى سلطان الموحدين[109] في المغرب أبي يعقوب يوسف المنصور بالله[110]، يحثه فيها على مساعدة المسلمين في بلاد الشام، لمواجهة جموع الصليبيين[111].

كذلك بعث برسائل إلى الأمراء الأراتقة، كما قام شخصياً بتجنيد كافة القوى الشامية والمصرية، البرية والبحرية منها، فقد قدم الأسطول المصري إلى سواحل عكا، وأخذ رجاله يعملون جاهدين على مد سكان عكا بما يحتاجون إليه من العدد والزاد[112]، وقد بلغ الرعب في صفوف المسلمين بفعل اقتراب

الجيش الألماني من أبواب بلاد الشام مبلغه، فأخلوا حصن بغراس[113] في شمال الإسكندرونة[114].

كما قام العماد الأصفهاني، بإرسال كتاب إلى الخليفة العباسي يستنهضه فيه، ويصف الحشود الضخمة التي توالت من أوروبا للاستيلاء على عكا فكتب يقول: «وليس هذا العدو بواحد فينجح فيه التدبير، ويأتي عليه التدمير، وإنما هو كل من وراء البحر، وجميع من في ديار الكفر»[115].

شارك الألمان في هذا الحصار، بعد أن وصل ما بقي من الجيش الألماني، إلى عكا يوم الأربعاء 25 رجب 586هـ / 29 أغسطس 1190م، وشن فريدريك أوف سوابيا هجوماً شرساً على المدينة مباشرة بعد وصوله، وكذلك هاجم القوة التي تركها صلاح الدين على التلال المجاورة، حيث كانت رغبته عارمة في القتال، تغتلي في عروقه الحماسة، ولكن هذه المعركة لم تنته لصالحه[116].

إلا أن فريدريك أوف سوابيا؛ مات في 22 ذي الحجة 586هـ / 20 يناير 1191م، وأدى ذلك إلى فشل الحملة الألمانية، ويمكن القول بأن الحملة الألمانية زال خطرها عن المسلمين، منذ أن تشتتت أفرادها بعد وفاة ملكهم[117].

وتم تأسيس جمعية ألمانية للعناية بالمرضى، تحت اسم الأخوة الإسبتاريين التيوتونيين، هو أصل التنظيم العسكري للفرسان التيوتونيين[118] Teutons الذين يتميزون بالرداء الأبيض[119].

صنع الصليبيون أمام عكا آلة حربية تسمى دبابة، أعانتهم على عمليات الحصار، حيث يدخل تحتها من المقاتلة خلق عظيم، وهي ملبسة بصفائح الحديد، ولها من تحتها عجلات تحرك عليها، وفيها المقاتلة حتى ينطح بها

الصور، ولها رأس عظيم برقبة شـديدة من حديد وهي تسمى كبشاً، ينطح بها الصور بقوة، فتهدمه ويتكرر نطحها.

وصنعوا آلة أخرى وهي قبو، فيه رجال لغرض سحبه، إلا أن رأسها محدد على شكل السكة التي يحرث بها، ورأس البرج مدور، وهذا يهدم بثقله، وتلك تهدم بحدّتها وثقلها وهي تسمى سنورا (القطة).

كانـت أكثـر حوادث الحصار دمويــة، يوم الجمعة 2 شـعبان 585هـ / 15 سـبتمبر 1189م، حيث أنفذ صلاح الدين طائفة من شـجعان المسـلمين بقيادة ابن أخيه تقي الدين، باتجاه شمالي عكا، في محاولة لفتح الطريق إلى المدينة، ووقعت بين الطرفين معركة، سـيطر فيها المسلمون على الموقف، استطاعوا قتـل بعض أفراد الصليبيين، وانكفأ الصليبيون إلى خيامهم، وهجم المسـلمون خلفهم، واستطاع اليزك الإسلامي (الكشافة)، منعهم من الخروج من المعسكر، فأخلى الطريق، واستطاع الجيش الإسلامي إيصال المؤن، والأعتدة إلى عكا، عن طريق البوابــة الشمالية للمدينة، ودخل صلاح الدين إلى المدينة، وارتقى سورها، وأشرف على معسكر العدو، ليتأكد من حجم قواته[120].

مر أسـبوعان على فتـح الطريق نحو عكا، وتهيأ خلالهمـا للصليبيين للرد على المسـلمين، ففي يوم الأربعاء 21 شعبان 585هـ / 4 أكتوبر 1189م، وقعت إحدى أكبر المعارك، إذ بعد أن حصن الصليبيون معسكرهم، الذي تركوه تحت قيادة جودفري أوف لوسـينان شـقيق الملك غي، قامت جماعات منهم بحركة، إذ نظمـوا في صفوف وأجنحة منتظمة، واشـترك الملـك غي دي لوزنيان في الحملة، وسار في قلب العسكر، وبين يديه الإنجيل محمولاً، مغطى بقطعة ثوب أملس، يمسك أربعة أشخاص أطرافها الأربعة، وهم يسيرون بين يدي الملك.

استعد الجيش الإسلامي للرد على الحركة، وانتظم في صفوف مقابلة لصفوف العدو، فالميمنة مقابل ميسرتهم، والميسرة مقابل ميمنتهم كالعادة، وكان الجيش الصليبي من الضخامة؛ بحيث وصل طرفه إلى نهر البلعوس (بيلوس) [121] الواقع جنوبي عكا، والطرف الآخر إلى البحر شمالي المدينة، تحمس صلاح الدين، وأمر الجاليش (منادي العسكر) أن ينادي في الجيش الهتاف الخاص، بطلب الاستعداد التام، وهو «يا للإسلام وعساكر الموحدين» ونظراً لخطورة الموقف، وقد أطلق المؤرخون على هذه المعركة اسم «المصاف الأعظم»[122] أو «الواقعة الكبرى»[123].

لكن العدو أعلن الحرب في هذا الظرف، بعد أن أدرك صعوبة موقف صلاح الدين، لغياب عسكر مصر عن الميدان، وانتهاء أمد الهدنة مع أنطاكية[124]، فخرجوا «من معسكرهم كأنهم الجراد المنتشر»[125]، وشنوا هجوماً كبيراً على خطوط صلاح الدين، قاصدين الميمنة وعليها تقي الدين عمر كالعادة، فلما رأى صلاح الدين الحال، وكان في القلب، أمد تقي الدين برجال من عنده ليتقوى بهم، وكان عسكر ديار بكر وبعد الشرقين في هذا الجناح، الذي ضعف بسبب انتقال قسم من رجاله إلى الميمنة، فهجم عليه الصليبيون[126]، وقتلوا بعض رجاله وقادته، منهم الأمير مجلي بن مروان[127]، والفقيه ظهير الدين الهكاري، أخو الفقيه عيسى الهكاري[128]، وكان والياً على بيت المقدس، والحاجب خليل الهكاري[129]، وغيرهم من الشجعان، وهزم الكثيرون منهم، حتى لم يبق في القلب أن يقف بوجههم سوى «عسكر سنجار، فكله محرب مجرب للأمور»[130]، ورأى الصليبيون أن الفرصة مؤاتية للهجوم على خيمة صلاح الدين المنصوبة على التل، وفي طريقهم إلى الخيمة قتلوا من مروا به، وكان ضمن من استشهد الفقيه جمال الدين أبو علي بن رواحة الحموي

مـع جماعته[131]، إلا أنهم لـم يعثروا على خيمة صلاح الديـن، فعادوا خشية انقطاع خط التموين عنهم، فسـرعان ما تجمع المسـلمون في الميسرة ووقفوا قبالة الصليبيين، وحملوا عليهم، كذلك فعل قلب الجيش الإسلامي بقيادة صلاح الدين نفسـه، فتناوشـتهم الأيدي بالضرب والطعن، «وأخذتهم سيوف الله من كل جانب، فلم يفلت منهم أحد»[132] بين قتيل وأسـير، وردهم وهم يفرون في فوضـى إلى معسـكرهم، الذي كـان يتعرض في نفس الوقـت لهجوم عنيف، قامـت بـه حامية عكا، وصمد جودفري أوف لوسـينان شـقيق الملك غي دي لوزنيان في المعسـكر، وسرعان ما أصبح الجزء الأكبر من الجيش الصليبي آمنـاً خلف دفاعاتـه، ولم يشأ صلاح الديـن أن يجازف بالهجـوم عليهم[133]، وضمن من تم أسرهم مقدم الداوية، الذي كان قد أسره صلاح الدين سابقاً؛ وتم إطلاق سراحه[134] فلما ظفر به الآن قتله[135].

في اليوم التالي أحصى كل من الفريقين قتلاه، فكانت الخسائر فادحة، وقد اسـتشهد من المسـلمين قرابة المائتين شهيد[136]، وقد قدر عدد قتلى الصليبيين بـالآلاف، فقد قدّره ابن شـداد بنحو سـبعة آلاف قتيل[137]، فـي حين قدر ابن الأثيـر عددهم بنحو عشرة آلاف قتيل[138]، والعماد الأصفهاني بخمسـة آلاف قتيـل[139]، فأمر صلاح الدين بإلقاء الجثث في النهر، «في المكان اللي يشرب الفرنج منه»[140]، ويقول أبو شامة: «رأيتهم وَقد حملُوا إِلَى شاطئ النَّهر ليلقوا فِيهِ فحزرتهم بِدُونِ سَـبْعَة آلَاف»[141]، وهي أرقام من الصعب الأخذ بها، لما فيها من طابع المبالغة.

يقول ابن الأثير: لما قتل من الفرنج ذلك العدد الكثير، جافت الأرض من نتن ريحهم، وفسـد الهواء والجو، وحدث للأمزجة فسـاد، وانحرف مزاج صلاح الدين، وحدث له قولنج مبرح كان يعتاده، فحضر عنده الأمراء، وأشاروا عليه

بالانتقال من ذلك الموضع وترك مضايقة الفرنج، وحسنوه له[142].

عقد صلاح الدين في 29 شعبان 585هـ / 13 أكتوبر 1189م بعد انتهاء المعركة، مجلساً للشورى (مجلساً حربياً)، حضره أرباب المشورة والأمراء، أمثال القاضي ابن شداد، والعماد الكاتب الأصفهاني، وذلك للبت في أمر عكا، بدأ فيه ميالاً لمواصلة القتال دونما هوادة، موضحاً لأمرائه وحلفائه أنه لا ينبغي انتظار عودة فصل الربيع لقتال الصليبيين[143].

وبعد المشاورات ومناقشات، كثيرة انقسم أعضاء المجلس إلى فريقين، فقد أيد الفريق الأول السلطان، في استمرار القتال قبل أن يجمع العدو شمله، ويسعفه البحر بالإمداد، بينما نادي المعارضون باتجاه العسكر إلى الخروبة[144].

تغلب رأي المعارضين، واضطر صلاح الدين إلى أن ينزل عند رأيهم، وانتقل العسكر إلى الخروبة، في 4 رمضان 585هـ / 16 أكتوبر 1189م، وأمر من بعكا من المسلمين بحفظها، وإغلاق أبوابها، والاحتياط، وأعلمهم بسبب رحيله، وصرف الأجناد الغرباء ليستريحوا ويرجعوا في الربيع[145]، هناك أصيب الفقيه عيسى الهكاري بمرض أدى إلى وفاته[146]، وقد جاء رحيل صلاح الدين وجيشه عن عكا، فرصة كبيرة للصليبيين، انتهزوها وأحكموا حصارهم حول عكا[147].

كان هناك اتصال بين صلاح الدين والمدينة المحاصرة، فقد اعتمد السلطان على سباحين ماهرين؛ كانوا يمرقون تحت سفن العدو الراسية عند مدخل ميناء عكا، إلى داخل المدينة، وكذلك بواسطة الحمام الزاجل لنقل الأوامر والأخبار[148] وكان هناك أحد الضفادع البشرية، قام بدور بطولي، أشار إليه ابن شداد[149].

اخترقت خمسـون سـفينة إسـلامية، يوم الثلاثاء 19 رمضان 585هـ / 31 أكتوبر 1189م، الحصار الذي يفرضه الأسطول الصليبي حول عكا، وتمكنت هذه السفن من جلب الطعام والمؤن إلى داخل عكا، حيث كانت المدينة تتضور جوعاً وترغب بالاستسلام، وكذلك تمكن الأسطول المصري في 16 ذو القعدة 585هـ / 26 ديسـمبر 1189م، من كسـر الحصار، وفتح المواصلات مع مرفأ عكا[150].

وشهد ربيع عام 586هـ / 1190م، معارك متقلبة النتائج، وتمكن الصليبيون في محرم 586هـ / مارس 1190م، من إحراز انتصار بحري ضد المسـلمين، حيـث غادر كونـراد دي مونتفيرات صـور في نهاية صفـر 586هـ / مارس 1190م بخمسين سفينة، محملة بالطعام والأسلحة متجهاً إلى معسكر الصليبيين، فاعترض الأسـطول المصري طريقها، وجـرت معركة حامية بين الطرفين، وفـي النهايـة تمكن كونـراد دي مونتفيرات من الوصول إلـى الشاطئ ومعه المـؤن[151]، وتمكن المسـلمون في هذه المعركة من الاسـتيلاء على عدد من السفن الصليبية، وأغرقوا بعضها[152].

كان الصليبيون خلال مدة إقامتهم أمام عكا، قد اصطنعوا عدد ثلاثة أبراج من الخشب عالية جداً، طول كل برج منها في السـماء سـتون ذراعاً، وكانت هذه الأبراج كأنها الجبال نشاهدها، وهي مركبة على عجل يسـع الواحد منها مـن المقاتلة ما يزيد على خمسـمائة جندي، وعملـوا كل برج خمس طبقات، وسـمروها بالحديد، وألبسـوها الجلود المسـقاة بالخل، بحيـث تمنع النار من إحراقها[153].

قـام الصليبيـون يـوم الأحـد 20 ربيـع الأول 586هـ / 27 أبريـل 1190م،

بالزحف بالأبراج ناحية السـور من ثلاث جهات، بعد أن أصلحوا الطرق لها، وطمر الخَنْدَق، فقربوا الأسوار، وألصقوا الأبراج بالجدار[154].

حاول الصليبيون اجتياح المدينة يوم السبت 28 ربيع الأول 586هـ / 5 مايو 1190م بواسطة الأبـراج، ولكن باءت محاولتهم بالفشل، واشـتعلت النار في آلات حصارهم، بعد أن أصاب المسلمون الأبراج الخشبية بالنار الإغريقية، التي كانت تثير الخوف، وتم تدمير الأبراج الثلاثة تدميراً كاملاً[155].

فـي أثناء ذلك، وصل خـلال الفترة من 22 ربيع الآخـر 586هـ / 29 مايو 1190م، حتـى أواخـر جمادى الأولى 586هـ / يونيـو 1190م إلى عكا، جيوش إسـلامية عديدة، من منطقـة الجزيرة الفراتية، لدعم صـلاح الدين أمام عكا، وهكذا انضم الأتابكة الزنكيون إلى الجهاد، ولبوا نداء المسـاعدة، على الرغم ممـا كـان بينهم وبين صـلاح الدين من فتـور، مما يدل على وعي إسـلامي للخطر الصليبي[156]، وكان صلاح الدين الأيوبي، على اتصال دائم مع الخليفة العباسي المستضيء بأمر الله، غير أنه لم يحصل منه على مساعدة فعالة، رغم العلاقات الطيبة بينهما[157].

شملت الجيوش الإسلامية التي اشتركت في القتال، الفرق القادمة من مصر بالدرجة الأولى، لا سيما الأسطول المصري، الذي اشتبك مع السفن الصليبية في الوقائع البحرية، سـواء في قتال أسـاطيل الصليبييـن المرابطة في البحر المتوسط، أو في تزويد عكا بالمؤن والمقاتلين، فقد أنقذ العسكر المصري عكا مراراً، وزودها بالسـلاح اللازم على نحو سـد النقص، وعلى الرغم من ذلك ظل موقف الصليبيين قوياً لتفوقهم البحري والعددي[158]، كذلك اشـتركت في الحصـار جيوش مدن الشام التي كـان عليها العبء الأكبر في معارك صلاح

الديـن البريـة، لا سـيما جيوش مدن دمشـق وحلب وحماة، إضافـة إلى مدن الجزيرة الفراتية كديار بكر وحران وجزيرة ابن عمر وسنجار وكذلك أربيل، وجيـش أتابكية الموصل الضخـم التي زودت صلاح الديـن بالرجال والعتاد والنفط[159]، واشترك فيه كذلك متطوعون من مختلف جهات العالم الإسلامي، من العراق والمغرب ومن بلاد العجم[160].

هاجـم الصليبيـون ميمنة جيش صـلاح الدين الأيوبي، وذلـك ظهيرة يوم الأربعاء 20 جمادى الآخرة 586هـ / 25 يوليو 1190م، وامتدوا ميمنة وميسرة وقلبـاً، وكانوا عدداً كبيراً، واسـتخفوا طرف الميمنة، وكـان فيها مخيم الملك العادل أبو بكر سـيف الدين، فلم يكن إلا سـاعة حتـى أمكنهم الله منهم، فعادوا يشتدون نحو خيامهم هاربين، ولم ينجُ منهم إلا القليل، واختلف في عدد القتلى منهم فذكر قوم أنهم ثمانية آلاف، وسميت هذه الواقعة بالواقعة العادلية[161].

أرسـل السـلطان سـفارة إلى الموحدين فـي المغرب، بعد وفاة السـلطان يوسـف المنصور بالله، وتولي ابنه السـلطان أبي يوسـف يعقوب بن يوسـف المنصور بالله[162] الحكم، بقيادة شـمس الدين بن نجم الدين بن مرشد الكناني، لطلب المسـاعدة، ووصلت إلـى مراكش في 20 ذو القعـدة 586هـ / 18 يناير 1191م، أبـدى الموحـدون تعاطفهم، غير أنهـم لم يبذلوا مسـاعدة إيجابية إلا بالنزر اليسـير[163]، وكان صلاح الدين قد خاطبه في رسالته بأمير المسلمين، ولـم يخاطبه بأمير المؤمنين، فعز ذلك عليه، وغضب، ولم يجبه إلى ما طلب منه[164].

من المتصور أن هذا ليس هو سـبباً معقولاً، لرفضه مساعدة صلاح الدين الأيوبي، بل نرى أن الظروف التي كانت تمر بها دولة الموحدين في المغرب

فـي ذلـك الفترة، خاصة انشغالهـم بالصراع مع بني غانية فـي جزر البليار، وكذلك دفاعهم عن مسـلمي الأندلس ضد الإسـبان، كان أهم أسـباب امتناعهم عن مسـاعدة صلاح الدين[165]، بالإضافة إلى أن الدعاية التي روّجها الحجاج المغاربة، عن كفاءة الأسطول الموحدي، كان مبالغاً فيها.

عقـب وصول الإمدادات إلى صـلاح الدين، أضحى الجيش الأيوبي كبيراً بما فيه الكفاية، لكي يحكم بدوره حصار الصليبيين، وأصبح كل طرف يحاصر الآخر، وظل الجيشان الأيوبي والصليبي يواجهان بعضهما طيلة فصل الشتاء، دون أن يتمكـن أي منهما من حسـم الموقف لصالحـه، وأثبت حصار عكا أن ثمـة توازنـاً بين قـوى الفريقين إلى حد مـا، إذ لم يسـتطع الصليبيون اقتحام المدينة، واسـتطاع المسـلمون في داخلها الصمود، وكذلك لم يسـتطع صلاح الدين إزاحتهم، فتشبث كل طرف بموقعه[166].

علـى الرغـم من ذلك فـإن الشتاء عـام 586 – 587هـ / 1190 – 1191م، كان ثقيلاً على الصليبيين، ليس بسـبب النتائج التـي ترتبت على فشل الجيش الألماني فحسـب، بل لتعرض الصليبيين المحاصرين لعكا إلى مجاعة كبيرة، إذ تضاءلت المؤن، ولم تصل في شـتاء ذلك العام أية سـفينة صليبية إلى عكا، وتداعت التدابير الصحية بسبب ندرة المياه، فتفشى المـرض بين الجند، وهلك بعض أمرائهم[167]، ولم يتحسـن الوضـع قبل الربيع، حيث وصلت سـفن محملة بالمؤونة[168].

يرى رانسـيمان، أن صلاح الدين الأيوبي لم يسـتغل، هذا الوضع السـيئ الـذي بـات فيه الصليبيـون[169]، إلا أننا من الممكن أن نجـد المبرر في ذلك، ظهور التعب على عسـاكره، فصرف بعضهم لينالوا قسـطاً من الراحة، على

أن يعود بعد انقضاء فصل الشـــتاء، حيث إنهم استهلكوا على مدى عدة أعوام، ولم يبقَ عند السـلطان إلا العدد اليسير من الأمراء والحلقة الخاصة (الحرس الشخصي للسلطان)[170].

وصـــل يـوم الاثنين 16 ربيـع الأول 586هـــ / 23 أبريل 1190م، رسـول الخليفــة العباســي من بغداد، واكتفى بإرســال حملين من النفط، وخمســة من الزراقين النفاطيــن المتقنين صناعَة الإحراق بالنَّار، وكتاب من الخليفة موقع منه، تضمــن الإذن لصلاح الدين باقتراض مبلغ عشرين ألف دينار من تجار الشام، ينفقه في الجهاد على حســاب الخليفة، وما كان من السـلطان غير قبول إرساليات الخليفة «واسـتعفى عن الرقعة والتثقيل بها» وقال لرسول الخليفة: «كل مــا معــي من نعمة أمير المؤمنين، ولقد أنعشني ما شـملني من عاطفته، ولعــل الله يوفقنــي للقيام بالغــرض ويغنيني عن الالتزام بالقــرض»[171]، هذا يدل على اعتراض غير مباشــر من صلاح الدين، من موقف الخليفة العباسي من أزمة عكا، الذي لم يأخذ مســألة الخطــر الصليبي بعين الجد، ويرتقي إلى مستوى الحدث.

تمكــن صـــلاح الدين وبفضل جهاز جواسيســه المهرة، فــي 15 ذو الحجة 586هـ / 13 يناير 1191م، من إدخال إلى المدينة قائد جديد، هو الأمير سـيف الدين المشطوب، بدلاً من الأمير حسام الدين أبي الهيجا، وكذلك حامية جديدة، لإغاثة المدافعين عن المدينة؛ الذين نال منهم التعب والإرهاق[172].

مــن ناحية أخرى، وصل كلّ من الملك الفرنســي فيليب الثاني أغســطس، والملك الإنجليزي ريتشارد قلب الأسد، في شهر رجب 586هـ / سبتمبر 1190م إلى ميناء مســينا في صـقلية، حــيث مكثا قرابة ســتة أشــهر لقـضاء فصـــل

الشــتاء هناك، منتظرين بقية الجيوش للانضمام إليهم[173].

أبحر الملك فيليب الثاني أغسـطس منفرداً، من ميناء مسـينا الصقلية، يوم السـبت 2 ربيع الأول 587هـ / 30 مارس 1191م، في سـت سفن، ووصل إلى مدينة صور يوم السـبت 23 ربيع الأول 587هـ / 20 أبريل 1191م[174]، حيث رحب به قريبه كونراد دي مونتفيرات حاكم صور، ثم صحبه إلى عكا وسـط ابتهاج الصليبيين، بعد ما يقارب أربع سنوات على معركة حطين[175].

لـم يشـأ الملك الفرنسـي، أن ينتظر وصـول ريتشارد قلب الأسـد، وإنما بـدأ على الفور بتشديد الحصـار على عكا، لتكون له الغنائـم، ولدعم الوجود الصليبـي تحت علم فرنسـا، حيث بـدأ ينظم صفـوف الصليبيين، وجدد آلات الحصار، وشيد لهم الأبراج المتحركة التي يبلغ علوها أربعة أدوار، وفي يوم الخميـس 4 جمـادى الأولى 587هـ / 2 مايو 1191م نصبوا على المدينة سـبعة مناجيق، ومئات الكباش ذات الطوابق والسقوف، وراحوا يقذفون المدينة بشكل متواصـل، كمـا عملوا علـى ردم الخندق المحيط بها، ومـع ذلك أكدت وقائع التاريـخ، أن الهجوم النهائي كان مع مقدم القوات الإنجليزية، وتأجلت محاولة الهجوم على المدينة، حتى يصل الملك ريتشارد قلب الأسد وأتباعه[176].

بـدأ الصليبيون يضايقون المدينـة، وقاموا بطم خندقها، بإلقاء جثث وجيف الخنازيـر والـدواب النافقـات ومواتهم فيه، بـل إنهم لم يأنفوا حتـى من إلقاء جرحاهـم فيه، فقد ذكر ابن شـداد، أن الصليبيين قرروا «إذا جرح منهم أحد، جراحـه مؤلمة مثخنة ألقـوه فيه»، واضطر المسـلمون بالمقابل، إلى تنظيف الخندق[177].

بعد ثلاثة أسابيع من وصول الملك فيليب الثاني أغسطس؛ تحرك ريتشارد

قلب الأســد، يوم الأربعاء 13 ربيع الأول 587هـ / 10 أبريل 1191م من ميناء مســينا الصقلية، واســتولى في طريقه على جزيرة قبــرص، يوم الأربعاء 11 ربيع الثاني 587هـ / 8 مايو 1191م، وأسر حاكمها إسحق كومنينوس[178].

وصلــت ســفن الملك ريتشارد إلــى مدينة صور يوم الأربعــاء 10 جمادى الأول587هــ / 5 يونيــو 1191م، فرفضت حامية المدينة الســماح له بالدخول، وذلك بناء على تعليمات كونراد دي مونتفيرات، عندئذ واصل سفره بحراً إلى عكــا على رأس خمس وعشرين ســفينة، فوصل إليها يوم الســبت 13 جمادى الأولى 587هـ / 8 يونيو 1191م، بعد ســبعة أســابيع مــن وصول الملك فيليب الثاني أغسطس[179].

قام صلاح الدين الأيوبي، بتجهيز سفينة ضخمة، ملأها بالآلات، والأسلحة والعتاد وســتمائة وخمســين مقاتلاً[180]، وســيرها من بيروت يوم الثلاثاء 16 جمادى الأولى 587هـ / 11 يونيو 1191م نحو عكا، لملاقاة سفن الملك ريتشارد، وضربهم من ناحية البحر، إلا أن هذه القوة لم تســتطع فعل أي شــيء، بل إن الســفن الإنجليزية حاصرتها، وحين آيس المقاتلون من الخلاص، أمر مقدمهم وهو يعقوب الحلبي الرجال بإحداث ثقوب أســفل ســفنهم بالمعاول لإغراقها، والحيلولــة دون وقــوع المقاتليــن، وما معهم من الذخائر فــي أيدي ريتشارد، فغرق جميع ما فيها[181].

على أن أعمال حصار عكا، أصبحت بوصول ريتشارد، أشد من ذي قبل، وبخاصة اســتعمال آلات الحصار الكبيرة، ولم تجد هجمات صلاح الدين نفعاً على المعســكر، وبدأت موازين القوى تتغيــر لصالح الصليبيين[182]، وخاصة أن جزيــرة قبــرص أصبحت من المراكــز المهمة، لمد القــوات الصليبية في

الشرق، بالعدد وآلات الحرب والحصار[183]، في المقابل ازداد موقف الحامية الإسلامية في المدينة سوءاً، أمام ضغط تلك الجموع الهائلة من الصليبيين، التي شددت من حصارها على المدينة، وكثفت هجماتها، وكذلك موقف المسلمين خارجها، فضجرت العساكر من كثرة القتال[184].

زحف الصليبيون على المدينة يوم الجمعة 19 جمادى الأولى 587هـ / 14 يونيو 1191م زحفاً عظيماً، وضايقوها مضايقة شنيعة، واستطاعوا إضعافها، ثم انقضى القتال، ليستأنف القتال ثانية بعد أربعة أيام، يوم الاثنين 23 جمادى الأولى 587هـ / 18 يونيو 1191م، وللتخفيف عن المدافعين عن عكا، قام جنود صلاح الدين بالهجوم على خيام الصليبيين، واضطروهم إلى التراجع، وحملوا على المسلمين حملة رجل واحد، فثبت المسلمون لهم بشجاعة عظيمة، والتحم القتال، فصبروا صبر المكرام، على حد تعبير ابن شداد ودخلوا في الحرب باقتحام[185].

من المرجح أن القتال بين صلاح الدين الأيوبي والملك الإنجليزي، كان من أهدافه اختبار قوة والوقوف على قوة الخصم، وما لدى الطرف الآخر، لقد أراد صلاح الدين أن يثبت لريتشارد قلب الأسد أن جيشه ما زال قوياً، وأن بوسعه ملاقاته، أما ريتشارد قلب الاسد، فإنه أراد من جانبه، أن يتأكد مما إذا كان بوسعه أن يفرض إرادته على صلاح الدين بقوة السلاح، أو أن يفرض عليه المفاوضات بعد أن يلحق بالمسلمين هزيمة، تجبرهم على الموافقة على شروطه، مدركاً في الوقت نفسه أن الظروف العسكرية والسياسية مهيأة له لتحقيق ذلك[186].

كان صمود المسلمين في هذه الواقعات، سبباً لدفع الملك ريتشارد قلب

الأســد إلى طلب المفاوضات، وأعلن عن رغبته في الاجتماع بالسلطان، لكن صـــلاح الديـــن أجاب على طلبه بحذر، وذكر له أنه ليس من الحكمة أن يجتمع ملكـــان متعاديان، حتى تنعقد بينهما هدنة، ومع ذلك فإنه أعرب عن اســتعداده لأن يسمح لأخيه الملك العادل سيف الدين أن يجتمع به، وتقرر وقف القتال لمدة ثلاثة أيام، وتم الاتفاق أن يعقد الاجتماع في الســـهل الذي يفصل المعســكرين الإسلامي والصليبي، غير أنه حدث أن خرّ ملك إنجلترا مريضاً[187].

اعتــذر ريتشارد لصلاح الديــن؛ عن عدم تمكنه من الاجتماع به، بســبب مرضـــه، وقـــال له: «لا تظن أني غيرت رأيي فـــي الصلح، ولكن حمى خبيثة شــفيت لتــوّي منها، عاودتني فأعاقتنـــي عن مغادرة خيمتـــي، ولن أتأخر عن القدوم لمقابلتك حالما أستعيد صحتي»[188].

كـــان يـــوم الثلاثاء 7 جمادى الآخرة 587هـ / 2 يوليو 1191م الأكثر دموية، فقد اســتطاع الجيش الفرنســي أن يدمــر جزءاً من البرج الملعــون، الذي يعد مــن أفضل دفاعات المســلمين، إذ نصب فيليب الثاني أغســطس على المدينة قاذفــة حجــارة ضخمة، فكانــت تقذف المدينــة بصخور ضخمــة، إلى جانب آلات الحصار الأخرى، وما إن أحدثت ثغرة في الســور حتى شــن الفرنسيون هجوماً شرســاً، ولكن صلاح الدين كان بدوره يقظاً، وكانت الغلبة للمسلمين، وفقــد الصليبيون في ذلك اليــوم الآلاف من رجالهم، وأحرقت العديد من آلات حصارهم[189].

في نفس يوم المعركة؛ أرســلت الحامية رســالة جاء فيها: «أنه قد بلغ منا العجز إلى غاية ما بعدها إلا التسليم، ونحن في الغد ثامن الشهر، إن لم تعملوا شيئاً نطلب الأمان ونسلم البلد، ونشتري مجرد رقابنا»[190].

كان هذا كما ذكر ابن شداد؛ أعظم خبر ورد على المسلمين، لأن عكا كانت مخزناً كبيراً لسلاح الساحل وبيت المقدس ودمشق وحلب ومصر، وفيها كبار أمراء صلاح الدين الأيوبي، مثل سيف الدين علي بن أحمد الهكاري المعروف بالمشطوب، وبهاء الدين قراقوش حاكم عكا منذ لحظة الحصار(191).

ثم حدث أن الحامية اتخذت قراراً بوقف القتال، وذهب سيف الدين الهكاري بنفسه إلى المعسكر الصليبي، لمقابلة الملك الفرنسي فيليب الثاني أغسطس، والاتفاق معه على شروط التسليم، ويطلب الأمان، لكن الملك الفرنسي رفض شروطهم، وأجابهم بجواب مهين(192)، ولما رجع الأمير سيف الدين علي المشطوب إلى المدينة، وتحدث بما جرى بينه وبين فيليب الثاني أغسطس، خاف جماعة ممن كانوا في المدينة، فهربوا منها ليلاً خارجين إلى معسكر المسلمين، وبعضهم هرب إلى مكان غير معلوم، خشية من نقمة السلطان، فلما أصبح الناس ورأوا ذلك، ازدادوا وهناً إلى وهنهم، وتم اعتقالهم فيما بعد وعاقبهم السلطان (193).

وصل يوم الأحد 12 جمادى الآخرة 587هـ / 7 يوليو 1191م، أحد العوامين إلى معسكر صلاح الدين، يحمل آخر استغاثة من المدينة، يقولون فيها: «إنا قد تبايعنا على الموت، ولا نزال نقاتل حتى نقتل، ولا نسلم هذا البلد ونحن أحياء، فانظروا أنتم كيف تعملون في شغل العدو عنا، ودفعه عن قتالنا، فهذه عزائمنا، وإياكم أن تخضعوا لهذا العدو، وتلينوا لهم، فإنا نحن قد فات أمرنا، إذ لن تستطيع الحامية أن تمضي في صمودها ما لم تصل إليها المساعدة»(194).

استمر الصليبيون في مهاجمة أسوار المدينة، والضغط عليها، وإحداث ثغرات جديدة فيها، وتوسيع الثغرات التي أحدثوها من قبل، ذلك بحشوها

بالمواد وإشعال النار فيها، فضعف وضع المدينة كثيراً، وما دار من قتال في يوم الخميس 16 جمادى الآخرة 587هـ / 11 يوليو 1191م؛ يعد آخر ما بذله المسلمون من جهد، حيث عرض أمراؤها التسليم في اليوم التالي، وقاموا بإرسال مع العوام بلاغ أخير إلى صلاح الدين، أعلنوا فيه: «أن أهل البلد ضاق بهم الأمر، وكثرت الثغر، وعجزوا عن الحفظ والدفع، ورأوا عين الهلاك، وتيقنوا أنه متى أخذ البلد عنوة ضربت أعناقهم عن آخرهم، وأخذ جميع ما فيه من العدد والأسلحة والمراكب وغير ذلك فصالحهم»[195].

وقد وقّع اتفاقية التسليم من جانب المسلمين قائد الحامية، أما من جانب الصليبيين فوقعه كونراد دي مونتفيرات، تضمنت ما يلي:

- استسلام عكا بكل ما تحويه من الآلات والعدد والمراكب.

- يؤدي المسلمون للصليبيين فدية مقدارها مائتي ألف دينار.

- يطلق المسلمون سراح ألف وخمسمائة أسير صليبي مجاهيل الأحوال، بالإضافة إلى مائة فارس معينين من جانبهم يختارون.

- يرد المسلمون صليب الصلبوت إلى الصليبيين.

- يخرج المسلمون من المدينة سالمين. وما معهم من الأقمشة المختصة بهم وذراريهم ونسائهم.

- وضمنوا للمركيز كونراد دي مونتفيرات عشرة آلاف دينار؛ لأنه كان واسطة ولأصحابه أربعة آلاف دينار[196].

عندما اطلع صلاح الدين على فحوى الاتفاق، رفضه بشدة، وعظم عليه

الأمر، فاجتمع مع أركان حربه، للتشاور وتقييم الوضع، وعزم على أن يكتب في الليلة مع العوام، وينكر عليهم المصالحة على هذا الوجه[197]، إلا أن الصليبيين كانوا أسرع منه، ولم ينتظروا جوابه، وفي الوقت الذي كان يعد فيه الجواب للحامية، فوجئ بألوية الصليبيين ترفرف فوق أبراج عكا، بينما كانت الرايات الإسلامية السود والصفر تختفي عن أسوارها، لقد أبرمت الحامية الاتفاقية باسمه، ولكونه رجلاً شريفاً التزم بها[198]، وصاح الصليبيون صيحة واحدة، وعظمت المصيبة على المسلمين، واشتد حزن الموحدين، وانحصر كلام العقلاء من الناس في تلاوة: {إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُون}؛ [البقرة: 156]، وغشي الناس بغتة عظيمة، وحيرة شديدة، ووقع في العسكر الصياح والعويل والبكاء والنحيب[199].

ذلك عرض عن أحداث ومراحل حصار الصليبيين لعكا، أما المبحث التالي فيبحث نتائج الحصار.

المبحث الثالث:

نتائج الحصار

هكـذا دخل الصليبيون عكا، بعد حصـار دام نحو عامين (685 يوماً)، من يوم الثلاثاء 14 رجب 585هـ / 28 أغسـطس 1189م، وحتى استسـلام المدينة يوم الجمعة 17 جمادى الآخرة 587هـ / 12 يوليو 1191م، لكن دخول الصليبيين إلى مدينة عكا، أثار موجة من الحزن والأسى لدى كافة المسلمين، عبر عنها المؤرخون المسلمون[200].

أما السلطان صلاح الدين؛ فإنه أمر بنقل معسكره إلى الموضع السابق عند شـفرعم، على الطريق المؤدي إلـى صفورية بعيداً عن المدينة، إذ لم يبق من مبـرر في بقاء قواته على حصار عكا، وفي مواقعها، بالإضافة إلى أنه خشي من إقدام الصليبيين على مهاجمته[201].

يمكن إجمال العوامل التي أدت إلى سـقوط مدينة عكا في أيدي الصليبيين على النحو التالي:

أولاً: استعمل الصليبيون في حصار عكا، مختلف أنواع المعدات الحربية، سواء الأسلحة الهجومية منها لدكّ أسوار المدينة، أو الدفاعية لحماية أنفسهم خلف الجدران والخنادق، التي أقاموها لمنع وصول قوات صلاح الدين إليهم، واستطاعوا بعد مرابطتهم الطويلة، وضربهم المتواصل للأسوار من أحداث الخلل فيها.

ثانياً: وصول قوات أوروبية جديدة؛ أعطى قوة دفع للمحاصرين، ورفع من معنوياتهم، وحسم الموقف لصالحهم، فكان البحر يزودهم بإمدادات جديدة، حتى أضحوا في أعداد لا تحصى، من أمم كثيرة.

ثالثاً: كما كان للتفوق البحري للصليبيين أثره في مسار الأحداث، وظهر ذلك من إقدام السفن الصليبية على منع السفن الإسلامية، التي تحمل المؤن والعتاد للمحاصرين، من الدخول الى المدينة أو الاقتراب من أسوارها.

رابعاً: أثّر الحصار البري والبحري في معنويات المسلمين، حتى فشا التذمر بينهم، وتطور إلى نقد، ثم إلى معارضة، لا سيما في المرحلة الأخيرة من الحصار.

خامساً: كان من بين الصعوبات التي واجهت جيش صلاح الدين، ليس حساسية الموقع الذي رابط فيه، ولا قوة العدو فحسب، إنما صعوبة الحفاظ على الجيش تحت السلاح مدة طويلة من الزمن في تلك العهد.

سادساً: كشف الصراع الطويل مع الصليبيين أمام عكا، عن مواطن ضعف الإدارة المادية في جيش صلاح الدين، حيث إنه لم يول اهتماماً بالإدارة المالية، ولم يكن يدخر المال ليوم الحاجة، ويفسر بذل المال الذي عرف عنه، بأن ظروف الجهاد اقتضت ذلك، «فقد أنفق واردات مصر من أجل فتح الشام،

وواردات الشام من أجل فتح العراق، وواردات العراق من أجل فتح فلسطين، وسرعان ما وجد نفسه بحاجة شديدة إلى المال لسداد نفقات الحرب»[202].

دخل كونراد دي مونتفيرات عكا حاملاً الرايات الأربع لملوك الصليبيين، فغرز إحداها فوق القلعة، والثانية فوق مئذنة الجامع الكبرى، والثالثة فوق برج الهيكليين، والأخيرة فوق برج القتال، عوضاً عن علم الإسلام[203].

يقول المؤرخ الألماني هانز إيبرهارد ماير: «رفعت أعلام فرنسا وإنجلترا فوق المدينة فقط، فقد كان الملكان اتفقا مسبقاً على توزيع الغنيمة، دون الآخرين الذين كانوا يرابطون أمام عكا من سنتين، واخترق ليوبولد دوق النمسا هذا الاحتكار، بأن نصب رايته فوق المدينة، قام ريتشارد بإنزال الراية بيده، وألقاها في الخندق أسفل القصر، وهكذا فإن الأمر يتعلق بالأمور المادية، وليس بقضية شرف أو غرور إنجليزي، مثلما تفسر الحادثة في الدراسات القديمة»[204].

فكانت هذه إهانة لم يغفرها قط ليوبولد دوق النمسا؛ وعندما رجع إلى بلاده، وكان قلبه مليئاً بكراهية ريتشارد، وطالب التجار والنبلاء الصليبيين، الذين كانت لهم أملاك في عكا من قبل، بإعادة ممتلكاتهم إليهم[205].

تقاسم الملكان الفرنسي والإنجليزي مدينة عكا مناصفة فيما بينهما، واتخذ الملك ريتشارد من القصر الملكي السابق محل إقامته، بالقرب من السور الشمالي للمدينة، ونزل الملك فيليب الثاني أغسطس في المنشأة السابقة لفرسان المعبد المطلة على البحر بالقرب من طرف شبه الجزيرة[206].

جرى تقاسم الأسرى بالقرعة، فكان الأمير قراقوش حاكم عكا، وجماعة من الأسرى من نصيب الملك ريتشارد، وكان ابن المشطوب وبقية الأسرى من نصيب الملك فيليب الثاني أغسطس.

لكن سرعان ما دب الخلاف بين الملكين فيليب الثاني أغسطس،و ريتشارد مـرة أخرى، من أجـل عكا وإمارتها، وعلى إثر ذلك الخلاف انسـحب الملك فيليب الثاني أغسـطس بصحبة كونـراد دي مونتفيرات[207]، إلى مدينة صور يوم الأربعاء 7 رجب 587هـ / 31 يوليو 1191م، نظراً لاعتلال صحته، وكان عليه أن يهتم بترتيب موضوع وراثة أمير الفلاندرز، ووجده مناسـبة للزحف إلـى النورماندي؛ إذا ما بقـي ريتشارد في الشرق، واعتبر رحيل الملك فيليب الثاني أغسـطس من الناحية الفرنسية مناورة ذكية، إلا أن المؤرخين الإنجليز يصمونـه بالجبـن وحنث اليمين، وأما جيشه فقد بقـي تحت قيادة أمير برغند، الـذي لم يمتلك سـوى القليل مـن النقود، بحيث إنه لم يتمكـن من تمويل قواته إلا عـن طريـق الجانب الإنجليزي، ثم أبحر الملك فيليب الثاني من صور إلى بريندیزي في صقلية بعد ثلاثة أيام، عائداً إلى بلاده [208].

رحـل الملك الفرنسـي فيليب الثاني أغسـطس إلى بـلاده، وبرحيله تزعم ريتشـارد الحملة الصليبية الثالثة في منطقـة الشام، وتولى كامل زمام الجيش الصليبي، والمفاوضـات مع صلاح الدين، الذي وافق على الالتزام بالمعاهدة التـي أبرمها ضباطه في عكا، وبينما انهمك الصليبيون في إعادة بناء أسـوار عكا وتقويتها، شـرع صلاح الدين في جمع الأسـرى والمـال المطلوب منه، ويقول ابن الأثير: «وكان هو – أي السلطان – لا مال له، إنما يخرج ما يصل إليه من دخل البلاد أولاً بأول»[209].

اسـتقبل صلاح الدين ضباطاً صليبيين في معسـكره، يوم الجمعة 9 رجب 587هـ / 2 أغسـطس 1191م، ينقلون موافقة ريتشارد علـى اقتراحه بتجزئة المدفوعات، وعودة الأسـرى على ثلاث دفعات شهرية، على أن يطلق سراح الأسـرى المسلمين بعد تسـديد الدفعة الأولى، وسـمح صلاح الدين للزائرين

بمشاهـدة الصليب المقدس[210]، الذي كان يحتفظ به صلاح الدين في حالة من الوقار[211].

قـام صـلاح الديـن يوم الأحـد 18 رجب 587هـ / 11 أغسطس 1191م، بإرسال الدفعة الأولى من المال (مائة ألف دينار)، وأسرى الصليبيين (ألف وستمائة أسير)، وصليب الصَّلبوت (كما يعتقد المسيحيون) إلى معسكرهم، وعاد سفراء ريتشارد يؤكدون صحة الدفعـة الأولى من المال، غير أن كبار الأسرى؛ وبخاصة من تحددت أسماؤهم ولم يصلوا جميعاً، ومن ثم فلن يطلقوا سراح جنود السلطان المأسورين في عكا، فعرض صلاح الدين عليهم؛ إما قبول دفعة المال مع رهائن وإطلاق سراح رجاله، أو قبول دفعة المال، وترك رهائن لديه ضماناً لإطلاق سـراح رجاله؛ فرفض السفراء العرضين كليهما، وطلبوا دفعة المال، وإعطاءه مجرد تعهد بشأن الأسـرى المسلمين[212]، ويبدو أن الصليبيين ماطلوا في تنفيذ الشق المتعلق بهم، حيث إن الصليبيين لم يكونوا، قد اختاروا أسماء الذين يريدون من صلاح الدين أن يطلق سراحهم، والظاهر أن الصليبيين لم يكونوا جادين في موقفهم، وأرادوا أن يتشبثوا بحجة ما تحول دون تنفيـذ الاتفاقية، فيكونوا في حل من أمرهـم، وعندها أدرك صلاح الدين عزمهم على الغدر، ولذا رفض أن يسلمهم ما تبقى من المال، والأسرى ما لم يفرجوا عن رجاله[213].

فما كان من ريتشارد قلب الأسد، إلا أن أعلن يوم الثلاثاء 27 رجب 587هـ / 20 أغسـطس 1191م، بعد أكثر من أسـبوع على عودة سـفرائه، أن صلاح الدين قد أخل بتعهده، فركب هو وجميع العسـكر الصليبيين راجلهم وفارسهم، فـي وقت العصر من نفس اليـوم، حتى وصلوا الآبار التي تحت تل العياضة، وسـاروا حتى توسـطوا المرج بين تل كيسـان وبين العياضـة، ثم أحضروا

أسـرى المسـلمين وكانوا زهاء ثلاثة آلاف في الحبال، فقتلوهم ضرباً وطعناً بالسـيف، والمسـلمون يشاهدون ولا يعلمون ماذا يصنعون لبعدهم عنهم[214]، وقتلت زوجات وأطفال الأسـرى إلى جوارهم، وأبقـوا على مجرد القليل من الوجهاء للمسـاومة بهم فـي التفاوض، وأقوياء البنية لاسـتخدامهم في أعمال السخرة، وشاهد المسلمون في المخفر الأقرب إلى عكا ما كان يحدث[215].

ويقول رانسـيمان: «كمـا أخبرنا المؤرخون المدافعـون عن ريتشارد في سـرورهم، راح جنوده المتلهفون يعملون السـيف ذبحاً، شـاكرين الرب على هذه الفرصة للانتقام لرفاقهم الذين سـقطوا أمام المدينة»[216]، والدافع أن ذلك المـؤرخ البريطانـي، حرص على ألا يظهر ملكه ريتشـارد، بمظهر الدموي السفاح.

بكى صلاح الدين متأثراً، ولم يسمح لأحد بالانتقام منهم رداً على ما ارتكبه الملك الإنجليزي ريتشارد، إلا أنه أمر برد الأسرى الصليبيين الذين جلبهم من دمشق، لإجراء التبادل[217].

ودل هذا على أننا أمام فارس الإسلام المتحضر، الذي لا يرد على الإساءة بما يماثلها، ويذكر التاريخ هذا إلى الآن، وقد أدرك صلاح الدين، أن الأسرى الصليبيين عندما سيعودون إلى بلادهم، سيتحدثون عن الفارق الحضاري بين المسلمين وخصومهم.

يقـول المـؤرخ هانز ماير: «إن سـبب قيام ريتشارد بقتل الأسـرى، يعود إلـى ظهـور صعوبات في تأديـة الفدية، التي أثقلت كاهل صـلاح الدين على الأغلـب»[218]، والواقـع أن ذلك لا يبرر أبداً دموية ريتشارد قلب الأسـد ضد المسلمين.

أما المؤرخ الإنجليزي رانسيمان فيقول: «فعندما أراد ريتشارد مغادرة عكا والسير إلى القدس، كان وجود أسرى المسلمين لديه يشكل حجر عثرة، تسبب له الحرج، فلم يجد سبيلاً إلى بلوغ غايته سوى أن يتخلص منهم»[(219)]، من الواضح هنا أن ذلك المؤرخ الإنجليزي، يحاول تبرير هذه المذبحة دون جدوى.

يرى هانس ماير، أن ريتشارد قام بالإجهاز على هذا العدد الغفير من الأسرى المسلمين لكيلا يستفيد منهم صلاح الدين في المستقبل، ولأنه كان على عجلة من أمره في تنظيم الهجوم على القدس أو عسقلان، فأراد أن يتخلص منهم بهذه الطريقة الغادرة[(220)]، هي تبريرات لا تقف على قدميها، ولا تبرر المذبحة التي قام بها ذلك الملك الإنجليزي الدموي، الذي ارتكب من قبل مذبحة ضد اليهود في إنجلترا[(221)].

سقطت عكا إلا أن التاريخ سجل لها؛ ولحاميتها الإسلامية موقفاً رائعاً، إذ ظلت صامدة أمام زحف الصليبيين المتوالي؛ الممثل بالصليبيين القدامى والجدد، الذين أتوا مع الحملة الصليبية الثالثة، وأظهرت حامية عكا تحت قيادة الأمراء الشجعان من أمثال المشطوب وبهاء الدين قراقوش، عامين كاملين وهي أطول معارك الحصار، شجاعة نادرة تسترعي الأنظار.

مع أن الحملة الصليبية الثالثة كانت من الحملات الشرسة، إلا أن الله أعان المسلمين بقيادة صلاح الدين على إفشالها، بحيث لم تتمكن من استرداد بيت المقدس، الذي أرسلت هذه الحملة من أجل استرداده من أيدي المسلمين، وانتهت بعقد صلح الرملة بين الطرفين في 21 شعبان 588هـ / 1 سبتمبر 1192م، ورحل الصليبيون إلى بلادهم، وبعد ذلك توفي صلاح الدين الأيوبي فجر يوم الأربعاء 27 صفر 589هـ / 3 مارس 1193م[(222)].

جدير بالذكر؛ أنه على الرغم من نجاح الصليبيين في إسقاط عكا، إلا أن الحملة الصليبية الثالثة اعتبرت فاشلة، وكان فشلها من الداخل، قبل أن يكون من الخارج، حيث إن ملكي فرنسا وانجلترا، نقلا ما بينهما من منازعات سياسية؛ إلى الحركة الصليبية، بعد أن تم الاتفاق بينهما على ضرورة أغفالها ونبذها، لذا تعتبر الحملة الصليبية الثالثة من الناحية الروحية أقل شأناً من الحملة الصليبية الأولى، على الرغم من تفوقها في المظاهر المادية.

في هذا الحصار الطويل، الذي دام نحو سنتين (685 يوماً)، من يوم الثلاثاء 14 رجب 585هـ / 28 أغسطس 1189م، إلى يوم الجمعة 17 جمادى الآخرة 587هـ / 12 يوليو 1191م، وتقابلت فيه كافة ما لدى الطرفين من إمكانات عسكرية، واشترك فيه أكبر قادة وأمراء الحروب الصليبية، واستعملت أساليب متعددة في القتال، وأسلحة وأدوات حربية، وبلغت أنظمة البريد والجاسوسية مستوى عالٍ، وكانت الخسائر بالغة، حيث وقع خلاله الآلاف من القتلى والجرحى، بينهم قادة بارزون، وعدد آخر ممن ماتوا بسبب المجاعة وفساد الجو والماء والمرض، والخسائر في الجانب الإسلامي فقد زيدت كميتها زيادة مبالغاً فيها.

واستشهد من قادة صلاح الدين الكثيرون، مثل ظهير الدين، أخي الفقيه ضياء الدين عيسى الهكاري والي بيت المقدس(223)، والأمير مجلي بن مروان(224)، والحاجب خليل الهكاري(225)، والشيخ جمال الدين أبي علي بن رواحة، والأمير نصير الحميدي، ويعقوب الحلبي مقدم الأسطول المصري، ومات مرضاً الأمير حسام الدين طمان صاحب الرقة(226)، وزين الدين يوسف صاحب أربيل، والفقيه ضياء الدين عيسى الهكاري بمنزل الخروبة، وحسام الدين سفر الخلاطي، والأمير عز الدين موسك بن جكو ابن خال صلاح الدين.

أما أبرز من مات أو قتل من الجانب الصليبي، على رأس هؤلاء

الإمبراطور الألماني فريدريك بربروسا، وابنه فريدريك أوف سوابيا، والملكة سيبيلا وابنتاها الصغيرتان أليس وماريا ابنتا الملك غي بالطاعون[227]، ومقدم الداوية (فرسان المعبد) جيرار دي ريدفورت أعدمه صلاح الدين بعد معركة المصاف العظيم، وقائد البطريرك هراقلوس، وخمسة رؤساء أساقفة، وستة أساقفة، وأربعة رؤساء أديرة، رئيس دير بريور، أرشيدوق، ودوقان، وعشرة كونتات، وثلاثون من طبقة النبلاء الآخرين، أما الخسائر في صفوف الفرسان فقد بقيت من دون إحصاء[228].

هكذا سقطت عكا بأيدي الصليبيين، وهناك مجموعة من النتائج تمخضت عن هذا السقوط منها:

أولاً: أضعف سقوط عكا وضع المسلمين القتالي، على الرغم من أن الضربة لم تكن قاضية، بحيث ركنوا بعد ذلك إلى الدفاع، والذي من مظاهره تخريب بعض المدن والقلاع لكيلا تقع في يد العدو، ومن ثم يتخذها قواعد انطلاق لضرب المسلمين.

ثانياً: قدوم الحملة الصليبية الثالثة لم يكن من أجل إنقاذ الكيان الصليبي المتهاوي؛ بل أيضاً من أجل استمرار الاستيطان الصليبي في بلاد الشام، ودعمه عسكرياً ومالياً.

ثالثاً: يعد فشل صلاح الدين في حصار صور، بداية التراجع الإسلامي، ومن ثم فإن ما قام به ريتشارد قلب الأسد من ذبح نحو ثلاثة آلاف أسير مسلم، كان له أثره في إضعاف جيش المسلمين، كما أثر في معنوياته النفسية.

رابعاً: اقتنع الصليبيون بأن خصمهم ليس القائد الذي لا يقهر، وأن بيت المقدس يمكن استعادتها.

خامســاً: كان اختيار بربروســا الطريــق البري عبر آســيا الصغرى، هو الســبب في فشل حملته، بعد أن هاجمه التركمان والســلاجقة، أثناء ســيره في آسيا الصغرى[229].

ذلك عــرض عن حصار الصليبيــن لمدينة عكا، خــلال الحملة الصليبية الثالثــة (585 – 587هـ / 1189 – 1191م)، أما الفصل التالي فيتناول دراســة مقارنة لحصار الصليبيين للمدن الإسلامية في بلاد الشام.

هوامش الفصل الرابع:

1 – عن معركة حطين انظر، العماد الأصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، ص47 – 50، ابن الأثير، الكامل في التاريخ 10/24 – 27؛ ابن شـداد، النوادر السـلطانية والمحاسـن اليوسفية، ص85 – 91؛ حاطوم، نور الدين، في ذكرى معركة حطين (24 ربيع الثاني 583هـ الموافق 4 تموز 1187م)، ط: الأولى، وزارة الثقافة، دمشق: سـوريا، 1987م؛ كشك، محمد جـلال، لمحات من حطيـن، لجنة القدس، القاهرة: مصـر، 1985؛ مجموعة من الباحثين، ندوة حطين بمناسبة مرور ثمانية قرون على معركة حطين، دمشق: سوريا، 1987م؛

The Old French Continuation of William of Tyre, 1184 – 1997 – The Conquest of Jerusalem and The Third Crusade ,Sources in Traustation, ed. P.W Edbury, Hampshire, 1996, p.p 158 – 163 – B. Z. Kedar, The Horns of Hattin, Jerusalem, 1992.

2 – للمزيـد عن صلاح الديـن الأيوبي، انظر: العماد الأصفهاني، الفتح القسـي في الفتح القدسـي؛ ابن شداد، النوادر السـلطانية والمحاسن اليوسفية؛ الرومي، عبد الجواد، صلاح الدين الأيوبي الناصر لدين الله، صيدا: لبنان، ب.ت؛ قلعجي، قدري، صلاح الدين الأيوبي قصـة الصـراع بين الشرق والغرب فـي القرنين الثاني عشر والثالـث عشر الميلاديين، بيـروت: لبنـان، 1979م؛ عـوض، محمد مؤنـس، 100 كتاب عن صلاح الديـن الأيوبي، عـرض ونقد، دار الآفاق العربية، القاهرة: مصر، 2014م؛ صلاح الدين الأيوبي وعصره من قبل ببليوغرافي، رام الله: فلسطين، 2015م؛ رحلة إلى صلاح الدين الأيوبي، دار العالم العربي، القاهـرة: مصر، 2010م؛ صلاح الدين الأيوبي، انكسـارات وانتصارات، (1138 – 1193م)، ط: الأولـى، نور حوران، دمشق: سـوريا، 2019م؛ صـلاح الدين الأيوبي في الموسوعات العربية والغربية، نور حوران، دمشق: سوريا، 2019م: من معاصري صلاح الدين الأيوبي، دار الجندي للنشر، القدس: فلسطين، 2020م؛ أضواء على المرأة في عصر صـلاح الديـن، نور حوران، دمشق: سـوريا، 2019م؛ صلاح الديـن الأيوبي بين التاريخ

والأسـطورة، عين للدراسات والبحوث الإنسـانية والاجتماعية، القاهرة: مصر، 2008م؛ صلاح الدين الأيوبي، الإعاقة – الكاريزما – الإنجاز، دار الآفاق العربية، القاهرة: مصر، 2014م؛ رحلتـي مع صلاح الدين الأيوبي، دائرة الثقافة، الشارقة: دولة الإمارات، 2017م، صلاح الدين الأيوبي فارس عابر للقرون، دائرة الثقافة، الشارقة: دولة الإمارات، 2016م؛ صلاح الدين الأيوبي نسر الشرق الرحيم، العالمية للكتب والنشر، القاهرة: مصر، 2014م؛ قالوا عن صلاح الدين الأيوبي نسـر، شـهادات من الشرق والغرب، دار الكرز، القاهرة: مصـر، 2013م؛ من التاريخ العالمي لصلاح الدين الأيوبي، دراسـة على رؤية المؤرخين الغربييـن، جامعة الشارقة، الشارقـة: دولة الإمارات، 2020م؛ صـلاح الدين الأيوبي في كتابـات المؤرخات العربيات، نور حوران، دمشق: سـوريا، 2019م؛ نـور الدين محمود وصلاح الدين الأيوبي فارسان مجاهدان من عصر الحروب الصليبية، دار الجندي للنشر، القدس: فلسـطين، 2014م: جنثيان، شـوفيل، صلاح الدين الأيوبي بطل الإسـلام، تحقيق: جورج أبي صالح، بيروت: لبنان، 1998م؛

S. lane – Poole, Saladin and The Fall of The Kingdom of Jerusalem, Kuala Lumpur , 2007؛

J. Man, Saladin, The Life, The Legend and The Islamic Empire, London, 2015.

3 – العمـاد الأصفهاني، الفتح القسـي في الفتح القدسـي، ص55، ابن الأثيـر، الكامل في التاريخ، 10/28، ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، 5/358.

4 – العماد الأصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، ص59 – 64.

5 – لمزيـد من التفاصيل عن سـقوط المدن والحاميات والممالـك الصليبية في بلاد الشام انظر، العماد الأصفهاني، الفتح القسـي في الفتح القدسي، ص53 – 63، ابن الأثير، الكامل فـي التاريـخ 10/27 – 30؛ ابن خلدون، تاريخ بن خلـدون، 5/358 – 370؛ يعقوب الفيتري (بطريرك عكا)، تاريخ بيت المقدس، ترجمة وتعليق، سعيد عبد الله البيشاوي، ط: الأولى، دار الشرق للنشر والتوزيع، عمان: الأردن، 1998م، ص139 – 140.

6 – ابـن الـوردي، عمر بن مظفر بن عمر بن محمد ابـن أبي الفوارس، أبو حفص، زين الديـن ابن الوردي المعري الكنـدي، (ت: 749هـ/1349م)، تاريخ ابن الوردي، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت: لبنان، 1417هـ – 1996م، 2/95؛ عن شروط تسليم بيت المقدس، انظـر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 10/36؛ ابن شـداد، النوادر السـلطانية والمحاسـن اليوسفية، ص93.

7 – لمزيد من التفاصيل عن فتح بيت المقدس، انظر: العماد الأصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، ص66 – 67؛ ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص91 – 92، ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، 5/360 – 361؛ يعقوب الفيتري، تاريخ بيت المقدس، ص152؛ الزبدة، عبلة، صلاح الدين وتحرير القدس، ص137.

8 – قاسم، قاسم عبده، ماهية الحروب الصليبية، ص144.

9 – طقوش، محمد سهيل، تاريخ الأيوبيين، ص175.

10 – رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 3/36.

11 – عوض، محمد مؤنس، دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب، ط: الأولى، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة: مصر، 2003م، ص222.

12 – تاريخ ابن خلدون، 5/370.

13 – تاريخ بيت المقدس، ص158.

14 – فقد عقد صلاح الدين مع ملكها بوهيموند الثالث هدنة مدتها ثمانية أشهر، بعد أن انتزع منها أهم حصونها مثل بكاس والشغر وسرمينية وبغراس، ودربساك، للمزيد من التفاصيل انظر: العماد الأصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، ص141، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 10/58؛ أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، 4/58، ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، 5/368؛ حسين، محسن محمد، الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين، ط: الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت: لبنان، 1406هـ–1986م، ص435.

15 – قاسم، قاسم عبده، ماهية الحروب الصليبية، ص144.

16 – باركر، إرنست، الحروب الصليبية، ص83.

17 – تاريخ الحملات الصليبية، 3/35 – 36.

18 – المركيز كونراد دي مونتفيرات، وهو إيطالي الأصل من البييمونته إقليم يقع في شمال غربي إيطاليا، وهو أحد القادة الصليبيين حديثي المجيء إلى الأراضي المقدسة، حيث وصل في ربيع الثاني 583هـ/يوليو 1187م، بعدما إرغام على مغادرة بلاط القسطنطينية، حيث قام بخدمة الإمبراطور البيزنطي، فوصل إلى مدينة صور بعد أن مضى على موقعة حطين ثلاثة أسابيع، واستطاع أن ينقذ صور، يعتبر كونراد مونتفيرات مسؤولاً أكثر من غيره عن الحرب الصليبية الثالثة، حيث أرسل من صور مراراً إلى الغرب يلتمس النجدة،

ومن أقوى الوسائل التي استخدمها في طلب النجدة، ما بعث به إلى الغرب من لوحة كبيرة جرى الطواف بها في أوروبا، وهي تمثل القبر المقدس، وقد لوثته خيول المسلمين، للمزيد عنه، انظر: عطية، محمد حسين، قومون صور (1187 – 1189م)، نشأته وأهدافه، ونهايته، ضمن كتاب دراسات في تاريخ الحروب الصليبية، د.ط.، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية: مصر، 2000م، ص177 – 228؛ باركر، إرنست، الحروب الصليبية، ص86؛

P. Williams, The Assassination of Conrad of Montferrat, Another Suspect, T. XXVI,
T. H. E. Mayer, On The Beginnings of The Communal Movement ؛1970, PP, 381 – 389
in The Holy Land: The Commune of Tyre, T. XXIV, 1968, PP. 443,457

19 – العماد الأصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، ص156؛ رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 3/36.

20 – الكامل في التاريخ، 10/69.

21 – نفس المصدر، 10/41.

22 – تاريخ الحملات الصليبية، 3/56.

23 – حسين، محسن محمد، الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين، ص408.

24 – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 10/69؛ نوري، دريد عبد القادر، سياسة صلاح الدين في بلاد مصر والشام والجزيرة، (570 – 589هـ/1174 – 1193م)، ط: الأولى، مطبعة الأراد، بغداد: العراق، 1976م، ص319؛ طقوش، محمد سهيل، تاريخ الأيوبيين، ص175.

25 – عن الحملة الصليبية الثالثة انظر: ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق: أحمد أيبش، ط: دمشق: سوريا، 2009م، ص199 – 406؛

Geoffrey of Vinsauf, Crusade of Richard Coeur de Lion, in Chronicles of The
Chronicle of The Third Crusade, Atranslation of Itinerarium ؛Crusades, London, 1908
Pereyrinorum Gesta Regis Ricardi, Trans Helen Nicholson, London, 1997.

26 – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 10/69؛ مجهول، الحرب الصليبية الثالثة، صلاح الدين وريتشارد، ترجمة وتحقيق حسن حبشي، د.ط، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة: مصر، 2000م، 1/54.

27 – وليم الثاني: وليم الصقلي (550 – 585هـ/1155 – 1189م)، ملك صقلية عرف باسم

«ويليام الطيب» حكم صقلية بعد وفاة والده «ويليام الأول» حينها لم يتجاوز عمره الحادية عشرة سنة، لذا وضع تحت وصاية والدته مارغريت النفارية.

28 – في موضع آخر من الكتاب ذكر رانسيمان بأن عددهم 200 فارس، وهو تناقض واضح، رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 3/37 – 54.

29 – الكرك: كلمة آرامية الأصل بنيت ما بين عامي 860 – 850 ق.م، وهي تقع على تل مرتفع وحصين عرفت الكرك قديماً باسم قير حارس، وذكره ابن جبير بأنه أعظم حصون النصارى وهو سرارة أرض فلسطين، وله نظر عظيم الاتساع متصل العمارة ينتهي إلى أربعمائة قرية، ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص224؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، 3/370، غوانمة، يوسف، إمارة الكرك الأيوبية، ط: الثانية، دار الفكر، عمان: الأردن، 983م، ص47 – 48.

30 – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 10/49، رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 3/36 – 37، طقوش، محمد سهيل، تاريخ الأيوبيين، ص175 – 176.

31 – يعقوب الفيتري، تاريخ بيت المقدس، ص158؛ قاسم، قاسم عبده، ماهية الحروب الصليبية، ص144، رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 3/37.

32 – ملك فرنسا خلال المرحلة 1180م إلى 1223م، ولد في 11 شوال 560هـ/21 أغسطس 1165م، بمدينة غونيس، الفرنسية، وقد شارك في الحملة الصليبية الثالثة (585 – 587هـ/1189 – 1192م)، وهو ابن الملك لويس السابع (531 – 576هـ/1137 – 1180م)، توفي في 13 جمادى الآخرة 620هـ/14 يوليو 1223م، تولى الحكم بعده ابنه الملك لويس الثامن، عنه انظر: عوض، محمد مؤنس، معجم أعلام عصر الحروب الصليبية، ص434؛ الشناوي، فاطمة، فيليب أغسطس ملك فرنسا (1180 – 1223م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة حلون، مصر.

.J. N. D. Kelley, D. Oxford Dictionary of popes, Oxford, 1996, p. 181

33 – يعقوب الفيتري، تاريخ بيت المقدس، ص158؛ رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 3/37، طقوش، محمد سهيل، تاريخ الأيوبيين، ص176؛ الزبدة، عبلة، صلاح الدين وتحرير القدس، ص137.

34 – رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 3/37 – 38، زابوروف، ميخائيل، الصليبيون

في الشرق، ص193، طقوش، محمد سهيل، تاريخ الأيوبيين، ص176.

35 – زابوروف، ميخائيل، الصليبيون في الشرق، ص193.

36 – طقوش، محمد سهيل، تاريخ الحروب الصليبية، ص490، حاشية 2.

37 – مجهول، الحرب الصليبية الثالثة، 1/183؛ رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 3/38، طقوش، محمد سهيل، تاريخ الأيوبيين، ص176.

38 – قاطنو شمال هولندا رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، ص90.

39 – رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 3/38.

40 – ريتشارد الأول، ملك إنجلترا منذ 20 جمادى الأولى 585هـ/6 يوليو 1189م، بعد وفاة والده الملك هنري الثاني، وحتى وفاته في 7 جمادى الآخرة 595هـ/6 أبريل 1199م، ولد في أول من شعبان 552هـ/8 سبتمبر 1157م، وقد عرف بلقب ريتشارد قلب الأسد، حتى قبل تتويجه بفضل سمعته كقائد عسكري ومحارب عظيم، وسمّاه المؤرخون المسلمون ملك الإنكتار، كما كان القائد الرئيس خلال الحملة الصليبية الثالثة، بعد أن رحل فيليب الثاني ملك فرنسا، لم يستطع الاستيلاء على القدس، وكان عمره وقتئذٍ 32 عاماً، كبير القامة، ذو بنية قوية، أشقر الشعر، محارباً، قائداً، إلا أنه كان ذا تقلب في المزاج واضح يجعله يتأرجح بين السماحة والعنف والندامة، عنه انظر:

Ambroise, The Crusade of Richard Heart of Lion, Trans, M. J. Hubert, New York, 1943 — J. Flori, Richard The Lionheart King and Knight, London 2006 — J. Cheffel, Richard Coeur de Lion, Paris, 1985 — R, Pernod, Richard Coeur de Lion, Paris, 1988.

41 – للمزيد عن مرسوم ضريبة عام 1188م «عشر صلاح الدين» الذي أصدره هنري الثاني ملك إنجلترا في أواسط ذو القعدة 584هـ/ أواخر يناير 1188م، انظر: عطية، حسين محمد، دراسات في تاريخ الحروب الصليبية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية: مصر، 2000م، ص279 – 315؛ عبد القوي، زينب عبد المجيد، الإنجليز والحروب الصليبية، ط: الأولى، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة: مصر، 1998م، ص109 – 110؛ العجمي، نها عوض محمود، الحملات الصليبية على مصر وبلاد الشام في الفترة من (494 – 690هـ/1095 – 1291م) التمويل والإمداد، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة: مصر، 2015م، ص117.

42 – باركر، إرنست، الحروب الصليبية، 86.

43 – رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 3/38.

44 – قاسم، قاسم عبده، ماهية الحروب الصليبية، ص145.

45 – باركر، إرنست، الحروب الصليبية، ص86 – 87؛ زابوروف، ميخائيل، الصليبيون في الشرق، ص193، بالار، ميشيل، الحملات الصليبية والشرق اللاتيني في القرن 11 – 14، ترجمة: بشير السباعي، ط: الأولى، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة: مصر، 2003م، ص194.

46 – رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 3/74؛ ماير، هانس أبراهارد، تاريخ الحروب الصليبية، ص202.

47 – رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 3/39.

48 – حسين، محسن محمد، الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين، ص435؛ الزبدة، عبلة، صلاح الدين وتحرير القدس، ص137.

49 – طقوش، محمد سهيل، تاريخ الأيوبيين، ص175، حسين، محسن محمد، الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين، ص432.

50 – ماير، هانس أبراهارد، تاريخ الحروب الصليبية، ص199.

51 – ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص112 – 113؛ طقوش، محمد سهيل، تاريخ الأيوبيين، ص178.

52 – غي دي لوزنيان: وهو ابن هيو من مقاطعة بواتيه تزوج عام 576هـ/1180م، سيبيلا ابنة الملك عموري، وشقيقه الملك بلدوين الرابع، أرملة وليم مونتفرات؛ أقطعه الملك مدينتي عسقلان ويافا عقب زواجه سيبيلا، تولى الوصايا على المملكة، وبعد أن اشتد المرض على الملك بلدوين الرابع، إلا أنه خلع منها بقرار من المحكمة العليا سنة 1183م/579هـ، وفي عام 582هـ/1187م، تم تعيينه ملكاً على بيت المقدس بعد وفاة الملك الطفل، أسره المسلمون في معركة حطين، ثم أطلق صلاح الدين سراحه بعد فترة وذهب إلى مدينة صور، ثم أقطعه الملك ريتشارد جزيرة قبرص، وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، 2/1016، 1068، 1069، يعقوب الفيتري، تاريخ بيت المقدس، ص148 – 151.

53 – رستون، جيمس، مقاتلون في سبيل الله، ص185.

54 – أسر المسلمون يوم حطين، الملك غي، وأخاه جفري، وأوك صاحب جبيل، وهنفري،

ومقدم الداوية، وأرناط صاحب الكرك وهو أول من وقع في الأسر، وكان السلطان قد نذر دمه، وقال لأعجلن عند وجدانه، العماد الأصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، ص50 – 53؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 10/26.

55 – ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص112.

56 – سيبيلا: وهي ابنة الملك عموري الأول، وأخت الملك بلدوين الرابع، تزوجت وليم مونتفرات، ولكنه توفي في العام التالي، تاركاً أرملته حاملاً بطفل أصبح فيما بعد ملكاً لبيت المقدس باسم بلدوين الخامس، ثم تزوجت غي دي لوزنيان 576هـ/1180م، وتم تتويجها ملكة لبيت المقدس 582هـ/1186م، وذلك بمساعدة خالها جوسلين الثالث، وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، 2/106.

57 – يقول ابن شداد: «واشترط عليه ألا يشهر في وجهه سيفاً أبداً، ويكون غلامه ومملوكه وطليقه أبداً، فنكث لعنه الله»، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص112.

58 – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 10/66؛ ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص112، رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 3/56، الزبدة، عبلة، صلاح الدين وتحرير القدس، ص138.

59 – طقوش، محمد سهيل، تاريخ الأيوبيين، ص178 – 179؛ رستون، جيمس، مقاتلون في سبيل الله، ص185.

60 – ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص113.

61 – حسين، محسن محمد، الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين، ص433؛ الزبدة، عبلة، صلاح الدين وتحرير القدس، ص138؛ ماير، هانس أبراهارد، تاريخ الحروب الصليبية، ص199.

62 – رستون، جيمس، مقاتلون في سبيل الله، ص186.

63 – ماير، هانس أبراهارد، تاريخ الحروب الصليبية، ص200.

64 – قيل إنه تمكن من جمع ما يقرب من 20 ألف مقاتل، الزبدة، عبلة، صلاح الدين، ص138.

65 – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 10/70؛ حسين، محسن محمد، الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين، ص433؛ رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 3/58

66 – قلعـة الشقيـف أو شـقيف أرنون أو قلعة بلفـورت، وهي تقع على النهـر الليطاني، ومشيـدة على منحدر صخري شـاهق، وتتبع لريتالد أمير صيدا، وكانت مركزاً لفرسـان الداوية، يعقوب الفيتري، تاريخ بيت المقدس، ص155، حاشية 3، للمزيد انظر: عبد المنعم، سـرور، التاريخ السياسي والعسكري لقلعة شقيف أرنون، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة طنطا، 1995م.

67 – ابن شـداد، النوادر السـلطانية والمحاسن اليوسـفية، ص120؛ أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، 4/77، حسـين، محسـن محمد، الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين، ص437.

68 – النوادر السـلطانية والمحاسـن اليوسـفية، ص120؛ قرية الزيب: وهي قرية كنعانية عرفت باسـم أكزيب، عرفها الفرنج باسم أمبرت نسبة إلى الفارس الصليبي الذي استولى عليها، عام 497هـ/1104م، وهي قرية كبيرة ساحلية تقع على مسافة 14 كم شمال عكا، ابن شـداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسـفية، ص120، حاشية 1؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، 3/162؛ بورشارد، وصف الأرضي المقدسة، ص40.

69 – كان هذا المجلس ينعقد كلما دعت الحاجة إليه، ويتكون من صلاح الدين رئيسـاً، ومن عضويـة أخيـه الملك العادل أبي بكـر، وأولاده وأولاد أعمامه والرفـاق القدامى، والأتباع الجدد، ووزيره القاضي الفاضل وسكرتيره الخاص العماد الأصفهاني، وقاضي الجيش بهاء الدين بن شداد، نقلي، آسيا، دور الفقهاء والعلماء في الجهاد ضد الصليبيين، ص161 – 162.

70 – تقع منطقة رأس الناقورة في أقصى نقطة في شمال فلسطين على الحدود مع جنوب لبنان.

71 – ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص138.

72 – العماد الأصفهاني، الفتح القسـي في الفتح القدسـي، ص161؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 10/70؛ أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، 4/78؛ ابن واصل، جمال الدين محمَّد بن سـالم بن نصر الله بن سـالم ابن واصل، أبو عبد الله المازني التميمي الحموي، (ت: 697هـ/1298م)، مفرج الكـروب في أخبار بني أيوب، تحقيق: جمـال الدين الشيال، حسنين محمد ربيع، سعيد عبد الفتاح عاشور، د.ط، دار الكتب والوثائق القومية – المطبعة الأميرية، القاهرة: مصر، 1377هـ – 1957م، 2/291، رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 3/59 – 60.

73 – تاريخ الحملات الصليبية، 3/59.

74 – الفتح القسي في الفتح القدسي، ص160؛ نقلي، آسيا، دور الفقهاء والعلماء في الجهاد ضد الصليبيين، ص161 – 163؛ حسين، محسن محمد، الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين، ص437.

75 – النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص138.

76 – إذ لم يكن ثم طريق يسع العساكر إلا هو، ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص120.

77 – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 10/70؛ أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، 4/78.

78 – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 10/32 – 35، ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص121.

79 – النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص121.

80 – صلاح الدين الأيوبي (دراسات في التاريخ الإسلامي)، تحقيق: يوسف أيبش، ط: الثانية، بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، بيروت: لبنان، 1996م، ص152 – 153.

81 – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 10/70 – 71؛ أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، 4/78، ابن كثير، البداية والنهاية، 16/607، ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، 2/99،

82 – النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص122.

83 – تل كيسان: أو تل تورون، يقع في مرج عكا، وحالياً يطلق عليه تل الفخار (لكثرة ما حواه من شقف الفخار)، يبعد مسافة ميل شرق عكا، على نهر بيلوس، رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، ص3/59.

84 – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 10/34، ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص122، أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، 4/79؛ يعقوب الفيتري، تاريخ بيت المقدس، 160.

85 – الجليل: يقع في شمالي فلسطين، وينقسم إلى قسمين أعلى وأسفل، الأعلى حده جبل الشيخ وهو مرتفع جداً أما الأسفل فأقل ارتفاعاً ويتخلله سهول البطوف وعرابة،

الدبـــاغ، مـــراد مصطفى، موسـوعة بلادنا فلسـطين، ط: الأولى، دار الهـدى، كفر قرع: فلسطين، 2000م، 1/47، دانيال، الحاج الروسي دانيال الراهب، وصف الأراضي المقدسة في فلسـطين (1106 – 1107م)، ترجمة: سعيد عبد الله جبريل البيشاوي، وداوود أبو هدبة، ط: أولى، دار الشروق، عمان: الأردن، 2003، ص79.

86 – الخروبة: حصن في الساحل عكا، ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص121، حاشية 3.

87 – ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص121؛ أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، 4/78؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، 2/43، حسين، محسن محمد، الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين، 437، طقوش، محمد سهيل، تاريخ الأيوبيين، ص180.

88 – صفوريـــة: هــي إحدى القرى الواقعة في إقليم الجليــل، ويحدها من الجنوب الشرقي الناصـــرة، ومــن الجنوب الغربـــي قرية عليوت، ومــن الشمال قرية خربـــة روما، فتحها المسلمين على يد شرحبيل بن حسنة، وقد نزل الجيش الصليبي في هذا المكان قبل معركة حطين، وأشـــار الرحالة الأوروبي ماينو ســـانوتو إلى أن صفورية تبعد عن الناصرة نحو ستة أميال، يعقوب الفيتري، تاريخ بيت المقدس، ص150 – 151، حاشية 1.

89 – ابــن الأثيــر، الكامل في التاريخ، 10/71، ابن شــداد، النوادر الســلطانية والمحاســن اليوســفية، ص121؛ أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، 4/78 حسين، محسن محمد، الجيــش الأيوبـــي فـــي عهد صلاح الديــن، ص437، انظر: خريطة رقــم (7 – 8) عكا عام 585هـ – 1189م.

90 – رانســيمان، تاريخ الحملات الصليبية 3/59؛ طقوش، محمد سهيل، تاريخ الأيوبيين، ص180 – 181.

91 – أمينة البيطار، تاريخ العصر الأيوبي، ص153؛ الزبدة، عبلة، صلاح الدين، ص138 – 139.

92 – حسين، محسن محمد، الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين، ص437 – 438.

93 – سكان شمال هولندا، رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية 3/60.

94 – رانســيمان، تاريخ الحملات الصليبية 3/60، ماير، هانس أبراهارد، تاريخ الحروب الصليبية، ص200.

95 – رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية 3/42.

96 – ماير، هانس أبراهارد، تاريخ الحروب الصليبية، ص200.

97 – رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية 3/60، ماير، هانس أبراهارد، تاريخ الحروب الصليبية، ص200 – 201.

98 – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 10/72، حسين، محسن محمد، الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين، ص435 – 436؛ طقوش، محمد سهيل، تاريخ الأيوبيين، ص179.

99 – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 10/72، حسين، محسن محمد، الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين، ص436.

100 – إسحق الثاني أنجيلوس هو إمبراطور بيزنطة بين عامي 581 – 591هـ/1185م–1195م، ثم بين عامي 599 – 600هـ/1203م – 1204م، وخليفة أندرونيكوس الأول كومنينوس، وكان قد ابتدأ عهده بنصر حاسم على النورمان وملكهم وليام في إيطاليا، لكن في غير ذلك لم تكن سياساته بهذا النجاح، فقد فشل في استعادة قبرص من المتمرد إسحاق كومنينوس، وتسببت الضرائب الباهظة التي فرضها لدفع البلغار والفلاخ إلى الثورة عام 1186م، تحالف مع صلاح الدين لمواجهة خطر الحملة الصليبية الثالثة (585 – 587هـ/1189 – 1192م)، وأطيح به عام 600هـ/1204م بعد اندلاع ثورة في بيزنطة، ومات في شهر فبراير من نفس العام، عوض، محمد مؤنس، معجم أعلام عصر الحروب الصليبية، ص567.

101 – انظر نص كتاب الإمبراطور الألماني إلى صلاح الدين، مجهول، الحرب الصليبية الثالثة، 1/58 – 60، وردّ صلاح الدين على كتاب الإمبراطور الألماني، 1/60 – 61.

102 – العماد الأصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، ص208، ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص145؛ أبو الفداء، المختصر، 3/78. ابن الوردي، تاريخ ابن وردي، 2/100.

103 – العماد الأصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، ص224؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 10/82؛ ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص145؛ مجهول، الحرب الصليبية الثالثة، 1/84 – 85؛ رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية 3/47 – 48، شاندور، ألبير، صلاح الدين الأيوبي، ص291.

104 – ابن شداد: هو بهاء الدين ابن رافع بن تميم بن عتبة بن محمد اللأسدي، ولد

بالموصل في شهر رمضان 539هـ/ مارس 1145م، ونشأ بهاء في رعاية أخواله بني شداد فنسب إليهم، وكان والده قد توفي وهو حدث صغير، وكان بهاء الدين فقيهاً شافعياً؛ تلقى علومه على يد شيوخ الموصل والبصرة؛ توفي في صفر 632هـ/نوفمبر 1234م، ابن خلكان، وفيات الأعيان، 7/85 – 84؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، 22/384.

105 – إقليم الجزيرة: يقع بين دجلة والفرات ويشمل ديار مضر، وديار بكر، وهي أرض خصبة، واسعة الخيرات بها مدن، وحصون وقلاع كثيرة من مدنها، الرها، وحران، ونصيبين، وسنجار، ورأس العين، والرقة، والخابور، وماردين، وآمد، والموصل، ياقوت الحموي، معجم البلدان، 2/134، ابن العديم، زبدة الحلب من تاريخ حلب، ص388 – 389.

106 – الموصل: وهي من المدن القديمة، واسم الموصل عربي الاشتقاق، ومعناه الموقع الذي يصل محلاً بالآخر وبلدة بالأخرى، وبسورها عدة أبواب، وتقابلها في الجانب الشرقي مدينة نينوى التاريخية، وصفها ابن جبير بقوله: «هذه عتيقة ضخمة حصينة فخمة قد طالت صحبتها للزمن فأخذت أهبة استعدادها لحوادث الفتن»، ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص196.

107 – ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص135؛ شاندور، ألبير، صلاح الدين الأيوبي البطل الأنقى في الإسلام، تحقيق: نديم مرعشلي، ترجمة: سعيد أبو الحسن، ط: الثانية، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق: سوريا، 1993م، ص285.

108 – ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص135؛ شاندور، ألبير، صلاح الدين الأيوبي، ص285.

109 – هي سلالة بربرية أمازيغية حكمت في شمال أفريقيا (المغرب، الجزائر، تونس، ليبيا) والأندلس سنوات 1130 – 1269م، المقر: مراكش وإشبيلية (فترات متقطعة)، تأسّست في عام 515هـ/1121م على يَد مُحمَّد بن عبد الله بن وجليد بن يامصال (ابن تومرت)، وسانده في ذلك رجلان من أصحاب العِلم، وهما: أبو مُحمَّد عبد الله بن محاسن الونشريسيّ، وعبد المُؤمن بن علي التاجريّ الكوميّ الندروميّ، وتُنسَب إلى جماعة إسلاميّة تُؤمن بأنَّ الله تعالى، هو وحده فوق التشبيه، وهم يُنزِّهونه عن كلِّ تشبيه له بالخَلْق، وقد ضمَّت دولة المُوحّدين في أَوْج ازدهارها مساحة جغرافيّة كبيرة؛ حيث شملت المغرب العربيّ، وامتدَّت من مصر إلى الأطلسيّ، بالإضافة إلى الأندلُس، واستمرَّ عهد الدولة إلى عام 674هـ/1275م، للمزيد عن الموحدين، انظر: ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون؛ عنان، محمد

عبـد الله، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلـس، مكتبة الخانجي، القاهرة: مصر، 1411هـ – 1990م؛ مؤنس، حسـين، تاريخ المغرب وحضارته، ط: الأولى، العصر الحديـث للنشر والتوزيـع، بيروت: لبنان، 1412هـ – 1992م؛ سـالم، السـيد عبد العزيز، المغـرب الكبيـر (العصر الإسـلامي)، الدار القوميـة للطباعة والنشـر، القاهرة: مصر، 1966م؛ علام، عبد الله علي، الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي، دار المعارف، القاهرة: مصر، 1971م؛ حسن، إبراهيم علي، عبد المؤمن بن علي الكومي، دار الثقافة، الغرب، 1406هـ – 1986م.

110 – أبو يعقوب يوسـف المنصور بالله بن عبد المؤمن، ثاني خلفاء دولة الموحدين، ولد بتنمـل فـي 15 رجب 533هـ/17 فبراير 1139م، وتولى السـلطنة بعد وفـاة أبيه عبد المؤمن مؤسـس الدولة، في جمـادى الآخرة عام 558هـ/1163م، حكم بـلاد المغرب والأندلس بين عامـي (558 – 580هـ/1163 – 1184م) في عاصمة دولته مراكش. شـيد الجامع الكبير في إشبيلية والكتبية في مراكش وصومعة حسان في الرباط، توفي في 18 ربيع الآخر 580هـ/ 29 يوليو 1184م، بعد إصابته في معركة شنترين بالأندلس، وكانت مدة حكمه عشرين سنة وشـهراً، خلفه ابنه أبو يوسف يعقوب بن يوسف، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 9/480 – 481؛ أبو الفداء، المختصر، 3/67.

111 – للمزيـد عن الرسـالة، انظر: أبو شـامة، الروضتين في أخبـار الدولتين، 4/198 – 199، خلف الله، ابتسـام مرعي، العلاقات بين الخلافة الموحدة والشرق الإسـلامي (524 – 936هـ/1123 – 1529م)، دار المعارف الإسلامية، القاهرة: مصر، 1985م، ص147 – 165.

112 – الزبدة، عبلة، صلاح الدين وتحرير القدس، ص139.

113 – بَغْـرَاسُ: مدينـة وحصن فـي لحف جبل اللّكام، تقع في شـمال غرب أنطاكية، على يمين القاصد إلى أنطاكية من حلب، وبه منبر وبشر كثير وهو على طريق الثغور، ياقوت الحموي، معجم البلدان، 1/467.

114 – العماد الأصفهاني، الفتح القسـي في الفتح القدسـي، ص211؛ طقوش، محمد سهيل، تاريخ الأيوبيين، ص177.

115 – الفتح القسي في الفتح القدسي، ص183.

116 – ابن شـداد، النوادر السـلطانية والمحاسـن اليوسـفية، ص170؛ رانسـيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 3/65. شاندور، ألبير، صلاح الدين الأيوبي، ص306 – 307.

117 – طقوش، محمد سهيل، تاريخ الأيوبيين، ص178؛ الزبدة، عبلة، صلاح الدين وتحرير القدس، ص139،

118 – فرسان التيوتون: طائفة عسكرية دينية ألمانية، تأسست عام 585هـ/1191م كمنظمة تمريضية، تحت اسم الأخوة الإسبتاريين التيوتونيين، لكنها تحولت إلى نمط فرسان المعبد وفرسان الإسبتارية، وشاركت في الحروب الصليبية مثلهم، وكان لها مقر في عكا، اعترف بها البابا عام 585هـ/1191م، وفرض عليهم البابا نظام القديس أوغستين والأنظمة الخاصة بالقديس يوحنا، وفي عام 592هـ/1198م أقاموا نظاماً عسكرياً، أهم مراكزهم في الشام أنطاكية وطرابلس، وفي عام 606هـ/1210م قتل معظم فرسانهم وقوادهم فعزلوا على عكا، ودخلوا في منافسة مع فرسان المعبد والإسبتارية، الذين كانت مكانتهم أعلى، وكانوا يلبسون أزياء بيضاء عليها، حسين، حسن عبد الوهاب، تاريخ الفرسان التيوتون في الأراضي المقدسة نحو (1190 – 1291م/586 – 690هـ)، د.ط، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية: مصر، 1981م، ص58 – 100. ألبير شاندور، صلاح الدين الأيوبي، ص293.

119 – ماير، هانس أبراهارد، تاريخ الحروب الصليبية. ص199؛ شاندور، ألبير، صلاح الدين الأيوبي، ص293.

120 – ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص123؛ أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، 4/80؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 16/608؛ ابن واصل، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، 2/293؛ رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 3/60 – 61.

121 – نهر صغير ينحدر من الجهة الجنوبية الشرقية، ويصب قريباً من عكا، من جنوبها في خليج عكا، وهو أشبه بالوادي، ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص127، رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، ص59.

122 – ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص127؛ أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، 4/86.

123 – العماد الأصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، ص167؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 10/73، ابن واصل، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، 2/294.

124 – عن هدنة أنطاكية، انظر: الحدم، بشير، موقف القوى الإسلامية والمسيحية من الغزو الصليبي لأنطاكية، ص24، حاشية 4.

125 – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 10/73؛ حسين، محسن محمد، الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين، ص443.

126 – رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 3/61.

127 – أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، 4/90.

128 – الفقيه الأمير ضياء الدين عيسى الهكاري: كان من أصحاب أسد الدين شيركوه، دخل معه إلى مصر، وحظي عنده، ثم كان ملازماً للسلطان صلاح الدين حتى مات في ركابه بمنزلة الخروبة قريباً من عكا، فنقل إلى القدس فدفن بها، كان ممن تفقه على الشيخ أبي القاسم بن البرزي الجزري، وكان من الفضلاء والأمراء الكبار، ابن كثير، البداية والنهاية، 16/607

129 – أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، 4/90.

130 – العماد الأصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، ص171.

131 – ابن الأثير، الكامل في التاريخ 10/73؛ أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، 4/97؛ نقلي، آسيا، دور الفقهاء والعلماء في الجهاد ضد الصليبيين، ص164.

132 – العماد الأصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، ص167؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 10/74؛ أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، 2/96.

133 – رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 3/61.

134 – يعقوب الفيتري، تاريخ بيت المقدس، ص153؛ رستون، جيمس، مقاتلون في سبيل الله، ص187.

135 – رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 3/61؛ حسين، محسن محمد، الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين، ص444.

136 – ابن كثير، البداية والنهاية، 16/608.

137 – ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص132، ابن واصل، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب 2/299؛ حسين، محسن محمد، الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين، ص444.

138 – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 10/74.

139 – العماد الأصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، ص169.

140 – ابـن الأثيـر، الكامل في التاريخ 10/74. ابن واصل، مفـرج الكروب في أخبار بني أيوب، 2/302؛ رستون، جيمس، مقاتلون في سبيل الله، ص187.

141 – أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، 4/91.

142 – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 10/74.

143 – انظـر خطـاب صلاح الدين في المجلس الحربي، العماد الأصفهاني، الفتح القسـي فـي الفتح القدسـي، ص175؛ ابن الأثيـر، الكامل في التاريخ، 10/188؛ ابن شـداد، النوادر السـلطانية والمحاسن اليوسفية، ص133؛ أبو شـامة، الروضتين في أخبار الدولتين، 4/93 – 94.

144 – انظـر رد المجلـس الحربي على خطـاب صلاح الدين، العمـاد الأصفهاني، الفتح القسـي في الفتح القدسـي، ص175؛ ابن شـداد، النوادر السـلطانية والمحاسـن اليوسفية، ص134؛ الخروبة: حصن بسـواحل بحر الشـام مشرف على عكا، ياقوت الحموي، معجم البلدان، 2/362.

145 – يقـول ابـن شـداد إن الرحيـل إلى جبـل الخروبة كـان بتاريخ 27 جمـادى الآخرة 585هـ/12 أغسـطس 1189م، العماد الأصفهاني، الفتح القسـي في الفتح القدسـي، ص176 – 177؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ 10/75؛ ابن شـداد، النوادر السـلطانية والمحاسـن اليوسفية، ص156.

146 – ابـن الأثير، الكامل في التاريخ، 10/77؛ أبو شـامة، الروضتين في أخبار الدولتين، 4/109؛ ابن كثير، البداية والنهاية 16/611، أبو الفداء، المختصر، 33/77.

147 – العمـاد الأصفهانـي، الفتح القسـي في الفتـح القدسـي، ص176 – 177؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 10/188 – 189؛ ابن شـداد، النوادر السـلطانية والمحاسـن اليوسـفية، ص98 – 101؛ أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، 2/146 – 147؛ ابن واصل، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، 2/303 – 305؛ نقلي، آسـيا، دور الفقهاء والعلماء في الجهاد ضد الصليبيين، ص166.

148 – العمـاد الأصفهانـي، الفتح القسـي في الفتح القدسـي، ص193 – 194؛ أبو شـامة، الروضتين في أخبار الدولتين، 4/118؛ شاندور، ألبير، صلاح الدين الأيوبي، ص306.

149 – أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، 4/160.

150 – رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 3/62.

151 – نفس المرجع، 3/63.

152 – شاندور، ألبير، صلاح الدين الأيوبي، ص304؛ ماير، هانس أبراهارد، تاريخ الحروب الصليبية، ص200.

153 – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 10/78؛ ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص140.

154 – العماد الأصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، ص196؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 10/79؛ ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص140 – 141.

155 – العماد الأصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، ص196 – 198؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 10/78 – 88؛ ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص140 – 141؛ أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، 4/122.

156 – العماد الأصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، ص202 – 204؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 10/80؛ ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص142 – 143؛ أبو شامة، الروضين في أخبار الدولتين، 4/123 – 124؛ طقوش، محمد سهيل، تاريخ الأيوبيين، ص181؛ شاندور، ألبير، صلاح الدين الأيوبي، ص286.

157 – العماد الأصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، ص204؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 10/80، طقوش، محمد سهيل، تاريخ الأيوبيين، ص181.

158 – العماد الأصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، ص205 – 206؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 10/76 – 80؛ طقوش، محمد سهيل، تاريخ الأيوبيين، ص181.

159 – العماد الأصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، ص196؛ ابن واصل، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، 2/307.

160 – حسين، محسن محمد، الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين، ص440.

161 – العماد الأصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، ص214؛ ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص152.

162 – أبـو يوسـف يعقوب بن يوسـف المنصور بـالله بن عبد المؤمن، ثالـث خلفاء دولة الموحديـن، بويـع لـه بالأمر فـي حياة أبيه، تولـى قيادة دولـة الموحدين بعد وفـاة والده 580هـ/1184م، وعمره 32 سـنة، فملك المغرب والأندلس، حكم لمـدة 15 عاماً، كان كثير الجهـاد، وكان يؤم الناس في الصلوات الخمس، وتوفي عام 595هـ/1198م في مدينة سـلا، عن عمر يناهز 48 عاماً، ابن كثير، البداية، 16/687، أبو الفداء، المختصر، 3/96.

163 – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 4/190 – 205؛ رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 3/62.

164 – عـن اتصـال صلاح الديـن الأيوبي بسـلطان الموحدين انظر: عبد الحميد، سـعد زغلول، العلاقة بين صلاح الدين وأبي يوسف يعقوب المنصور، بحث منشور، مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، عدد 3، مطابع رمسيس، الإسكندرية: مصر، 1952 – 1953م؛ التازي، عبد الهادي، سفارة السلطان صلاح الدين الأيوبي إلى الخليفة أبي يوسف يعقوب المنصـور، الأكاديميـة، العـدد (11)، 1994م، ص105 – 131؛ خلـف الله، ابتسـام مرعي، العلاقات بين الخلافة الموحدة والشرق الإسلامي، ص147 – 165.

165 – للمزيد انظر: سيسالم، عصام سالم، جزر الأندلس المنسية، التاريخ الإسلامي لجزر البليار، ط: الأولى، دار العلم للملايين، بيروت: لبنان، 1984م.

166 – حسين، محسن محمد، الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين، ص445.، رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 3/62.

167 – يعقـوب الفيتري، تاريخ بيت المقدس، ص160 – 161؛ رانسـيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 3/63.

168 – شـاندور، ألبيـر، صلاح الديـن، ص285؛ ماير، هانس أبراهـارد، تاريخ الحروب الصليبية، ص201.

169 – يقول رانسيمان: في هذا الصدد، عن صلاح الدين: «مرة أخرى جاوز حلم صلاح الدين حد الحكمة»، تاريخ الحملات الصليبية، 3/69.

170 – ابن شـداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص186؛ شاندور، ألبير، صلاح الدين، ص311.

171 – العمـاد الأصفهانـي، الفتح القسـي في الفتح القدسـي، ص196؛ ابن شـداد، النوادر

السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص138 – 139؛ حسين، محسن محمد، الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين، ص451.

172 – العماد الأصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، ص194؛ رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 3/68؛ شاندور، ألبير، صلاح الدين الأيوبي، ص311.

173 – يعقوب الفيتري، تاريخ بيت المقدس، ص163؛ رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية 3/73؛ ماير، هانس أبراهارد، تاريخ الحروب الصليبية، ص204.

174 – المصادر العربية تقول أن وصوله كان بتاريخ 12 ربيع الأول 587هـ/9 مايو 1191م، العماد الأصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، ص250، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 10/94؛ أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، 4/242.

175 – العماد الأصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، ص250، ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص193، أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، 4/242، يعقوب الفيتري، تاريخ بيت المقدس، ص163، رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 3/73،74، نوري، دريد، سياسة صلاح الدين في بلاد الشام، ص329؛ ماير، هانس أبراهارد، تاريخ الحروب الصليبية، ص201.

176 – العماد الأصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، ص252؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 10/94. ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص195؛ أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، 4/246، يعقوب الفيتري، تاريخ بيت المقدس، ص164، 165؛ طقوش، محمد سهيل، تاريخ الأيوبيين، ص183؛ حسين، محسن محمد، الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين، ص457؛ شاندور، ألبير، صلاح الدين الأيوبي، ص320.

177 – النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص199.

178 – يعقوب الفيتري، تاريخ بيت المقدس، ص163، حاشية 3، رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 3/73؛ باركر، إرنست، الحروب الصليبية، ص89؛ وهذه كانت أولى نتائج الحملة الصليبية الثالثة، أنها أضافت لها قبرص التي يمكن أن تكون قاعدة خلفية للصليبيين إذا تعرضوا لهزائم أمام المسلمين، الزيدي، مفيد، تاريخ الحروب الصليبية، ص80.

179 – العماد الأصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، ص251 – 252؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 10/94 – 95؛ ابن شداد، االنوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص200؛

مجهول، الحرب الصليبية الثالثة، 2/9 – 12؛ نوري، دريد، سياسة صلاح الدين في بلاد الشام، ص329؛ رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 3/73.

180 – يقول ابن الأثير إنهم كانوا سبعمائة مقاتل، الكامل في التاريخ، 10/95.

181 – العماد الأصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، ص256؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 10/95؛ ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص200 – 201؛ أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، 4/247 – 249؛ يعقوب الفيتري، تاريخ بيت المقدس، ص164؛ حسين، محسن محمد، الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين، ص455؛ شاندور، ألبير، صلاح الدين الأيوبي، ص323.

182 – رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 3/86، أبراهارد ماير، تاريخ الحروب الصليبية، ص202.

183 – عاشور، سعيد عبد الفتاح، قبرص والحروب الصليبية، ط: الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة: مصر، 2002م، ص29 – 30.

184 – مجهول، الحرب الصليبية الثالثة، 2/9 – 12؛ نوري، دريد، سياسة صلاح الدين في بلاد الشام، ص329.

185 – ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص204 – 206؛ حسين، محسن محمد، الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين، ص457 – 458.

186 – حسين، محسن محمد، الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين، ص456.

187 – عن ذلك انظر: العماد الأصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، ص263 – 264؛ ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص204 – 207 – 208؛ يعقوب الفيتري، تاريخ بيت المقدس، ص164 – 165 – 185؛ رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 3/86 – 87.

188 – شاندور، ألبير، صلاح الدين الأيوبي، ص328.

189 – ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص201 – 209؛ شاندور، ألبير، صلاح الدين الأيوبي ص326 – 327؛ رستون، جيمس، مقاتلون في سبيل الله، ص259.

190 – ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص210؛ أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، 4/255؛ حسين، محسن محمد، الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين،

ص459 – 460؛ طقوش، محمد سهيل، تاريخ الأيوبيين، ص185؛ شاندور، ألبير، صلاح الدين الأيوبي، ص327.

191 – ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص210؛ أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، 4/255؛ حسين، محسن محمد، الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين، ص460؛ طقوش، محمد سهيل، تاريخ الأيوبيين، ص185.

192 – العماد الأصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، ص266؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 10/95؛ ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص212؛ أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، 4/256، 257؛ حسين، محسن محمد، الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين، ص460؛ طقوش، محمد سهيل، تاريخ الأيوبيين، ص185 – 186.

193 – العماد الأصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، ص266؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 10/95 – 96؛ ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص212؛ أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، 4/257؛ حسين، محسن محمد، الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين، ص460.

194 – العماد الأصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، ص265؛ ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص214 – 215؛ حسين، محسن محمد، الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين، ص461؛ طقوش، محمد سهيل، تاريخ الأيوبيين، ص186.

195 – ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص216؛ حسين، محسن محمد، الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين، ص462؛ طقوش، محمد سهيل، تاريخ الأيوبيين، ص186؛ رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 3/89.

196 – العماد الأصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، ص269؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 10/96 – 97؛ ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص216؛ يعقوب الفيتري، تاريخ بيت المقدس، ص165؛ رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 3/89.

197 – العماد الأصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، ص270؛ ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص216؛ أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، 4/262؛ مجهول، الحرب الصليبية الثالثة، 2/37 – 39؛ حسين، محسن محمد، الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين، ص462؛ طقوش، محمد سهيل، تاريخ الأيوبيين، ص186؛ شاندور، ألبير، صلاح الدين الأيوبي، ص329 – 330.

198 – رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 3/89.

199 – العماد الأصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، ص270؛ ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص216؛ أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، 4/263؛ مجهول، الحرب الصليبية الثالثة، 2/37 – 39؛ حسين، محسن محمد، الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين، ص462؛ رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، ص89؛ شاندور، ألبير، صلاح الدين الأيوبي، ص329 – 330.

200 – انظر الرسائل التي كتبها العماد الأصفهاني، وأرسلها إلى الأطراف، العماد الأصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، ص270 – 280، المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي، (ت: 845هـ/1441م)، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت: لبنان، 1418هـ – 1997م، 1/105.

201 – العماد الأصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، ص270؛ ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص218؛ أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، 4/264؛ حسين، محسن محمد، الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين؛ ص462، طقوش، محمد سهيل، تاريخ الأيوبيين، ص186؛ رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 6/89.

202 – ماير، هانس أبراهارد، تاريخ الحروب الصليبية، ص200

203 – ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص217؛ شاندور، ألبير، صلاح الدين الأيوبي، ص330.

204 – تاريخ الحروب الصليبية، ص203.

205 – رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 3/90.

206 – نفس المرجع، 3/89 – 90.

207 – والذي صرح بأنه ينبغي أن يتدبر أمر أراضيه هناك، لكنه في الحقيقة الأمر كان عازفاً عن الخدمة في جيش يسيطر عليه ريتشارد، رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 3/90.

208 – مجهول، الحرب الصليبية الثالثة، 2/39 – 42؛ رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 3/90؛ ماير، هانس أبراهارد، تاريخ الحروب الصليبية، ص205.

209 – ابــن الأثير، الكامل في التاريــخ، 10/97؛ مجهول، الحرب الصليبية الثالثة، 2/39 – 42؛ طقوش، محمد سهيل، تاريخ الحروب الصليبية، ص506؛ رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، ص91.

210 – كانــوا يرغبــون في التأكــد هل هو الصليب الحقيقي، أو نقل إلى بغداد، ابن شــداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص219.

211 – رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 3/91.

212 – طلب صلاح الدين أن يضمن الداوية ذلك، لأنهم أهل تدين، فراســلهم صلاح الدين في ذلك، فقال الداوية: لا نحلف ولا نضمن لأننا نخاف غدر من عندنا، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 10/97.

213 – العمــاد الأصفهانــي، الفتح القســي في الفتــح القدســي، ص277 – 278؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 10/97، ابن شــداد، النوادر ابن شــداد، النوادر الســلطانية والمحاســن اليوســفية، ص220، يعقوب الفيتري، تاريخ بيت المقدس، ص16؛ طقوش، محمد ســهيل، تاريخ الحروب الصليبية، ص503؛ رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 3/91.

214 – العماد الأصفهاني، الفتح القســي في الفتح القدســي، ص278؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 10/97 – 98؛ ابن شــداد، النوادر الســلطانية والمحاسن اليوسفية، ص221 – 222؛ يعقوب الفيتري، تاريخ بيت المقدس، ص16؛ رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 3/92.

215 – رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 3/92.

216 – نفس المرجع، نفس الصفحة.

217 – العماد الأصفهاني، الفتح القســي في الفتح القدســي، ص278؛ ابن الأثير، الكامل في التاريــخ، 10/97 – 98؛ يعقــوب الفيتــري، تاريخ بيت المقدس، ص16؛ رانســيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 3/91.

218 – تاريخ الحروب الصليبية، ص205.

219 – تاريخ الحملات الصليبية، 3/92.

220 – تاريخ الحروب الصليبية، ص205.

221 – للمزيد عن مذبحة تل العياضة، انظر: رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 3/40.

222 – الحدم، بشير، مواقف بعض القوى الإسلامية المساندة للغزو الصليبي في بلاد الشام ومصر، ص164 – 165.

223 – ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص113.

224 – أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، 4/90.

225 – نفس المصدر، نفس الصفحة.

226 – أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، 4/82؛ ابن واصل، مفرج الكروب، 2/294.

227 – رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 3/65؛ شاندور، ألبير، صلاح الدين الأيوبي، ص310.

228 – ماير، هانس أبراهارد، تاريخ الحروب الصليبية، ص202.

229 – إبراهيم، نعيمة، آسيا الصغرى والحروب الصليبية، ص241.

الفصل الخامس:

دراسة مقارنة لحصار الصليبيين للمدن الإسلامية في بلاد الشام

سيتناول هذا الفصل دراسة مقارنة، بين عمليات الحصار في المدن الإسلامية في بلاد الشام، سالفة الذكر، أنطاكية، بيت المقدس، دمشق، عكا، وقد تم تقسيمه إلى خمسة مباحث، نتناول في المبحث الأول الموقع الجغرافي للمدن المحاصرة، والحصانة الطبيعية والصناعية للمدينة، والظروف الجوية السائدة وقت الحصار، ثم ندرس في المبحث الثاني المدة الزمنية لكل حصار، والمبحث الثالث يتكلم عن أدوات الحصار العسكرية، وتكتيكاته وأساليبه، ثم نتكلم في المبحث الرابع عن الدعم اللوجستي، والفئات التي أسهمت به، وتباين مقاومة الطرفين، والمبحث الخامس يتكلم عن المحاولات الدبلوماسية خلال أحداث الحصار.

واقع الأمر، أنه يواجه الباحث عند دراسة حصار المدن المذكورة في الدراسة والمقارنة بينهما صعوبة خاصة، إذ يحتاج هذا إلى البحث في المصادر المعاصرة والمتأخرة، والمراجع المتخصصة، من أجل الحصول

على كل شـــاردة وواردة، والمقارنة تشابهاً واختلافاً بينهم، خاصـة أن مؤرخي ذلك العصر لم يرصدوا لنا ذلك الجانب.

مــن ناحية أخرى يتطلب الأمر، البحث عن نظرية تفســيرية لسـقوط تلك المدن، وفي هذه الحالة يتبنى الباحث التفسير الجغرافي، وكذلك نظرية التحدي والاستجابة، التي ابتدعها المؤرخ البريطاني أرنولد توينبي Arnold Toynbee (1306 – 1395هـ / 1889 – 1975م)، الذي تتلمذ على أفكار ابن خلدون (732 – 818هـ / 1332 – 1406م).

المبحث الأول:

الموقع الجغرافي والحصانة الطبيعية والظروف الجوية للمدن المحاصرة

كان للموقع الجغرافي، والتضاريس، والعوامل الطبيعية أثرها في حصار المدن، فالمواقع الحصينة للمدن، ووقوعها بين الجبال المرتفعة، والأنهار، والوديان، والأحراش، والمستنقعات، عزز ذلك ثباتها وصمودها، وفي بعض الأحيان كان غطاء للمحاصرين.

فإذا نظرنا إلى موقع مدينة أنطاكية؛ فإنها مدينة داخلية غير ساحلية، إلا أنها على مقربة جداً من البحر الأبيض المتوسط، وموانئ السويدية واللاذقية، مما يجعل وصول المؤن إليها عن طريق البحر أمراً ممكناً وميسوراً.

كذلك وهب الله تعالى مدينة أنطاكية حصانة طبيعية، فالمدينة محاطة بالجبال العالية من جهتي الجنوب والشرق، ومحاطة أيضاً من الشمال بمستنقعات وأحراش، وفوق هذه الحماية الطبيعية؛ فهي محاطة بأسوارٍ عالية من كل جانب، وعلى هذه الأسوار ثلاثمائة وستون برجاً[1] للمراقبة، وإطلاق

السهام، والرماح والقذائف المشتعلة، فضلاً عن قلعة حصينة جدّاً من الصعب أن تُقتحم؛ بني فوق سفح جبل سيلبيوس[2]، فأنطاكية عبارة عن قلعة من صنع الطبيعــة، ومن أحصن مــدن الشام، بل من أحصن مــدن العالم آنذاك، وكانوا يقارنــون حصانتها بحصانة القســطنطينية، وتمثل حصناً لا يمكن الاســتيلاء عليه بسهولة من الخارج[3].

ويحد أنطاكية من الشرق حلب، وبينهما مدن وقلاع وحصون كثيرة، لعبت دوراً مهماً أثناء حصار أنطاكية[4].

ولهذه الأســباب لم تســقط أنطاكية بســهولة، فقد دام حصارها نحو ثمانية أشهر، ولولا الخيانة لما سقطت بهذه السهولة، كما أشرنا من قبل.

وفي مقدورنا القول؛ إن الجغرافيا حينذاك تقاوم الصليبيين، لكن مع الخيانة، أمكن إخضاع أنطاكية لسيطرة الغزاة.

أمــا بالنظر لحصار بيت المقدس فالموقــع الجغرافي، والحصانة الطبيعية والصناعية للمدينة، مشابهة لمدينة أنطاكية، فهي مدينة داخلية غير ســاحلية، تقــع بيــن البحر الميت من الشرق، والبحر المتوســط من الغــرب، وتبعد عن البحر الميت 18 ميلاً، وعن البحر الأبيض المتوسط 32 ميلاً.

فبيــت المقــدس في حدّ ذاتهــا تعتبر من أكبر المعاقــل، والحصون، وقعت بيــن أودية؛ وليس جبالاً كما في أنطاكية، فأســوارها تكــاد تكون عصيّة على الاختــراق أو الاجتيــاز، إضافة إلــى ذلك تظل بيت المقــدس عصيّة على أي هجــوم من جهاتها الثلاث؛ مــن الشرق والجنوب الشرقــي، حيث يلفّها وادي قدرون أو وادي جهنم، ومن الجنوب حيث يلفها وادي هنّوم أو وادي الربابة،

ومـن الغرب حيـث يلفها وادي الروث أو وادي تيروبيـون، فهي إذاً محصنة بتحصينـات طبيعية، إضافة إلى ما تمنحها أسـوارها وحصن داود الواقع في منتصف السور الغربي؛ والذي يسيطر على جزء كبير من محيط المدينة، من مناعة وقوة[5].

كانت بيت المقدس من الممكن ألا تسـقط بيد الصليبيين بهذه السـرعة، بعد 39 يوماً من الحصار، بسـبب موقعها الاسـتراتيجي وحصانتها، ولكن بسبب الـروح المعنوية العالية لدى الصليبيين، بعد انتصارهم في أنطاكية، وإخضاع المدن التي تقع على الطريق من أنطاكية إلى بيت المقدس لسيطرتهم.

كمـا لا نغفل أن وضعهـا الديني وقداسـتها، كانت تجعـل المدافعين عنها تغمرهم الحماسة الدينية، في سبيل عدم وقوعها في أيدي الغزاة، فهي لا تقارن دينياً بأنطاكية.

فـي حصار دمشق، كانت الأحراش والبسـاتين غطاء للمحاصرين، حيث انتشر الصليبيون في البساتين والحدائق، الواقعة إلى الجهة الجنوبية من دمشق المعروفة باسـم الميدان الأخضر، نظراً لما تؤمنه لهم من حماية بسـبب كثافة الأشجار[6].

أما موقع مدينة عكا الاسـتراتيجي، على ساحل بحر المتوسط، فكان نعمة ونقمـة علـى المدينة في آن واحـد، نعمة لانفتاحه علـى المناطق الأخرى في العالـم، وهذا سـاعد على التبادل التجاري، والاحتكاك الحضاري بين سـكان عكا والعالم الخارجي، ونقمة لأنه عرض المدينة لأطماع الطامعين[7].

وكان الوصول لعكا شاقّاً، لا سيّما إحاطتها بالأسوار، والدفاعات الطبيعيّة

من الجبال والتلال، حيث تحدُّها من الشمال رأس الناقورة، ومن الجنوب جبل الكرمل، ومن الشرق يحدّها سفوح جبال الجليل ومُستنقعات نهر النعامين، وطُلّت سواحلها الغربيّة على البحر المُتوسّط، وكان هذا الموقع الاستراتيجي للمدينة، سبباً في إطالة مدة الحصار، الذي وصل إلى نحو سنتين (1189 – 1191م / 585 – 587هـ)، خاصة أن موقعها الساحلي، سمح للدعم البحري الصليبي، من الغرب الأوروبي للقدوم.

أما بالنسبة إلى الظروف المناخية، فكان لها تأثير واضح في مسألة الحصار، فمناخ بلاد الشام يتبع مناخ البحر المتوسط، الحار الجاف صيفاً، والبارد الممطر شتاءً، إذ اتسمت العمليات العسكرية، المصاحبة لعمليات حصار المدن، بطابع موسمي؛ إذ تصاعدت وتيرتها عند اعتدال المناخ، أما في فصل الشتاء فتزداد البرودة، فتكون العمليات العسكرية شاقة، نظراً لنزول الثلوج، ويخلد الجميع للراحة، كما حصل في حصار عكا، وكان أنسب الأوقات للحملات العسكرية وحصار المدن، يمتد من بداية الربيع إلى قبيل قدوم الشتاء، وتعتبر شهور فصل الربيع (مارس – أبريل – مايو) ملاءمة لحصار المدن، أما أصعب الفصول لعملية حصار المدن هو فصل الصيف، بسبب الجفاف وارتفاع درجة الحرارة، وما تسببه للجند من ضيق وضجر وإرهاق، كما حصل في حصار بيت المقدس في شهري (يونيو ويوليو)، مما دعا الصليبيين في الاستعجال لإسقاط المدينة، وكذلك في حصار دمشق في شهر (يوليو)؛ وكان من أحد أسباب فشل الحصار.

أما حصار أنطاكية فكان في فصول (الخريف – الشتاء – الربيع)، خاصةً أن الحصار بدأ في 12 ذو القعدة 490هـ / 21 أكتوبر 1097م، وقد دخلت الأشهر الباردة، وكان فصل الشتاء صعباً على المحاصرين، حيث انخفاض درجات

الحرارة، وتساقط الثلوج، وهطول الأمطار، وهبوب الرياح، وهم في العراء يعانون الجوع والبرد، حيث قلت المؤن، وانتشرت الأمراض والأوبئة، وتحولت الأرض إلى أوحال؛ مما جعل الحركة شاقة، ولم يتحسن الوضع إلا بعد دخول فصل الربيع، فزادت وتيرة الأعمال العسكرية؛ لإسقاط المدينة قبل دخول فصل الصيف، حيث سقطت المدينة في 29 جمادى الآخرة 491هـ / 3 يونيو 1098م.

أما حصار عكا فكان له وضع آخر، حيث استمر الحصار لمدة عامين تقريباً، فمرت على المحاصرين والمحاصرون جميع فصول السنة، فكانت العمليات العسكرية تنخفض في فصل الصيف، وتتوقف في فصل الشتاء، وتستأنف في فصل الربيع والخريف، على نحو أرهقهم، خاصة مع إصرار كل طرف على تحقيق النصر.

لقد تأكد؛ كيف أن الجغرافيا توجه التاريخ، وما التاريخ إلا الصراع على الجغرافيا، ومع ذلك ليس الهدف من المبحث المذكور؛ أن نقع في أسر الحتمية الجغرافية، دون إدراك أهمية دور العامل البشري، في إخضاع الجغرافيا لتحقيق أهدافه.

المبحث الثاني:

المدة الزمنية للحصار

فيمـــا يتصل بالمدد الزمنية التي اســتغرقها حصـــار المدن، فقد اختلفت من مدينة إلى أخرى، فمنها ما استمر حصارها أياماً معدودة، مثل دمشق، وأخرى احتاج إلى أســابيع وشــهور حتى ســقطت، مثل دمشق (5 أيــام فقط) وأقصر حصـــار، وبيت المقدس (39) يوماً، وأنطاكية ثمانية شــهور تقريباً [226] يوماً، كما أن بعض المدن اســتمر حصارها أعواماً، مثل عكا الذي استمر حصارها عامين تقريباً (685) يوماً، حيث نجح حصار الصليبيين لمدينة أنطاكية، والذي اســتمر قرابة ثمانية أشهر، من يوم الأربعاء 12 ذو القعدة 490هـ / 21 أكتوبر 1097م، وحتى سقوط المدينة يوم الخميس 29 جمادى الآخرة 491هـ / 3 يونيو 1098م، بعد صمودها لمدة (226 يوماً)، وبدون الخيانة ما كان لها أن تسقط.

أما حصار بيت المقدس (492هـ / 1099م) فقد اســتمر 39 يوماً، وســقطت المدينة نتيجة عدة عوامل، تمت الإشارة إليها.

في حين أخفق الصليبيون في الاستيلاء على دمشق عام (543هـ / 1148م)، بعد حصار لمدة خمسة أيام، وهي أقصر مدة حصار، في عصر الحروب الصليبية، وقد أوردنا في الفصل الخاص بها، أسباب ذلك.

بينما قاومت عكا الصليبيين، خلال الحملة الصليبية الثالثة (585 – 587هـ / 1189 – 1191م)، مدة عامين، واستسلمت للصليبيين بعد نحو عامين من الحصار، وهي أطول مدة حصار، مقارنة بالمدن الثلاث، وعلى مدى قرني عصر الحروب الصليبية، لذلك وصف المؤرخ البريطاني البارز السير إرنست هانز جوزيف غومبريتش حصارها بأنه أسطوري، يشبه حصار طروادة.

وإذا نظرنا في تعليل طول مدة حصار عكا نحو عامين، فذلك يرجع إلى عوامل متعددة، خاصة بالمسلمين، وخاصة بالصليبيين، وللمجهود الكبير الذي بذله كل طرف، من أجل إخضاع جوهرة الساحل الشامي، ذات الميناء الصالح لرسو السفن طوال العام، حيث إن حصار عكا كان له وضع خاص، حيث حصار الصليبيين لعكا، وحصار صلاح الدين للصليبيين، فكان هناك حصار على حصار[8]، كذلك كان الوضع في أنطاكية شبيه بذلك، حيث في المرحلة الأولى حصار الصليبيين المسلمين في أنطاكية، وبعد ذلك بعد سقوط المدينة، حاصر المسلمون الصليبيين الموجودين في أنطاكية، فكان حصار على حصار.

كما أن المخزون الاحتياطي التمويني لبعض المدن كان كبيراً، مما أدى إلى إطالة مدة الحصار، كما حصل في حصار أنطاكية، عندما قام ياغي سيان حاكم أنطاكية، بتخزين المؤن الكافية، التي تكفي الحياة في المدينة لمدة

طويلة من الزمن[9]، وهو أمر محوري للغاية، جعل المدافعين داخلها يقاومون بشراسة، بينما عانى الصليبيون مشكلة نقص المؤن والإمدادات.

بالإضافة إلى الثراء الذاتي لتلك المدن، وهي مدن وقعت على خطوط التجارة العالمية، من الشرق والغرب، ولا ننسى أيضاً أن عصر الحروب الصليبية، وصف بأنه عصر الثورة التجارية (1100 – 1400م)، الذي حدثت فيه طفرة كبيرة، من التعاملات التجارية، فكان ثراء تلك المدن عاملاً مهماً للطرفين، فالمحاصَرون قاوموا بشراسة، والأعداء هاجموا بعنف كي تسقط.



المبحث الثالث:

أدوات الحصار والخطط العسكرية وأساليبها

شهدت حقبة الحروب الصليبية، تنوعاً في استخدام آلات، وأسلحة الحصار الهجومية والدفاعية، وتطورت أدوات، وفنون، وتكتيكات الحصار، نتيجة الاحتكاك العسكري شبه المتواصل، بين المسلمين والصليبيين والبيزنطيين، واستفاد قادة الجيش لدى الطرفين من تلك التطورات والأحداث.

خلال حصار أنطاكية؛ لم يكن لدى الصليبيين أي أدوات للحصار، حيث إنهم لم يجلبوا معهم أي آلات حصار، ربما يرجع ذلك؛ إلى أنه ليس لديهم خبرة سابقة، بعمليات حصار المدن، وكذلك لم يقوموا طوال فترة بقائهم أمام أنطاكية، بإنشاء آلات للحصار؛ سوى السلالم التي استخدموها في التسلق للأبراج واقتحام المدينة.

كذلك كان الحال عندما تحركوا من أنطاكية إلى بيت المقدس، فلم يكن لديهم أي آلات للحصار؛ عند وصولهم إلى بيت المقدس في المرحلة الأولى

من الحصار، حتى حينما قرر القادة الصليبيون الهجوم على المدينة، في اليوم السادس للحصار، فجر يوم الاثنين 21 رجب 492هـ / 13 يونيو 1099م[10]، لكنهم بعد مرور بضع ساعات من القتال انهزموا، والواقع أن فشل الهجوم يعود إلى قلة السلالم؛ اللازمة لتسلق السور الذي احتلوه[11].

لكنهم بعد ذلك قرروا الإسراع في إنشاء ما يحتاجونه من آلات التدمير والاقتحام، وأهمها المجانيق وسلالم التسلق، ودبروا أمر الأخشاب من المناطق البعيدة عن بيت المقدس، حيث قاد رجل سرياني الصليبيين إلى وادٍ منعزل، يبعد عن بيت المقدس مسافة سبعة أميال (11 كم)، حيث نمت الأشجار الطويلة فيه[12]، وكذلك استخدموا أخشاب أسقف منازل ببيت لحم بعد هدمها، وحملت السفن القادمة من جنوة إلى ميناء يافا، المواد اللازمة لصناعة آلات الحرب، فشرع العمال الحرفيون في إعداد آلات الحرب اللازمة، من مجانيق وآلات دك الأسوار التي تسمى: (الدبابة – القطط – الكباش – المدك)، كما صنعوا أبراجاً خشبية، مما ساهم في إسقاط بيت المقدس بعد ذلك.

أما في حصار دمشق، فكانت مدة الحصار قصيرة، خمسة أيام فقط، لم تكن هناك عمليات حربية كثيرة، كما في بقية المدن.

قام الصليبيون بقطع الأشجار، من البساتين والحدائق، الواقعة إلى الجهة الجنوبية المعروفة باسم الميدان الأخضر، والتحصن بها، وراحوا يغرزون متاريس الحسائك الخشبية من الأشجار التي كانوا يقطعونها، وهدم القناطر[13].

أما في حصار عكا؛ فأول عمل قام بها الصليبيون عند وصولهم لعكا، بأن حفروا خندقاً حول معسكرهم، ثم حوّلوا الماء إلى الخندق حتى امتلأ، وهكذا أصبح معسكرهم محاطاً بالخندق من جهة، وبأسوار المدينة من جهة

أخــرى، حيث حصروا أنفســهم في بقعــة معينة من الأرض تقع بين أســوار مدينة عكا، والخندق المائي بغرض حماية أنفســهم من جيش صلاح الدين من جهة، وقطع الطريق على المســلمين من دخول المدينة وتقديم المســاعدة لها، ومهاجمة أسوار المدينة من جهة أخرى[14].

كمــا قــام الصليبيون أمام عكا، بصنع ثلاثة أبراج مــن الخشب عالية جداً، طول كل برج منها في الســماء ســتون ذراعاً، وهي مركبة على عجل يســع الواحد منها من المقاتلة ما يزيد على خمسمائة جندي، وعملوا كل برج خمس طبقات، وســمروها بالحديد، وألبسوها الجلود المسقاة بالخل، بحيث تمنع النار من إحراقها[15].

كما صنــع الصليبيون أمام عكا آلات الحربية، من مجانيق، وتم اســتخدام هــذه الآلة بكثــرة في حصار عكا، مما ســاهم في ســرعة استســلام المدينة، وســقوطها بيد الصليبيين، كما قاموا بإعداد آلات دك الأسوار ونقبها، بغرض تدمير الأســوار، تسمى: (الدبابة – القطط – الكباش – المدك)، أعانتهم على عمليات الحصار، وصنعوا آلة أخرى تسمى قبو.

ومن أهم الأسلحة التي استخدمت في عصر الحروب الصليبية:

المنجنيــق: آلة حربية قاصفة تســتخدم لقذف كتل حجريــة وقطع حديدية، وســهام ورماح ومــواد حارقة، بهدف تقويض الأســوار وتدمير التحصينات، وهــدم المبانــي وحــرق الأبــراج، وهو أشــبه بســلاح المدفعية فــي العصر الحديــث، ومنها البري ومنها البحري، وتتنوع المنجنيقات بحســب أغراضها واســتخداماتها، فمنها ما يســتخدم لقذف الأحجار، ومنها ما يستعمل في رمي المقذوفــات النفطية والكــرات النارية، ومنها ما كان يقذف الســهام والرماح،

ومنها ما هو لقـذف العقارب والأفاعي والحيوانات الميتة والقاذورات، ومنها ما يستخدم في إغراق السفن[16].

الدبابة: آلة حربية متحركة وساترة، لها عدة مسميات، حسب الاستخدام، منها (الدبابة – القطط – الكبابيش – المدك)، وتتخذ للهجوم وهدم الحصون، وتصنع من الخشب والجلود، وتركب لها عجلات، وتصنع على شكل تجويف مربع، يحتمي بداخلها النقابون، الذين يقومون بنقب الجدران، بآلاتهم ومعداتهم عند التحامها بالأسوار، وسميت بالدبابة لأنها تدب على الأرض حتى تصل إلى الأسوار، كما تسمى بالزاحفة لزحفها على الخنادق، وأسوار الحصون بعجلاتها المستديرة، كما تسمى في المغرب بالقطط (سنورة) لأنها تمشي كمشية القطط عند سرقتها للحم، وتنشب كلاليبها الحديدية بالأجزاء البارزة للأسوار، حيث يدخل تحتها من المقاتلة خلق عظيم، وهي ملبسة بصفائح الحديد، ولها من تحتها عجلات تتحرك عليها، وفيها المقاتلة، وتسمى بآلة الكبش إذا زودت بقرنين حديديين حادين، شبيهين بقرني رأس الكبش لنطح الجدران، ويطلق عليها المدك، لاستخدامها في هجمات متكررة لدك الأسوار، والتحصينات، وأبواب الحصون والقلاع[17].

آلة تسمى قبو، فيها رجال لغرض سحبها، إلاّ أن رأسها محدد على شكل السكة التي يحرث بها، ورأس البرج مدور، وهذا يهدم بثقله، وتلك تهدم بحدّتها وثقلها وهي تسمى سنورة (القطة).

الأبراج: تعتبر الأبراج الخشبية المتحركة من أهم حيل وأدوات الحصار، وعادة ما يتكون البرج من طوابق متعددة، تعلو على الأسوار التي سيتم مهاجمتها، ويشحن البرج بالمقاتلة والرماة، ومنصات لإطلاق قذائف

المنجنيقـات، وسـلالم وجسـور للعبور إلى الأسـوار، ويتم تحريـك الأبراج ودفعها نحو أضعف دفاعات الأسـوار، بواسـطة بكرات مسـتديرة مثبتة في أسـفل الأبـراج، وعادة مـا تكون عالية جـداً، وبعضها يسـع الواحد منها من المقاتلة ما يزيد على خمسمائة جندي، وقد سمروها بالحديد، وألبسوها الجلود المسقاة بالخل، بحيث تمنع النار من إحراقها[18].

النـار الإغريقية: هي مزيـج مركب من مواد كيماويـة وزيت ونفط وقار وكبريـت، وتعتبر مـن أهم الوسـائل الدفاعية عن المـدن المحاصرة، وعادة مـا توضع في أوعية فخارية أو أنابيب نحاسـية أو في رأس السـهام، وتقذف بالأيدي والأقواس أو براجمات القذائـف، فتحرق السفن والأبراج والمنجنيقات والسلالم والخيام وسائر معدات الحصار[19].



المبحث الرابع:

الدعم اللوجستي والفئات التي أسهمت به وتباين مقاومة الطرفين

تطلب حصار المدن؛ سـواء للمحاصَرين والمحاصِريـن، تكاليف طائلة، وسـيولة نقدية هائلة، لتوفير المواد التموينية وأسلحة الحصار، وأجور النقل، وتزايدت النفقات عند تشديد الحصار براً وبحراً، وفي عمليات الحصار طويلة الأمد، كما حصل خلال حصار عكا (585 – 587هـ / 1189 – 1191م).

سـاهم الملوك والأمراء المسلمون والصليبيون؛ في تحمل كثير من نفقات الحصـار من مـوارد ممالكهم وإماراتهم، أو من أموالهـم الخاصة ومداخيلهم الإقطاعيـة، بالإضافـة إلـى عمليات نهب وسـلب المناطق الريفيـة المحيطة بالمدن المحاصرة، كما كان في حصار أنطاكية؛ عندما قام الصليبيون بسـلب ونهب القرى المجاورة لأنطاكية، كما أن غنائم المدن الإسلامية التي تم فتحها في آسـيا الصغرى مثل مدينة نيقية؛ غطت جزءاً من تكاليف عمليات حصار المدن الشامية.

اعتمد الصليبيون على الدعم المادي من الغرب الأوروبي، وقدمت المدن الإيطالية خاصة مدينتي جنوة وبندقية وبيزا، معونات سخية في حروب الحصار، وخاصة خلال حصار مدينة عكا، مقابل التمتع بامتيازات معينة في المدن المفتوحة.

يضاف إلى ذلك المعونات والمساعدات التي قدمتها الإمبراطورية البيزنطية، والمسيحيون الشرقيون للصليبيين، كما حصل في حصار أنطاكية، وكانت الدولة البيزنطية، تشارك في حصار أنطاكية بسرية بيزنطية، على رأسها قائد محترف هو تاتيكيوس؛ وذلك لكي يحفظ حق الدولة البيزنطية في المدينة بعد سقوطها[20].

من الملاحظ؛ أن الصليبيين وجدوا دعماً لوجستياً، من بعض القوى الإسلامية المحلية الصغيرة، مثل شيزر إمارة بني منقذ، التي لم يكن من الممكن لها أن تواجه قوة الصليبيين، كما رأينا خلال تحرك القوات الصليبية من أنطاكية إلى بيت المقدس.

كما ساهمت العديد من الفئات الاجتماعية، والدينية، في حروب الحصار لدى الصليبيين والمسلمين على السواء، فبعض الفئات المسيحية الشرقية مثل الموارنة، قامت بدور كبير؛ في إسقاط المدن الشامية بأيدي الصليبيين، كما قاموا بدور الأدلاء والمرشدين للصليبيين إلى أماكن المؤن وينابيع المياه خلال حصار أنطاكية، وغابات الأخشاب خلال حصار بيت المقدس، وشارك الحجاج الغربيون إخوانهم الصليبيين في حصار المدن الشامية أثناء وجودهم في الأراضي المقدسة، مثل ما حصل خلال حصار بيت المقدس، وقدموا لهم خبرات ومعونات بشرية ومادية وعسكرية، ولعبت القوى البحرية الأوروبية، وخصوصاً الإيطالية والصقلية؛ دوراً بالغ الأهمية في محاصرة مدن الساحل

الشامية وإسقاطها؛ نتيجة امتلاكها للأساطيل والخبرات وتقنيات الحصار البحري، مثل ما حصل خلال حصار عكا، وكذلك خلال حصار أنطاكية؛ عندما وصل إلى ميناء السويدية، عند مصب نهر العاصي، أسطولٌ جنويٌّ يحمل إمدادات مهمة للصليبيين المحاصِرين لأنطاكية[21].

ولم يجد الصليبيون صعوبة عند اقترابهم من أنطاكية، في التماس الأصدقاء في داخل المدينة، ذلك أنه انضم إلى المعسكر الصليبي عدد كبير من المسيحيين من سكان أنطاكية، الذين دأبوا على الاتصال بأقاربهم في داخل أنطاكية، من خلال باب القديس جورج، فتيسر للصليبيين الوقوف على ما يحدث داخل أنطاكية[22].

وعلى العكس من ذلك؛ فكان الدعم اللوجستي للمسلمين المحاصرين محدوداً، حيث إنه خلال حصار أنطاكية، أرسل ياغي سيان حاكم أنطاكية، بالاستصراخ والاستنجاد لطلب النجدة، والحصول على مساعدة، إلى زعماء الإمارات الإسلامية المجاورة، إلا أن الخلافات والحروب بين الإمارات الإسلامية، حرمته من المساعدات، كما أنه طلب النجدة من الخليفة العباسي في بغداد، ولكن دون جدوى، قابل أنباء الاحتلال الصليبي بشيء من البرود، وهذا يعبر عن حالة الضعف الشديدة، التي كان يعانيها، حتى إنه لم يكلف نفسه أن يشير على سلطان السلاجقة، بمقاومة هذا الاحتلال العنيف، ولعله كان مطمئناً إلى وضعه الآمن في بغداد، بعيداً عن ساحل الشام الذي يتعرض للهجمة الصليبية[23]، خاصة أن الحركة الصليبية، عزفت على وتر التباين الطائفي والعرقي في بلاد الشام، خدمة للمشروع الصليبي، ولا نغفل ملاحظة محورية، وهي أن الدعم اللوجستي، يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالوضع السياسي، ففي حالة التشرذم السياسي الإسلامي، لم يكن من الممكن دعم المحاصَرين بصورة كبيرة.

أما خلال حصار بيت المقدس فإن الوضع كان أسوأ، حيث بدأ أمراء المدن الشامية الداخليـــة، بالاتصال بالصليبيين وقبلوا أن يدخلوا في طاعتهم، وتقديم المعونة والأدلاء لهم[24]، أما أمراء الأســر العربية الحاكمة، فطلبت مهادنتهم، ليقينهــم أنهــم لا يملكــون قوة عســكرية، يمكنهم مــن خلالهــا مواجهة الغزو الصليبي، فعقدوا الاتفاقيات معهم، بل إنهم أرســلوا دليلين ليرشــدا الصليبيين فــي عبــور إقليم نهر العاصي، بل إن فخر الملك أبا علي بن عمار حاكم مدينة طرابُلس، تهَادن مع الصليبيين، وقرَّر رفع أعلامهم على أســوار مدينته دلالة تبعيته لهم[25]، كما أوضحنا من قبل.

أما في حصار دمشق فالوضع اختلف، حيث قام كل من نور الدين محمود أمير حلب، وســيف الدين غازي أمير الموصل، بتقديم الدعم العسكري لمعين الديــن أنــر أتابك الملك مجير الدين ولمدينة دمشــق، وكان لتضامن الإمارات الإســلامية، كحلب والموصل مع دمشق وســلاجقة الروم، في وجه العدوان، أثره في الحيلولة دون سقوط مدينة دمشق بيد الصليبيين.

أمــا الصليبيون المحاصرون لمدينة دمشق، فلم يتلقوا أي دعم، ولم تصلهم أي إمــدادات، مما كان له الأثر في إفشال ســقوط المدينة بيدهم، نظراً لكونهم قدموا خلال جيوش جرارة فرنسية وألمانية.

وبالنسبة لحصار مدينة عكا، فكان الدعم اللوجستي للصليبيين كبيراً، سواء بالمال أو الســلاح أو الرجال، وكان أول الداعمين لهذا الحصار؛ حاكم صقلية وليم الصقلي، حيث قام بإرســال أســطول يحمل ثلاثمائة من الفرسان، وكذلك فرض الملكان ريتشارد قلب الأســد وفيليب الثاني أغســطس ضرائب خاصة (إتاوة عامة)، في إنجلترا ثم في فرنســا، قدرها عُشر اشــتهرت باســم «عشر

صـــلاح الديـــن»[26]، لمجابهة نفقات وتغطية حاجات الحملـــة الصليبية الثالثة، زيادة على ذلك؛ قام ريتشارد قلب الأسد؛ ببيع وظائف التاج على نطاق واسع، كي يؤمن سيولة نقدية لهذه الحملة.

كمـــا وصلت اثنتان وخمســـون ســـفينة، من مدينـــة بيزا الإيطاليـــة، لتقديم الدعـــم للصليبيين أثناء حصارهم لعكا، كما حصـــل الصليبيون أمام عكا على تعزيزات كبيرة من أوروبا عن طريق البحر، فجاء أول أســـطول كبير يحمل الدنماركييـــن والإســـكندنافيين والفريزيين، وكذلك جاءت ســـفن مـــن إيطاليا، تقدر بنحو خمســـمائة ســـفينة[27]، تحمل كتائب البلجيك من الفلاندرز (فلمنك)، وكتائب الفرنسيين.

وحصل صلاح الدين على دعم من صاحب الجزيرة، وصاحب الموصل، وصاحب أربيل، وكذلك حصل على دعم من الخليفة العباسي ببغداد، غير أنه لم يحصل منه على مســـاعدة فعالة[28]، حيث اكتفى بإرســـال حملين من النفط، وخمســـة من الزراقين النفاطين المتقنين صناعَة الإحـــراق بالنَّار، وكتاب من الخليفـــة موقع منـــه، تضمن الإذن لصلاح الدين باقتـــراض مبلغ عشرين ألف دينـــار من تجار الشام، ينفقه في الجهاد على حســـاب الخليفـــة[29]، كما حصل على دعم يسير من سلطان الموحدين في المغرب، حيث إنهم لم يبذلوا مساعدة إيجابية إلا بالنزر اليســـير[30]، كما قام الأسطول المصري، بمد سكان عكا بما يحتاجون إليه من العدد والزاد[31].

كمـــا تمكن صلاح الدين، مـــن إدخال الذخائر والأموال والســـلاح والمؤن للمحاصريـــن في عكا عن طريق البوابة الشمالية للمدينة، كذلك قام ســـباحون ماهرون، بالدخول إلى عكا لنقل الأوامر والأخبار[32].

نلاحظ أن الدعم اللوجستي للصليبيين المحاصِرين كان كبيراً، سواء من أوروبا الغربية، أو من مسيحيي الشرق، مما ساهم في نجاح الغزاة.

ظل الصليبيون في الشرق، يعتمدون على الدعم الأوروبي مادياً ومعنوياً، بصورة كشفت عن أن الوجود الصليبي ذاته، وكذلك مؤسساته الدينية والحربية، لم تكن تستطيع القيام، والاستمرار دون الدعم الأوروبي غير المحدود، وظل الصليبيون بمثابة عالة على الغرب الأوروبي، ولم تستطع الاعتماد على نفسها؛ بل شكلت الموارد القادمة من الغرب الأوروبي عنصراً أساسياً، مكن الغزاة من التأسيس والاستمرار على حساب المسلمين.

أما بالنسبة إلى مقاومة المحاصَرين في المدن الشامية، فكانت حسب إمكانياتهم المتوفرة، ففي حصار أنطاكية؛ أعد حاكم أنطاكية ياغي سيان عدته للحصار، فشحن القلاع بالجند والمقاتلين، واختزن المؤن الكافية، تحسباً لحصار طويل للمدينة، كما أن المخزون الاحتياطي التمويني لتلك المدن كان كبيراً.

قاوم السلاجقة الذين كانوا يقيمون في حصن حارم، القريب من أنطاكية، الصليبيين، وشنوا الغارات على القوات الصليبية المحاصِرة لأنطاكية، وكذلك تعرض الصليبيون، لغارات السلاجقة الذين كانوا يخرجون من الأبواب السرية لأنطاكية، لمهاجمة الصليبيين[33].

دافع أهالي أنطاكية عن مدينتهم حتى آخر رمق، وأظهر حاكمهم ياغي سيان من شجاعة، وجودة رأيه وحزمه، واحتياطه ما لم يشاهد من غيره[34].

في حصار بيت المقدس قام الأمير الفاطمي افتخار الدولة قائد الحامية في المدينة، عند اقتراب القوات الصليبية من أسوار بيت المقدس، باتخاذ كافة

الاحتياطات والاستعدادات لمواجهة الصليبيين، والتدابير اللازمة لحمايتها، حيث اهتم بتقوية التحصينات، والتأكد من سلامة الأسوار، وأمر رجاله بأن يقطعوا موارد الماء، ويطمروا كل الينابيع والآبار الواقعة خارج المدينة، كي يحرم المهاجمين من التزود بمياهها، وقيل إنه وضع بها السم أيضاً، كما زود المدينة بكميات كبيرة من المؤن والأسلحة، وملأ خزانات المدينة بكمية كافية من المياه، وأحضر المواشي من النواحي والقرى المجاورة إلى داخل المدينة، كما دعم أبراجه بالقطن والقش لتصمد أمام قذائف منجنيقات العدو، وكذلك رمم افتخار الدولة الاستحكامات الدفاعية الرومانية القديمة للمدينة المقدسة[35].

كان الصليبيون يأملون في أن تسقط استحكامات بيت المقدس من تلقاء نفسها، ما إن يقتربوا منها، ولكن على العكس من ذلك، عانى المحاصِرون من مقاومة الحامية الفاطمية لهم، وكان المسلمون في داخل أسوار بيت المقدس، في وضع دفاعي متين، وأبدى أهالي المدينة مقاومة عنيفة، حتى إن الصليبيين أوشكوا على اليأس؛ نتيجة لشدة المقاومة، حيث أخذ المسلمون يقذفونهم «بالنار الإغريقية» ومعدات القذف؛ من نبال وقسي وسهام وقذائف حجرية وخرق مبللة بالزيت ومشتعلة وقوارير ملتهبة، يسكبون الزيت والدهن المغلي عليهم.

كما حصن المسلمون أسوار وتحصينات بيت المقدس؛ بأكياس مليئة بالقش والتبن، وبالحبال والمنسوجات والعوارض الخشبية الضخمة، والفرش المحشوة بالحرير، وكانت هذه تشكل، بطراوتها وليونتها عازلاً بين الحجارة المقذوفة وتلك الأسوار والتحصينات[36].

ولكن على الرغم من المقاومة العنيفة من المدافعين عن المدينة، إلا أنها سقطت في نهاية الأمر بيد الصليبيين، بسبب الدعم الذي حصل عليه

الصليبيون، وقيامهم بتطوير معداتهم وأساليبهم الحربية.

أمـــا في حصار دمشق، فقد اتخذ حاكمها معين الدين أنر أتابك الملك مجير الديـــن أبـــق، جميع الإجراءات اللازمـــة للدفاع عن المدينة، حيـــث قام بتدعيم النقاط في الســـور، كمـــا نشر الجنود في ضواحي دمشق بمـــا في ذلك الربوة، وقطع مجاري المياه، وطمر الآبار[37]، وشن المسلمون حرب العصابات، ضد الصليبيين داخل الحدائق والبساتين القريبة من دمشق[38]، وبسبب هذه المقاومة وتضامن الإمارات الإسلامية، في وجه العدوان، وتوفر إرادة المقاومة والقتال في نفوس القادة والعامة، وصمود الدماشـــقة في وجه العدوان الصليبي، فشل حصار الصليبيين لمدينة دمشق.

أمـــا في حصار عكا فكـــان الوضع مختلفاً، حيث إن الحصار اســـتمر نحو العاميـــن، فكانت العمليـــات الحربية كثيرة، وقاوم المســـلمون الصليبيين لفترة طويلة، وتكررت الصدامات بين الطرفين حتى كادت تتحول إلى عمل يومي، واتخـــذت طابع حرب الخنادق، وأخذ صلاح الدين يعمل على مهاجمة القوات الصليبيـــة فـــي بداية الحصار، في ســـبيل فك الحصـــار عن المدينـــة، كما قام المســـلمون بحرق آلات الحصار الصليبية بالنـــار الإغريقية، ولكن في النهاية سقطت المدينة بيد الصليبيين، بعد أن دافع عنها المسلمون قرابة العامين.

لا نغفـــل نقطـــة محورية مفادها، أن المســـلمين بالنســـبة إلـــى حصار عكا الطويـــل، الذي قـــارب على عاميـــن (585 – 587هـــ / 1189 – 1191م)، كان صلاح الدين الأيوبي؛ يملك تعويض خســـائره البشرية، بفضل سهول ووديان وأنهار النيل والعاصـــي والدجلة والفرات، وأعطاه هذا ميزات كبيرة، خاصة أنه كان يحارب على أرضه، وهو أمر لم يتوفر للصليبيين بنفس الدرجة.

المبحث الخامس:

المحاولات الدبلوماسية خلال أحداث الحصار

في أثناء حصار أنطاكية؛ جاءت سفارة من الدولة الفاطمية (العبيدية)، تعرض التفاهم والتفاوض مع الجيش الصليبي، لتحقيق مصالح مشتركة، وعقد تحالف معهم، وكان عرض الدولة الفاطمية الاتفاق مع الصليبيين يشمل البنود التالية:

– ينفرد الصليبيون بحكم أنطاكية وشمال بلاد الشام.

– تحتفظ مصر الفاطمية ببيت المقدس وجنوبي بلاد الشام، وكان العبيديون بالفعل يسيطرون على بيت المقدس، حيث قاموا باحتلاله عام (491هـ / 1097م)، حينما كان السلاجقة مشغولين بحرب الصليبيين في آسيا الصغرى.

– السماح للصليبيين بزيارة الأماكن المقدسة في فلسطين، وتكون لهم الحرية الكاملة في أداء شعائرهم الدينية، على ألا تزيد مدة إقامتهم فيها على شهر واحد، وألا يدخلوها بسيوفهم.

- يتعاون الطرفان في القضاء على السلاجقة.

لا شك أن الفاطميين لم يدركوا خطورة المشروع الصليبي، وتوهموا أنه من الممكن محالفة الأعداء الأوروبيين ضد السلاجقة.

قبل حصار بيت المقدس، قام الوزير الأفضل بن بدر الجمالي، بإرسال سفارة فاطمية (عبيدية) من مصر، إلى الصليبيين وهم عند أسوار طرابلس، محمَّلة بالأموال الغزيرة والهدايا الثمينة لكل واحد من زعماء الصليبيين، كما تحمل لهم عرضاً من الدولة العبيدية أن تسهِّل حجَّ الصليبيين وكل النصارى إلى بيت المقدس، على شكل مجموعات من مائتي أو ثلاثمائة حاج، وأن يدخل الحجاج إلى بيت المقدس غير مسلَّحين، وسوف تقرُّ الدولة الفاطمية (العبيدية) الصليبيين على ما تحت أيديهم من بلاد، سواء في آسيا الصغرى أو سوريا أو لبنان، ولكنَّ هذا العرض قوبل بالرفض من قبل الصليبيين[39].

أما بالنسبة إلى حصار دمشق، فقد فاوض حاكم دمشق معين الدين أنر، حكام بيت المقدس سراً، ووعدهم بتسليم حصن بنياس لهم، إذا أقنعوا الإمبراطور كونراد الثالث والملك لويس السابع بالانسحاب عن دمشق[40]، فقبل حكام بيت المقدس عرض معين الدين أنر، وأقنع الإمبراطور كونراد والملك لويس بضرورة الانسحاب، خوفاً من تسليمها لسيف الدين غازي، الذي إن تسلمها طمع باحتلال بيت المقدس، وباقي الإمارات الصليبية فيما بعد، فيزول الوجود المسيحي كله من الشرق.

كذلك عرض الدماشقة على ملك بيت المقدس بلدوين الثالث، دفع مائتي ألف قطعة ذهبية (دينار)، ولحاكم طبريا مائة ألف قطعة، مقابل رفع الحصار، ويقنعان الملك الألماني كونراد الثالث بالانسحاب، فكان العرض مغرياً، فقبل ملك بيت المقدس هذه الصفقة[41].

أمـــا حصار عكا؛ وبســبب صمود المســلمين في مواجهـــة الصليبيين فترة طويلـــة، دفـــع الملك ريتشارد قلب الأســـد إلى طلب المفاوضـــات، وأعلن عن رغبته في الاجتماع بالســـلطان، وكان يأمل بالتواصل إلى تسوية سلمية، فأنفذ إلـــى معســـكر صلاح الدين رســـولاً، غيـــر أن صلاح الدين أجـــاب على طلبه بحـــذر، وذكر له أنـــه ليس من الحكمة أن يجتمع ملكـــان متعاديان، حتى تنعقد بينهما هدنة، ومع ذلك فإنه أعرب عن استعداده لأن يسمح لأخيه الملك العادل سيف الدين أن يجتمع به، غير أنه حدث أن مرض ملك إنجلترا فجأة، فاعتذر ريتشارد لصلاح الدين؛ عن عدم تمكنه من الاجتماع به، بسبب مرضه، وقال له: «لا تظن أني غيرت رأيي في الصلح، ولكنّ حمّى خبيثة شفيت لتوّي منها، عاودتنـــي فأعاقتني عن مغادرة خيمتـــي، ولن أتأخر عن القدوم لمقابلتك حالما أستعيد صحتي»[42].

كذلك قام حاكم عكا سيف الدين علي بن أحمد الهكاري المعروف بالمشطوب بالذهاب بنفســـه إلى المعســـكر الصليبي؛ لمقابلة الملك الفرنســـي فيليب الثاني أغســـطس، والاتفاق معه على شـــروط تســـليم عكا للصليبيين، ويطلب الأمان وقـــال: «إنـــا قد أخذنـــا منكم بلاداً عدة وكنـــا نهجم البلد وندخـــل فيه، ومع هذا إذا ســـألونا الأمان أعطيناهم وحملناهم إلى مأمنهم وإكرامهم ونحن نســـلم البلد وتعطينا الأمان على أنفسنا»[43]، غير أن فيليب الثاني أغسطس فاجأه بجواب مهيـــن، قال: «بأن هـــؤلاء الملوك الذيـــن أخذتموهم منا وأنتـــم أيضاً مماليكي وعبيدي فأرى فيكم رأيي»، فما كان من الأمير المسلم إلا أن رد عليه بالمثل، وقـــال له: «إنا لا نســـلّم البلد حتى نقتل بأجمعنـــا، ولا يقتل منا واحد حتى يقتل خمسون نفساً من كباركم وانصرف عنه»[44].

وعندمـــا علم ريتشارد قلب الأســـد أن المســـلمين تفاوضوا ســـراً من الملك

فيليب الثاني أغسطس، أزعجه ذلك غاية الإزعاج، ودون أن يدري ماذا دار بالضبط في هذا الاجتماع، فأرسل رسلاً إلى صلاح الدين، ولوّحوا بأنهم مستعدون لأن يتناقشوا في أمور الصلح، إلا أن صلاح الدين لم يجبه.

ومع استمرار الصليبيين في مهاجمة أسوار المدينة والضغط عليها، عرض أمراؤها على الصليبيين تسليم المدينة لهم، وقام قائد الحامية بتوقيع اتفاقية التسليم من جانب المسلمين، أما من جانب الصليبيين فوقعها كونراد دي مونتفيرات، دون موافقة صلاح الدين.

بصفة عامة، كانت العلاقات الدبلوماسية أحياناً عنصراً مهماً في أحداث الحصار، وقد حدثت أحياناً نتيجة قيام طرف خارجي بها، لعدم إدراكه حقيقة وطبيعة المشروع الصليبي، كما حصل في حصار أنطاكية في الحملة الصليبية الأولى، من جانب الفاطميين.

كما لا نغفل كذلك ملاحظة، أنه عندما كانت تتوازن قوى الطرفين، وجدنا السعي إلى طرق بوابة الدبلوماسية، كما حدث في حصار عكا، ومن المفترض أن سقوط عكا عام (587هـ / 1191م)، خلال الحملة الصليبية الثالثة، كان مقدمة لما عرف فيما بعد بصلح الرملة في 21 شعبان 588هـ / 1 سبتمبر 1192م، بين صلاح الدين الأيوبي وريتشارد قلب الأسد، ورحيل الصليبيين إلى بلادهم.

من الملاحظ أن الجهود الدبلوماسية، جميعها لم تتكلل بالنجاح، بل منها ما انتهى بكارثة، كما حدث بعد سقوط عكا في صورة مذبحة تل العياضة في يوم الثلاثاء 27 رجب 587هـ / 20 أغسطس 1191م.

ذلك عرض مقارن لحصار الصليبيين للمدن الإسلامية في بلاد الشام خلال مرحلة الدراسة.

هوامش الفصل الخامس:

1 – ياقوت الحموي، معجم البلدان، 1/266.

2 – ميخائيل زابوروف، الصليبيون في الشرق، ص85.

3 – هانس أبراهارد ماير، تاريخ الحروب الصليبية، ص86.

4 – بشير مقبل ناصر الحدم، موقف القوى الإسلامية والمسيحية من الغزو الصليبي لأنطاكية، ص36.

5 – ياسين سويد، حروب القدس في التاريخ، ص57.

6 – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص463؛ أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، 1/184؛ وليم الصوري، الحروب الصليبية، 3/313، رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، ص2/327.

7 – للمزيد عن مدينة عكا انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 4/143 – 144.

8 – حسين، محسن محمد، الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين، ص437 – 438.

9 – نقلي، آسيا، دور الفقهاء والعلماء المسلمين، ص244.

10 – ريموندا جيل، تاريخ الفرنجة، ص236؛ رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 1/427؛ الزبدة، عبلة، صلاح الدين وتحرير القدس، ص34.

11 – ريموندا جيل، تاريخ الفرنجة، ص236، وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، 1/417؛ رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 1/427؛ الزبدة، عبلة، صلاح الدين وتحرير القدس، ص34.

12 – وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، 1/417.

13 – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، 1/462.

14 – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 10/34، ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص122، أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، 4/79؛ يعقوب الفيتري، تاريخ بيت المقدس، 160؛ حسين، محسن محمد، الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين، ص437.

15 – العماد الأصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، ص196؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 10/78؛ ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص140 – 141؛ أبو شامة، الروضتين على أخبار الدولتين، 4/121.

16 – ابن أرنبغا الزردكاش (ت: 867هـ/1462م)، الأنيق في المنجنيق، تحقيق: إحسان هندي، ط: الأولى، دار الكتب الوطنية، أبوظبي، الإمارات، 2013م، ص12 – 26.

17 – المقدم، محمد عبد الله محمد مهيوب، رسالة علمية عن حصار المدن، جامعة تعز، اليمن، ص15.

18 – العماد الأصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، ص196؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 10/78؛ ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص140 – 141؛ أبو شامة، الروضتين على أخبار الدولتين، 4/121.

19 – فرج، وسام عبد العزيز، النار الإغريقية، ص287 – 305.

20 – ريموندا جيل، تاريخ الفرنجة، ص86؛ بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص140.

21 – ريموندا جيل، تاريخ الفرنجة، ص87؛ رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 1/343.

22 – العريني، السيد، الشرق الأوسط والحروب الصليبية، 1/342.

23 – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص464

24 – عاشور، فايد، جهاد المسلمين في الحروب الصليبية، ص107 – 108.

25 – مجهول، أعمال الفرنجة، ص277؛ عاشور، سعيد، الحركة الصليبية، 1/227.

26 – للمزيد عن مرسوم ضريبة عام 1188م «عشر صلاح الدين» الذي أصدره هنري الثاني ملك إنجلترا في أواسط ذو القعدة 584هـ/أواخر يناير 1188م، انظر: عطية، حسين محمد، دراسات في تاريخ الحروب الصليبية، ص279 – 315؛ عبد القوي، زينب عبد المجيد، الإنجليز والحروب الصليبية، ص109 – 110؛ العجمي، نها عوض محمود، التمويل والإمداد، ص117.

27 – رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية 3/42.

28 – العماد الأصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، ص204، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 10/80.

29 – العماد الأصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، ص196؛ ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص138 – 139؛ حسين، محسن محمد، الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين، ص451.

30 – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 4/190 – 205؛ حسين، محسن محمد، الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين، ص452؛ رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 3/62.

31 – الزبدة، عبلة، صلاح الدين وتحرير القدس، ص139.

32 – ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص123؛ أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، 4/80، ابن كثير، البداية والنهاية، 16/608 ابن واصل، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، 2/293؛ رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 3/60 – 61.

33 – بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص136 – 147؛ ريموندداجيل، تاريخ الفرنجة، ص86؛ مجهول، أعمال الفرنجة، ص51.

34 – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 8/417؛ ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص220.

35 – ريموندداجيل، تاريخ الفرنجة، ص136 – 137؛ عاشور، سعيد، الحركة الصليبية، 1/241.

36 – وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، 1/428.

37 – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص461؛ أليسيف، نيكيتا، السلطان نور الدين بن زنكي، ص155، أبو صيني، عبد القادر، دور نور الدين في نهضة الأمة ص96.

38 – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، 1/461 – 468؛ رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، ص2/327.

39 – عاشور، سعيد، الحركة الصليبية، 1/238.

40 – وليم الصوري، الحروب الصليبية، 3/319؛ رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، ص2/328.

41 – وليم الصوري، الحروب الصليبية، 3/318.

42 – ألبير شاندور، صلاح الدين الأيوبي، ص328.

43 – ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص212؛ أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، 4/256 – 257.

44 – العماد الأصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، ص266؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 10/95، ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص212؛ حسين، محسن محمد، الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين، ص460، طقوش، محمد سهيل، تاريخ الأيوبيين، ص185 – 186.

الخاتمة

بعد أن استعرضنا حصار الصليبيين للمدن الشامية خلال فترة الحروب الصليبية، يمكن الخروج من البحث بالعديد من النتائج:

أولاً: كان المشروع الصليبي مشروعاً استيطانياً، وقدمت الحملة الشعبية، أو حملات العامة، خلال الحملة الصليبية الأولى، تعبيراً عن هذا الاتجاه، الذي جعل الحملة الصليبية مشروعاً لحل مشكلات أوروبا في القرن الحادي عشر الميلادي؛ على حساب الشرق الإسلامي، وتحويلها إلى مجال حيوي للنفوذ السياسي والاقتصادي لأوروبا الصليبية.

ثانياً: كشفت أحداث الحملة الصليبية الأولى، وما صاحبها من حصار للمدن الشامية، عن معادلة محورية مهمة، تحكم التاريخ السياسي لهذه المنطقة، فقد نجحت الحملة الصليبية الأولى بفضل التشرذم والتمزق السياسي للمسلمين، بين السنة في بغداد والشيعة في القاهرة، وأتباعهما في بلاد الشام،

وبين السلاجقة التركمان والعرب، مما سهل مهمة الصليبيين في حصار المدن الإسلامية.

ثالثــاً: إن الحصـــار الذي فرضه الصليبيون على بعض المدن الإســلامية، لم يكــن المقصود منه حصار تلك المدن بالدرجة الأولى، وإنما كان المقصود حصار العالم الإسلامي بشكل عام، وهذا ما حدث بعد ذلك خلال القرن الخامس عشر الميلادي، عندما قدم البرتغاليون للمنطقة العربية، وحاولوا حصارها.

رابعــاً: يلاحظ أن ســقوط المــدن الشامية المحاصرة، جــاء كنتاج طبيعي لتعاون عوامل الســقوط الداخلية، وكذلك العوامل الخارجية، إذ إن السقوط في التاريــخ يبدأ دائماً من الداخل، وتعطي العوامــل الخارجية الشكل النهائي له، وتتفاعل العوامل الداخلية والخارجية معاً، لتصنع الشكل النهائي للسقوط.

خامســاً: أثبتت الدراســة أن الصراع الصليبي الإسلامي ارتبط بالأرض، حيث شــهد الشرق الإسلامي إقامة ثلاث إمارات صليبية ومملكة، والعديد من المســتوطنات الصليبية، وذلك على حساب ســكان البلاد الأصليين، ولا ريب في أن حركة الاســتيطان تكشف لنا عن الطابع الاستعماري للحركة الصليبية ذاتها.

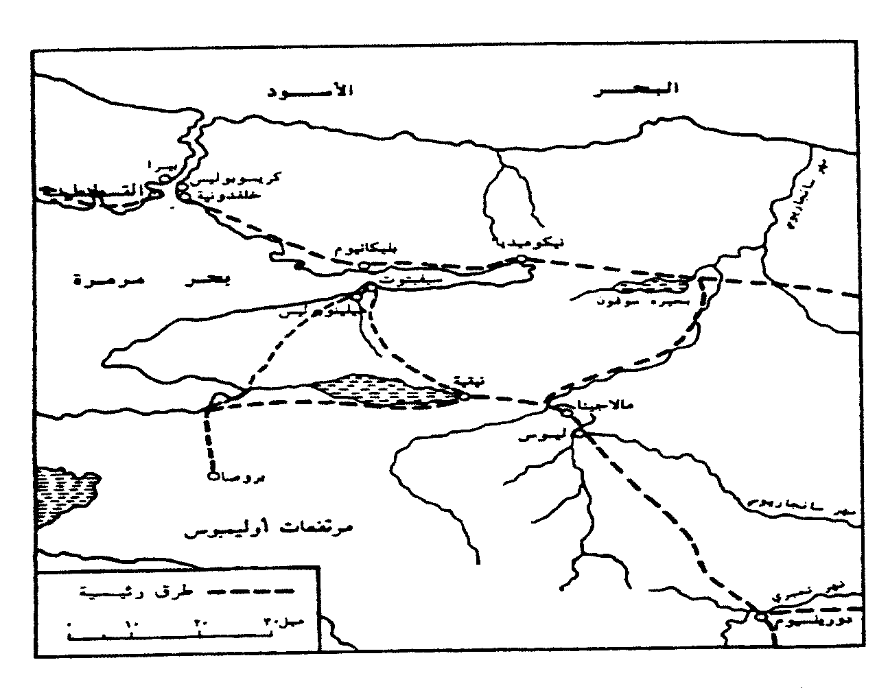
سادســاً: تأكد مــن خلال البحث، حدوث تســابق تســليحي بين المســلمين والصليبيين عصر الحروب الصليبية، وسعى كل طرف للتسلح والتفوق على الآخر، وهذا ما تأكد لنا من خلال المصادر المعاصرة الصليبية والعربية.

ذلك عرض عن أهم النتائج التي خلص إليها البحث.

ملحق:

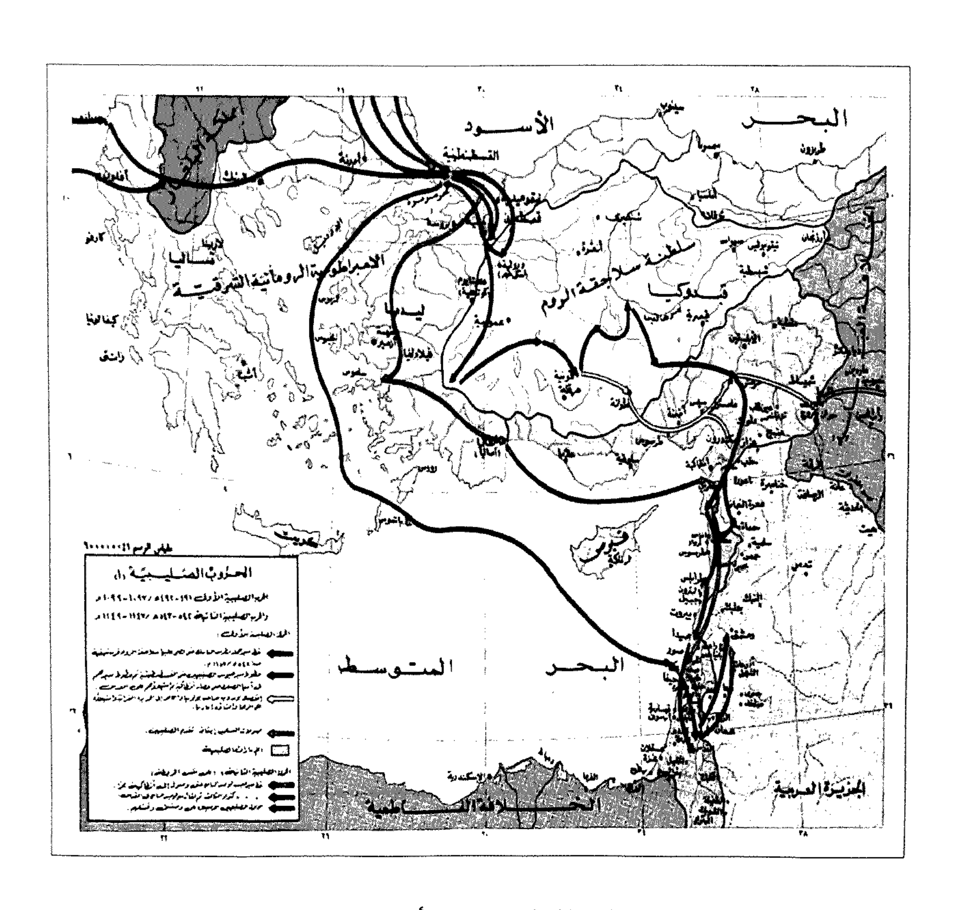
الخرائط





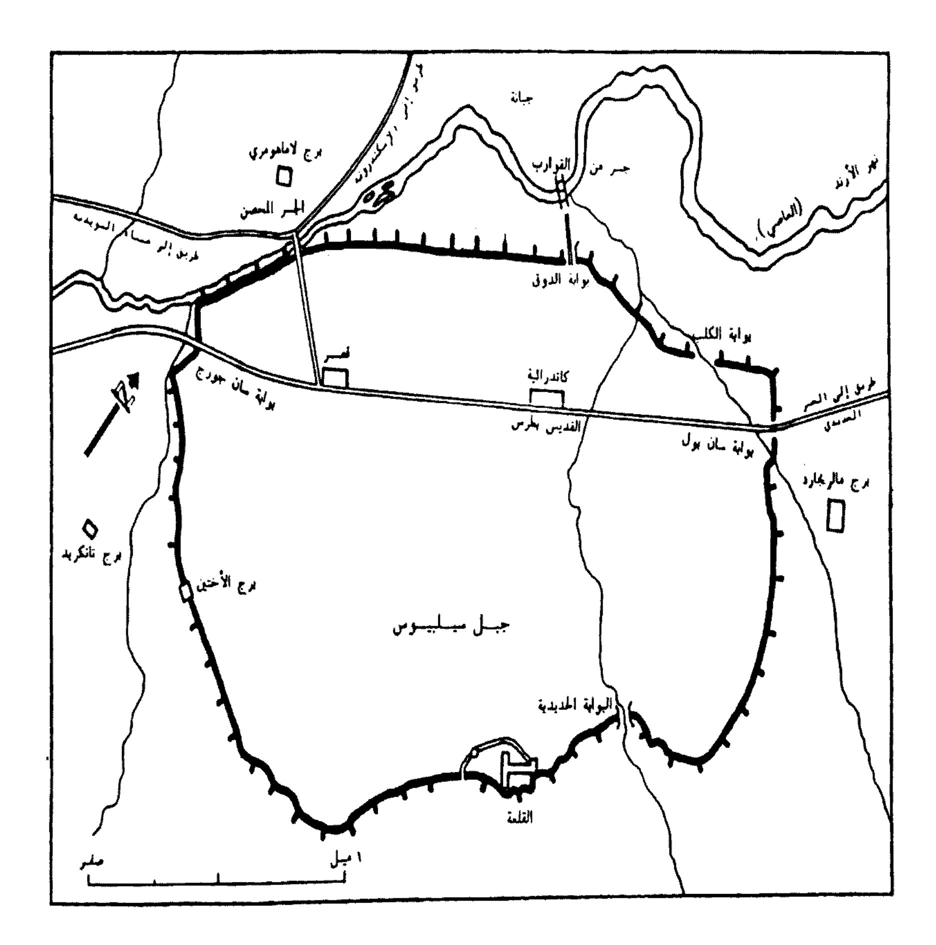
خريطة رقم (1) مسار (حملة الشعوب في آسيا الصغرى) خلال الحملة الصليبية الأولى عام (1097 – 1099م / 491 – 492هـ)[1].

1 – رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 1/218.



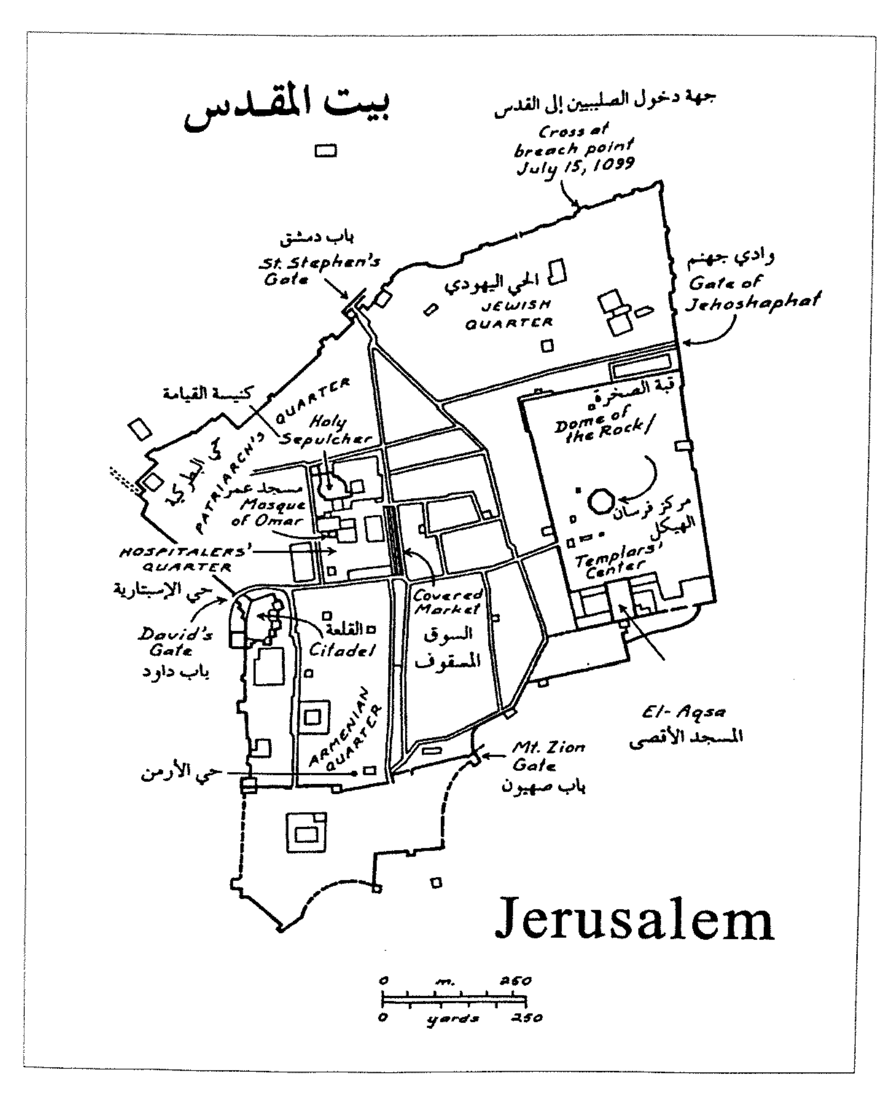
خريطـة رقم (2) مســار الحملة الصليبية الأولى عــام (1097 – 1099م / 491 – 492هـ)[2].

2 – مؤنـس، حسـين، أطلس التاريخ الإسـلامي، ط: الأولى، الزهـراء للإعلام العربي، القاهرة: مصر، 1407هـ – 1987م، ص128.



خريطة رقم (3) مخطط أنطاكية عام (1098م / 491هـ)[3].

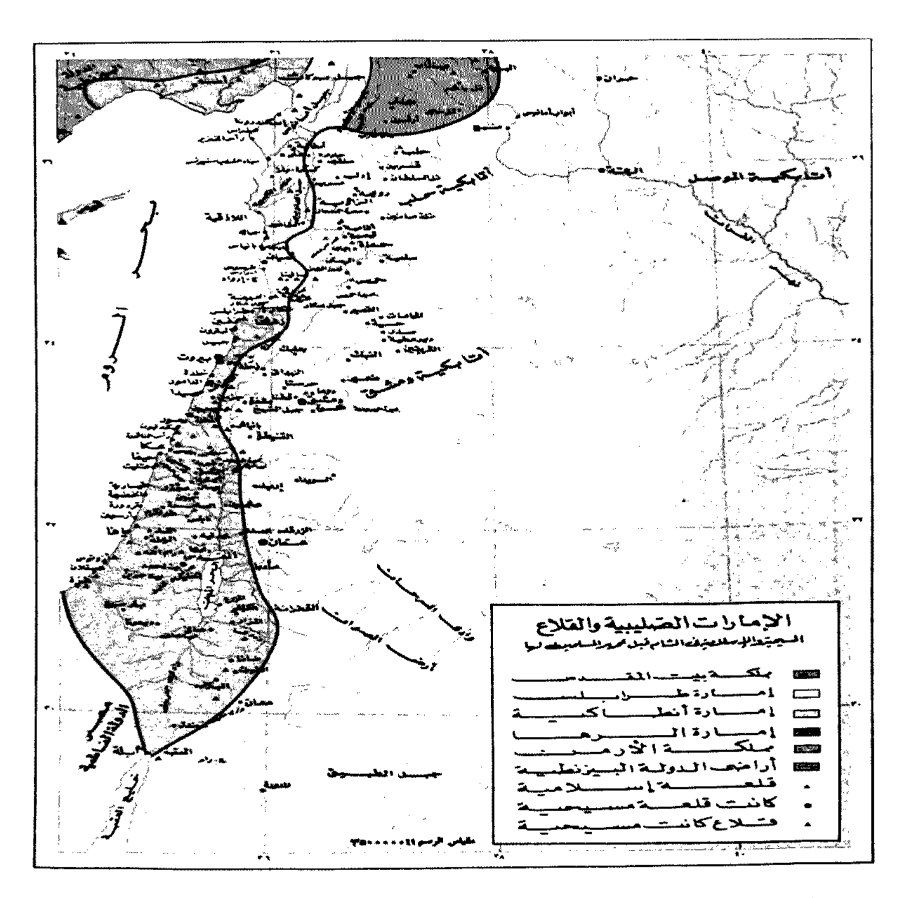
3 – رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، 1/339.



خريطـة رقـم (4) بيت المقدس زمـن الحملة الصليبية الأولـى عام (1097 – 1099م / 491 – 492هـ)[4].

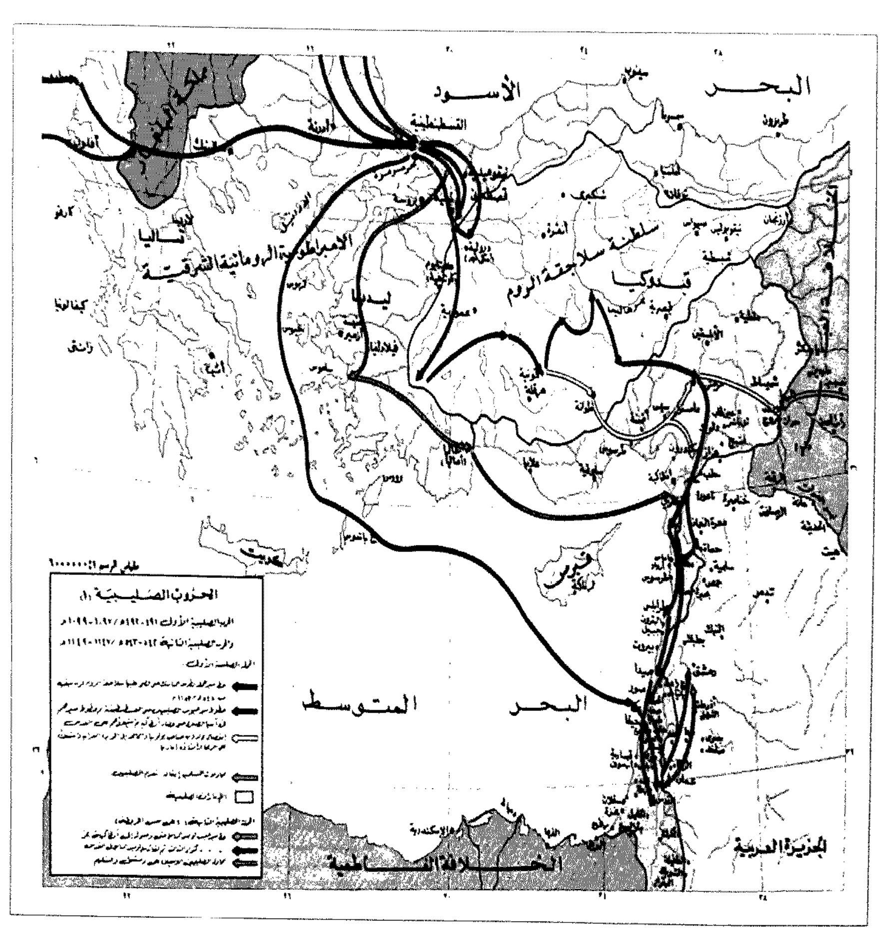
---

4 – تاريخ الحملة، ص75؛ رستون، جيمس، مقاتلون في سبيل الله، ص118.



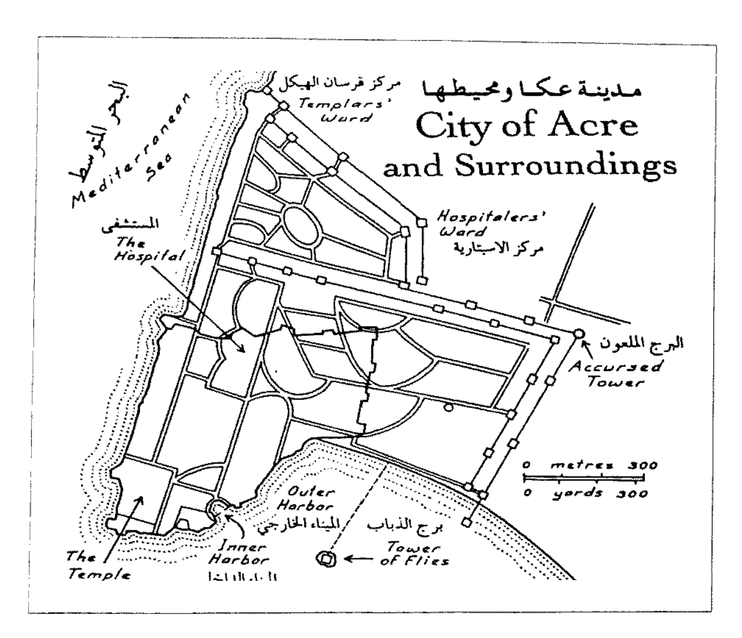
خريطة رقم (5) الإمــارات الصليبية التي تكونت بعد الحملة الصليبية الأولى عام (1097 – 1099م / 491 – 492هـ)[5].

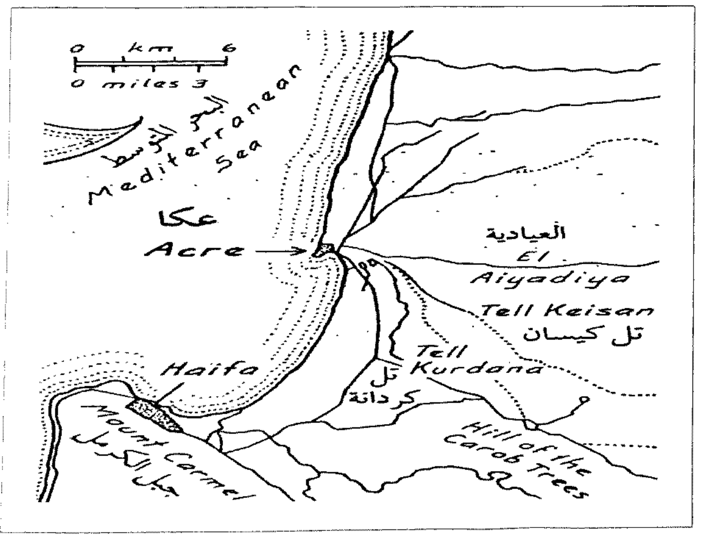
5 – مؤنس، حسين، أطلس التاريخ الإسلامي، ص129.



خريطة رقم (6) مســار الحملة الصليبية الثانية عام (1147 – 1149م / 542 – 543هـ)[6].

6 – مؤنس، حسين، أطلس التاريخ الإسلامي، ص128.





خريطة رقم (7 – 8) عكا عام (1189م / 585هـ)[7].

7 – تاريخ الحملة، ص75؛ رستون، جيمس، مقاتلون في سبيل الله، ص234.



قائمة المصادر والمراجع:

أولاً – المصادر:

أ – المصادر العربية:

القرآن الكريم.

– ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير، (ت: 630هـ/1233م):

1 – التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية، تحقيق: عبد القادر أحمد طليمات، دار الكتب الحديثة، القاهرة: مصر، 1382هـ – 1963م.

2 – الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط: الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت: لبنان، 1417هـ – 1997م.

– الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني الطالبي، المعروف بالشريف الإدريسي (ت: 560هـ/1166م):

3 – نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط: الأولى، عالم الكتب، بيروت: لبنان، 1409هـ – 1989م.

– ابن أرنبغا الزردكاش، (ت: 867هـ/1462م):

4 – الأنيق في المنجنيق، تحقيق: إحسان هندي، ط: الأولى، دار الكتب الوطنية، أبوظبي، الإمارات، 2013م.

– البلاذري، أبي الحسن أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، (ت: 279هـ/ 892م):

5 – فتوح البلدان، تحقيق: رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت: لبنان، 1403هـ – 1983م.

- ابن تغري بردي، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين (ت: 874هـ/1469م):

6 – النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، قدم له وعلق عليه: محمد حسن شمس الدين، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت: لبنان، 1412هـ – 1992م.

- ابن جبير، محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي، أبو الحسين (ت: 614هـ/1217م):

7 – رحلة ابن جبير، الرحلة المسماة تذكرة بالأخبار في اتفاقيات الأسفار، علق عليه: إبراهيم شمس الدين، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت: لبنان، 1423هـ–2003م.

- الحسيني، صدر الدين، أبي الحسن علي ابن أبي الفوارس ناصر بن علي، (ت: 626هـ/1225م):

8 – أخبار الدولة السلجوقية، تصحيح: محمد إقبال، ط: بيروت، دار الآفاق الجديدة، بيروت: لبنان، 1984م.

- الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري، (ت: 900هـ/ 1495م):

9 – الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، ط: الثانية، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت: لبنان، 1400هـ – 1980م.

- ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن على بن حوقل البغدادي النصيبى، (ت: 367هـ/977م):

10 – صورة الأرض، تحقيق أكد أوليا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت: لبنان، 1412هـ – 1992م.

- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، (ت: 818هـ/1405م):

11 – تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، ط: الثانية، دار الفكر، بيروت: لبنان، 1408هـ – 1988م.

- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن ابن خلكان البرمكي الإربلي، (ت: 681هـ/1282م):

12 – وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، ط: الأولى، دار صادر، بيروت: لبنان، 1414هـ – 1994م.

– الدمشقي، شـمس الدين أبي عبد الله محمد أبي طالب الأنصاري، شيخ الربوة الدمشقي، (ت: 727هـ/1326م):

13 – نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، تحقيق: مهرن، ط: الأولى، طبعة لايبزج، سانت بطرسبرغ: روسيا، 1935م.

– الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايْماز الذهبي، (ت: 748هـ/1348م):

14 – سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ومحمد نعيم العرقسوسي، ط: التاسعة، مؤسسة الرسالة، بيروت: لبنان، 1413هـ – 1993م.

– سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قِزْأُوغلي بن عبد الله، المعروف بـ«سبط ابن الجوزي»، (ت: 654هـ/1256م):

15 – مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، تحقق مسفر سالم الغامدي، ط: الأولى، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1407هـ – 1987م.

– أبو شامة، أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي، المعروف بأبي شامة المقدسي، (ت: 665هـ/1267م):

16 – الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق: إبراهيم الزيبق، ط: الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت: لبنان، 1418هـ – 1997م.

– ابن شداد، يوسف بن رافع بن تميم بن عتبة الأسدي الموصلي، أبو المحاسن، بهاء الدين ابن شداد، (ت: 632هـ/1234م):

17 – النوادر السلطانية والمحاس اليوسفية (سيرة صلاح الدين الأيوبي)، تحقيق: أحمد أيبش، ط: دمشق: سوريا، 2009م؛ النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق: محمد حسني مصطفى، ط: الأولى، دار القلم العربي، حلب: سوريا، 1421هـ–2001م.

– ابن العديم، عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي، كمال الدين ابن العديم الحلبي، (ت: 660هـ/1262م):

18 – زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق: خليل المنصور، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت: لبنان، 1417هـ – 1996م.

ـ ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله، (ت: 571هـ/1175م):

19 ـ تاريـخ مدينة دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت: لبنان، 1415هـ ـ 1995م.

ـ العماد الأصفهاني، أبو عبد الله، محمد بن محمد صفي الدين بن نفيس الدين حامد بن أُلُه، عِمَاد الدِّين الكاتب الأصبهاني، (ت: 597هـ/1201م):

20 ـ تاريخ دولة آل سلجوق، اختصار الفتح البنداري، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، ط: الثالثة، دار الآفاق الجديدة، بيروت: لبنان، 1980م.

21 ـ حروب صلاح الدين وفتح بيت المقدس (وهو الكتاب المسمى الفتح القسي في الفتح القدسي)، ط: الأولى، دار المنار، القاهرة: مصر، 1425هـ ـ 2004م.

ـ أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب، الملك المؤيد، صاحب حماة، (ت: 732هـ/1332م):

22 ـ المختصر في أخبار البشر، دار المعرفة، بيروت: لبنان، د.ت.

ـ ابن قاضي شهبة، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة الأسدي الدمشقي (ت: 851هـ/1448م):

23 ـ الكواكب الدرية في السيرة النورية، تحقيق: محمود زايد، دار الكتاب الجديد، بيروت: لبنان، 1971م.

ـ القزويني، زكريا بن محمد بن محمود القزويني، (ت: 682هـ/1283م):

24 ـ آثار البلاد وأخبار العباد، د. ط، دار صادر، بيروت: لبنان، د. ت.

ـ ابن القلانسي، حمزة بن أسد بن علي بن محمد، أبو يعلى التميمي، ابن القلانسي، (ت: 555هـ/1160م):

25 ـ ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي، تحقيق: سهيل زكار، ط: الأولى، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق: سوريا، 1403هـ ـ 1983م.

ـ القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي الفزاري القلقشندي ثم القاهري، (ت: 821هـ/1418م):

26 ـ صبح الأعشى في صناعة الإنشا، قدم له ووضع حواشيه: محمد شمس الدين، ط: الأولى، دار الفكر، بيروت: لبنان، د. ت.

– ابـن كثير، أبو الفداء إسـماعيل بن عمر بن كثير القرشـي البصـري ثم الدمشقي، (ت: 774هـ/1373م):

27 – البدايـة والنهايـة، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسـن التركـي، ط: الأولى، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة: مصر، 1418هـ – 1997م.

– المقدسي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي البشاري، (ت: 375هـ/985م):

28 – أحسـن التقاسـيم فـي معرفة الأقاليـم، ط: الثالثـة، مكتبة مدبولـي، القاهرة: مصر، 1411هـ/1991م.

– المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر أبو العباس الحسـيني العبيدي تقي الدين، (ت: 845هـ/1441م):

29 – السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت: لبنان، 1418هـ – 1997م.

– ابن منقذ، مؤيد الدولة أبو المظفر أسامة بن مرشد بن على الشيرازي، (ت: 584هـ/1188م):

30 – الاعتبار، تحقيق: سهيل زكار، ط: الأولى، دار الفكر، دمشق: سوريا، 1415هـ/1995م.

– ناصر خسرو، أبو المعين ناصر خسرو علوي، (ت: 482هـ/1088م):

31 – سـفر نامـه، تحقيق: يحيى الخشاب، تصدير: عبد الوهاب عـزام، ط: الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة: مصر، 1413هـ – 1993م.

– الواسطي، أبي بكر محمد بن أحمد المقدسي:

32 – فضائل البيت المقدّس، تحقيق: إسحاق حسون، معهد الدارسات الآسيوية والأفريقية، الجامعة العبرية بالقدس، فلسطين، 1979م.

– ابن واصل، جمال الدين محمَّد بن سـالم بن نصر الله بن سـالم ابن واصل، أبو عبد الله المازني التميمي الحموي، (ت: 697هـ/1298م):

33 – مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق: جمال الدين الشيال، حسنين محمد ربيع، سعيد عبد الفتاح عاشور، د.ط، دار الكتب والوثائق القومية – المطبعة الأميرية، القاهرة: مصر، 1377هـ – 1957م.

– ابن الوردي، عمر بن مظفر بن عمر بن محمد ابن أبي الفوارس، أبو حفص، زين الدين ابن الوردي المعري الكندي، (ت: 749هـ/1349م):

34 – تاريخ ابن الوردي، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت: لبنان، 1417هـ – 1996م.

– ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، (ت: 626هـ/1228م):

35 – معجم البلدان، ط: الثانية، دار صادر، بيروت: لبنان، 1415هـ – 1995م.

– اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، (ت: 284هـ/896م):

36 – كتاب البلدان، تحقيق: محمد أمين ضناوي، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت: لبنان، 1423هـ – 2002م.

ب – المصادر الأجنبية المعربة:

37 – بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ترجمة: حسين محمد عطية، ط: الأولى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية: مصر، 1998م.

38 – بورشارد، من دير جبل صهيون، وصف الأرض المقدسة، ترجمة: سعيد عبد الله جبريل البيشاوي، ط: الأولى، دار الشروق، عمان: الأردن، 1998م.

39 – دانيال، الحاج الروسي دانيال الراهب، وصف الأراضي المقدسة في فلسطين «1106 – 1107م»، ترجمة: سعيد عبد الله جبريل البيشاوي، وداوود أبو هدبة، ط: أولى، دار الشروق، عمان: الأردن، 2003.

40 – دويل، أودو أوف، رحلة لويس السابع إلى الشرق، وقع ضمن الموسوعة الشاملة في الحروب الصليبية، ج: 7، تحقيق وترجمة: سهيل زكار، ط: الأولى، دار الفكر، دمشق: سوريا، 1416هـ – 1995م.

41 – روجر أوف ويندوفر، ورود التاريخ، تحقيق وترجمة: سهيل زكار، دمشق: سوريا، 1421هـ – 2000م.

42 – ريمونداجيل، تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، ترجمة: حسين محمد عطية، ط: الأولى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية: مصر، 1990م.

43 – الشارتري، فوشيه، تاريخ الحملة إلى القدس، ترجمة زياد العسلي، ط: الأولى، عمان: الأردن، دار الشروق، 1990م.

44 – الفيتري، يعقوب (بطريرك عكا)، تاريخ بيت المقدس، ترجمة وتعليق، سعيد عبد الله البيشاوي، ط: الأولى، دار الشرق للنشر والتوزيع، عمان: الأردن، 1998م.

45 – الكتاب المقدس، القاهرة، ب. ت، العهد الجديد، إنجيل متى.

46 – مجهول، مؤرخ الجستا، (فارس صليبي في جيش بوهيموند عاصر القرن 5هـ/11م) أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ترجمة: حسن حبشي، د. ط، دار الفكر العربي، القاهرة: مصر، 1958م.

47 – مجهول، (الراجح أن هذا المؤرخ هو فارس رافق الملك الإنجليزي ريتشارد قلب الأسد في حملته إلى الشرق وكتب وصفاً لها)، الحرب الصليبية الثالثة، صلاح الدين وريتشارد، ترجمة وتحقيق حسن حبشي، د. ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة: مصر، 2000م.

– وليم الصوري (ت: 1185م/581هـ):

48 – تاريخ الحروب الصليبية، الأعمال المنجزة فيما وراء البحار، وقع ضمن الموسوعة الشاملة في الحروب الصليبية، ج: 7، تحقيق وترجمة: سهيل زكار، ط: الأولى، دار الفكر، دمشق: سوريا، 1410هـ – 1990م.

49 – الحروب الصليبية، ترجمة: حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة: مصر، 1414هـ – 1994م.

جـ – المصادر الأجنبية.

50 – Ambroise, The Crusade of Richard Heart of Lion, Trans, M. J. Hubert, New York, 1943.

51 – Chronicle of The Third Crusade, Atranslation of Itinerarium Pereyrinorum Gesta Regis Ricardi, Trans. Helen Nicholson, London, 1997.

52 – Geoffrey of Vinsauf, Crusade of Richard Coeur de Lion, in Chronicles of The Crusades, London, 1908.

53 – The Conquest of Jerusalem and The Third Crusade ,Sources in Traustation, ed. P.W Edbury, Hampshire, 1996,

54 – The Old French Continuation of William of Tyre, 1184 – 1997.

ثانياً – المراجع:

أ – المراجع العربية:

55 – إبراهيم، نعيمة محمد، آسيا الصغرى والحروب الصليبية في القرن الثاني عشر الميلادي، ط: الأولى، دار الآفاق العربية للنشر والتوزيع، القاهرة: مصر، 2014م.

56 – أبو راس، خالد سليمان أبو راس، عكا في التاريخ، مؤسسة أسوار عكا للثقافة، عكا: فلسطين.

57 – أبو صيني، عبد القادر أحمد أبو صيني، دور نور الدين في نهضة الأمة ومقاومة غزو الفرنجة، الجامعة الأردنية، عمان: الأردن، 1996م.

58 – بيطار، أمينة، تاريخ العصر الأيوبي، ط: الأولى، جامعة دمشق، سوريا، 1995م.

59 – التازي، عبد الهادي، سفارة السلطان صلاح الدين الأيوبي إلى الخليفة أبي يوسف يعقوب المنصور، الأكاديمية، العدد (11)، 1994م.

60 – الجنابي، طلب صبار، إمارة أنطاكية، دراسة في علاقتها السياسية بالقوى الإسلامية، دمشق: سوريا، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، 2013م.

– الجنزوري، علية عبد السميع:

61 – الحرب الصليبية، (المقدمات السياسية)، ط: الأولى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة: مصر، 1999م.

62 – إمارة الرها الصليبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة: مصر، 2001م.

63 – حاطوم، نور الدين، في ذكرى معركة حطين (24 ربيع الثاني 583هـ الموافق 4 تموز 1187م)، ط: الأولى، وزارة الثقافة، دمشق: سوريا، 1987م.

64 – حبشي، حسن، نور الدين والصليبيون، دار الفكر العربي، القاهرة: مصر، 1948م.

– حتي، فيليب:

65 – تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ترجمة: جورج حداد، عبد الكريم رافق، ط: الثالثة، دار الثقافة، بيروت: لبنان، 1402هـ – 1982م.

66 – تاريخ العرب موجز، ط: السادسة، دار العلم للملايين، بيروت: لبنان، 1991م.

– الحدم، بشير مقبل ناصر:

67 – موقف القوى الإسلامية والمسيحية من الغزو الصليبي لأنطاكية، ط: الأولى، نور حوران للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق: سوريا، 2018م.

68 – مواقف بعض القوى الإسلامية المساندة للغزو الصليبي في بلاد الشام ومصر، ط: الأولى، نور حوران للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق: سوريا، 2018م.

69 – حسن، إبراهيم علي، عبد المؤمن بن علي الكومي، دار الثقافة، الغرب، 1406هـ – 1986م.

– حسين، حسن عبد الوهاب:

70 – تاريخ الفرسان التيوتون في الأراضي المقدسة نحو (586 – 690هـ/1190 – 1291م)، د. ط، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية: مصر، 1981م.

71 – قيصرية الشام في التاريخ الإسلامي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية: مصر، 1987م.

72 – حسين، محسن محمد، الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين، ط: الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت: لبنان، 1406هـ–1986م.

73 – حميدة، عبد الرحمن، طريق الحرير بين ابن بطوطة وماركو بولو، مجلة دراسات تاريخية، السنة (12)، العددين (39–40)، ديسمبر 1991م.

74 – خلف الله، ابتسام مرعي، العلاقات بين الخلافة الموحدة والشرق الإسلامي (524 – 936هـ/1123 – 1529م)، دار المعارف الإسلامية، القاهرة: مصر، 1985م.

– خليل، عماد الدين:

75 – دراسات في تأريخ الموصل قوام الدولة أبو سعيد كربوقا، مجلة آداب الرافدين، الموصل: العراق، العدد (5)، 1974م.

76 – الإمارات الأرتقية في الجزيرة الفراتية والشام، مؤسسة الرسالة، بيروت: لبنان، 1980م.

77 – الدباغ، مراد مصطفى، موسوعة بلادنا فلسطين، 10 ج، ط: الأولى، دار الهدى، كفر قرع: فلسطين، 2000م.

78 – الرومي، عبد الجواد، صلاح الدين الأيوبي الناصر لدين الله، صيدا: لبنان، ب.ت.

79 – الرويضـــي، محمــود محمد فالح، إمارة الرها الصليبيـــة (1097م – 1155م)، الجامعة الأردنية، عمان: الأردن،1991م.

80 – الزبدة، عبلة المهتدي، صلاح الدين وتحرير القدس، ط: الأولى، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان: الأردن، 1422هـ – 2004م.

81 – الزيــدي، مفيــد، تاريخ الحروب الصليبية، ط: الأولى، دار أســامة للنشر والتوزيع، عمان: الأردن، 2004م.

– سالم، السيد عبد العزيز:

82 – طرابلس الشام في التاريخ الإســلامي، مؤسســة شباب الجامعة، الإسكندرية: مصر، 1966م.

83 – المغرب الكبير (العصر الإسلامي)، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة: مصر، 1966م.

84 – ســلامة، إبراهيــم خميس إبراهيم، دراســات في تاريخ الحــروب الصليبية (جماعة الفرسان الداوية)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية: مصر، 2004م.

85 – ســلامة، جــلال الدين حســني، عكا أثناء الحملــة الصليبية الثالثــة، ط: الأولى، دار الفاروق، نابلس: فلسطين، 1998م.

86 – ســويد، ياســين، حروب القدس في التاريخ الإسلامي والعربي، دار الملتقى للطباعة والنشر، بيروت: لبنان، 1997م.

87 – سيســالم، عصام سالم، جزر الأندلس المنســية، التاريخ الإسلامي لجزر البليار، ط: الأولى، دار العلم للملايين، بيروت: لبنان، 1984م.

88 – الشنقيطــي، محمد بن مختار، أثر الحروب الصليبية على العلاقات الســنية الشيعية، ط: الأولى، بيروت: لبنان، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2016م.

– الشيخ، محمد محمد مرسي:

89 – الجهــاد المقــدس ضد الصليبيين حتى ســقوط الرها (1097م – 1144م) الإســكندرية: مصر، 1972م.

90 – الإمارات العربية في بلاد الشام، الإسكندرية: مصر، 1980م.

91 – صالـح، محسـن، الطريـق إلى القـدس، ط: الخامسـة، مركز الزيتونة للدراسـات والاستشارات، بيروت: لبنان، 2012م.

– طقوش، محمد سهيل:

92 – تاريـخ الأيوبييـن في مصر وبلاد الشـام وإقليم الجزيرة، ط: الأولـى، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت: لبنان، 1420هـ – 1999م.

93 – تاريخ سلاجقة الروم في آسيا الصغرى دار النفائس، عمان: الأردن، 2002م.

94 – تاريخ الحروب الصليبية، حرب الفرنجة في المشرق (489 – 690هـ/1096 – 1291م)، ط: الأولى، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت: لبنان، 1432هـ – 2011م.

95 – تاريـخ الفاطميين في شـمال إفريقية ومصر وبلاد الشـام، ط: الأولى، دار النفائس، بيروت: لبنان، 2014م.

– عاشور، سعيد عبد الفتاح:

96 – تاريـخ أوروبا في العصور الوسـطى، دار النهضة العربية، بيروت: لبنان، 1430هـ – 2009م.

97 – الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد الإسـلامي في العصور الوسطى، ط: الخامسة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة: مصر، 1999م.

98 – قبـرص والحروب الصليبيـة، ط: الثانية، الهيئة المصرية العامـة للكتاب، القاهرة: مصر، 2002م.

99 – عاشور، فايد حماد، جهاد المسلمين في الحروب الصليبية، مؤسسة الرسالة، بيروت: لبنان، 1401هـ.

100 – عامر، سـامية أحمد محمد، جبيل تحت حكم اللاتين وعلاقاتها السياسـية بالمسلمين فـى الشرق الأدنى فى عصر الحروب الصليبية، رسـالة ماجسـتير، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، 1983م.

101 – عبد الحميد، سعد زغلول، العلاقة بين صلاح الدين وأبي يوسف يعقوب المنصور، بحث منشور، مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، عدد 3، مطابع رمسيس، الإسكندرية: مصر، 1952 – 1953م.

102 – عبـد القـوي، زينب عبد المجيـد، الإنجليز والحروب الصليبيـة، ط: الأولى، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة: مصر، 1998م.

103 – العجمـي، نها عوض محمود، الحملات الصليبية على مصر وبلاد الشام فى الفترة من (494 – 690هـ/1095 – 1291م) التمويل والإمداد، عين للدراسـات والبحوث الإنسـانية والاجتماعية، القاهرة: مصر، 2015م.

104 – العريني، السيد الباز، الشرق الأوسط والحروب الصليبية، القاهرة: مصر، 1383هـ – 1963م.

105 – أبو عساف، علي، طريق الحرير والطرق التجارية الأقدم، مجلة دراسات تاريخية، السنة (12)، العددين (39–40)، ديسمبر 1991م.

– عطية، حسين محمد:

106 – إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون، ط: الأولى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية: مصر، 1989م.

107 – دراسـات في تاريخ الحروب الصليبية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية: مصر، 2000م.

108 – قومون صور (1187 – 1189م)، نشأته وأهدافه، ونهايته، ضمن كتاب دراسـات في تاريخ الحروب الصليبية، د. ط، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية: مصر، 2000م.

109 – عـلام، عبـد الله علي، الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي، دار المعارف، القاهرة: مصر، 1971م.

110 – عنـان، محمد عبـد الله، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة: مصر، 1411هـ – 1990م.

– عوض، محمد مؤنس:

111 – فصـول ببليوغرافيـة في تاريخ الحـروب الصليبية، ط: القاهرة، عين للدراسـات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة: مصر، 1996م.

112 – الحـروب الصليبيـة، العلاقات بيـن الشرق والغرب، ط: الأولى، عين للدراسـات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة: مصر، 1999 – 2000م.

113 – الصـــراع الإســلامي الصليبــي، معركـــة أرســوف 1191م/587ه، ط: الأولى، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة: مصر، 1999م.

114 – دراســات فـــي تاريخ العلاقات بين الشـــرق والغرب، ط: الأولى، عين للدراســات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة: مصر، 2003م.

115 – صلاح الدين الأيوبي بين التاريخ والأســطورة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة: مصر، 2008م.

116 – أضواء جديدة على الحروب الصليبية، دار الشيماء، رام الله: فلسطين، 2011م.

117 – أضواء على ببليوغرافية تاريخ الحروب الصليبية، المراجع العربية والمعربة 1981 – 2011م، دار الجندي للنشر والتوزيع، القدس: فلسطين، 2013م.

118 – قالــوا عن صلاح الدين الأيوبي نســر، شــهادات من الشــرق والغرب، دار الكرز، القاهرة: مصر، 2013م.

119 – 100 كتــاب عــن صلاح الدين الأيوبي، عرض ونقــد، دار الآفاق العربية، القاهرة: مصر، 2014م.

120 – صلاح الدين الأيوبي، الإعاقة – الكاريزما – الإنجاز، دار الآفاق العربية، القاهرة: مصر، 2014م.

121 – صلاح الدين الأيوبي نسر الشرق الرحيم، العالمية للكتب والنشر، القاهرة: مصر، 2014م.

122 – نــور الدين محمود وصلاخ الدين الأيوبي فارســان مجاهــدان من عصر الحروب الصليبية، دار الجندي للنشر، القدس: فلسطين، 2014م.

123 – صلاح الدين الأيوبي وعصره من قبل ببليوغرافي، رام الله: فلسطين، 2015م.

124 – معجــم أعــلام عصر الحروب الصليبية في الشرق والغــرب، ط: الأولى، القاهرة: مصر، مكتبة الآداب، 1436هـ – 2015م.

125 – صـــلاح الدين الأيوبي فارس عابر للقرون، دائرة الثقافة، الشارقة: دولة الإمارات، 2016م.

126 – رحلتي مع صلاح الدين الأيوبي، دائرة الثقافة، الشارقة: دولة الإمارات، 2017م.

127 – خطـــاب البابا أوربان الثاني في كليرمونت 27 نوفمبر 1095م، دار الآداب، القاهرة: مصر، 2019م.

128 – رحلة إلى صلاح الدين الأيوبي، دار العالم العربي، القاهرة: مصر، 2010م.

129 – صلاح الدين الأيوبي، انكســـارات وانتصـــارات (1138 – 1193م)، ط: الأولى، نور حوران، دمشق: سوريا، 2019م.

130 – صـــلاح الديـــن الأيوبي في الموســـوعات العربية والغربية، نـــور حوران، دمشق: سوريا، 2019م.

131 – أضواء على المرأة في عصر صلاح الدين، نور حوران، دمشق: سوريا، 2019م.

132 – صـــلاح الديـــن الأيوبي فـــي كتابات المؤرخـــات العربيات، نور حـــوران، دمشق: سوريا، 2019م

133 – من معاصري صلاح الدين الأيوبي، دار الجندي للنشر، القدس: فلسطين، 2020م.

134 – من التاريخ العالمي لصلاح الدين الأيوبي، دراسة على رؤية المؤرخين الغربيين، جامعة الشارقة، الشارقة: دولة الإمارات، 2020م.

135 – عبيد، إسحق، من ألارك إلى جستينيان، دراسة في حوليات العصور المظلمة، دار المعارف، القاهرة: مصر، 1977م.

136 – غوانمـــة، يوســـف، إمارة الكـــرك الأيوبية، ط: الثانية، دار الفكـــر، عمان: الأردن، 1983م.

137 – فرج، وسام عبد العزيز، «النار الإغريقية، طبيعة تركيبها وأثرها في نشاط المسلمين البحري»، الحضارة الإسلامية وعالم البحار، بحوث ودراسات، القاهرة: مصر، 1994م.

138 – قاســـم، قاسم عبده، ماهية الحروب الصليبية، الأيديولوجية – الدوافع – النتائج، ط: الثانية، ذات السلاسل للطباعة والنشر والتوزيع، الشامية: الكويت، 1993م.

139 – قلعجـــي، قـــدري، صلاح الديـــن الأيوبي قصـــة الصراع بين الشـــرق والغرب في القرنيين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين، بيروت: لبنان، 1979م.

140 – كشك، محمد جلال، لمحات من حطين، لجنة القدس، القاهرة: مصر، 1985م.

الكناني، مصطفى حسن محمد:

141 – العلاقات بين جنوة والشرق الأدنى الإسلامي (1171 – 1291م/567 – 690هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية: مصر، 1981م.

142 – المؤرخ الجنوي كفارو الكاسيكفلوني، ضمن كتاب ندوة التاريخ الإسلامي الوسيط، تحرير: قاسم عبده قاسم، ورأفت عبد الحميد، مج: الثالث، دار المعارف، القاهرة: مصر، 1985م.

143 – مجموعة من الباحثين، ندوة حطين بمناسبة مرور ثمانية قرون على معركة حطين، دمشق: سوريا، 1987م.

144 – مجموعة من الباحثين، حطين صلاح الدين والعمل العربي الموحد، القاهرة: مصر، 1989م.

محمد، زبيدة عطا:

145 – الترك في العصور الوسطى بيزنطة وسلاجقة الروم والعثمانيون، ط: دار الفكر العربي، القاهرة: مصر، ب. ت.

146 – الشرق الإسلامي والدولة البيزنطية زمن الأيوبيين، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، كلية الآداب، القاهرة: مصر، ب. ت.

147 – محمد، علي سلطان عباس، مدينة عكا بين الاحتلال والتحرير (497 – 690هـ/1104 – 1291م)، ط: الأولى، دار دجلة ناشرون وموزعون، عمان: الأردن، 2009م.

148 – المحيميد، علي بن صالح، الدانشمنديون وجهادهم في بلاد الأناضول، ط: الأولى، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية: مصر، 1414هـ – 1994م.

149 – مصطفى، شاكر، دخول الترك الغز إلى الشام، المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام، الجامعة الأردنية، ط: الأول، الدار المتحدة للنشر، عمان، الأردن، 1974م.

150 – المطوي، محمد العروسي، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، ط: الثانية، دار الغرب الإسلامي، تونس، 1982م.

151 – المنجد، صلاح الدين، مدينة دمشق عند الجغرافيين والرحالين المسلمين، ط: الأولى، دار الكتاب الجديد، بيروت: لبنان، 1967م.

– مؤنس، حسين:

152 – نور الدين محمود سيرة مجاهد صادق، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة: مصر، 1378هـ – 1959م.

153 – أطلس التاريخ الإسلامي، ط: الأولى، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة: مصر، 1407هـ – 1987م.

154 – تاريخ المغرب وحضارته، العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت: لبنان، 1412هـ – 1992م.

155 – ابن موسى، تيسير، نظرة عربية على غزوات الإفرنج من بداية الحروب الصليبية حتى وفاة نور الدين، الدار العربية للكتاب، طرابلس: ليبيا، د. ت.

156 – الناصر، محمد حامد، الجهاد والتجديد في القرن السادس الهجري عهد نور الدين وصلاح الدين، ط: الأولى، مكتبة الكوثر، الرياض: السعودية، 1998م.

157 – نافع، أميرة، المسيحيون المحليون في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية (1097 – 1291م/491 – 691هـ)، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة: مصر، 2016م.

158 – نقلي، آسيا سليمان، دور الفقهاء والعلماء المسلمين في الشرق الأدنى في الجهاد ضد الصليبيين خلال الحركة الصليبية، ط: الأولى، مكتبة العبيكان، الرياض: السعودية، 2002م.

159 – نوري، دريد عبد القادر، سياسة صلاح الدين في بلاد مصر والشام والجزيرة، (570 – 589هـ/1174 – 1193م)، ط: الأولى، مطبعة الأراد، بغداد: العراق، 1976م.

160 – يوسف، أرشيد، سلاجقة الشام والجزيرة، ط: الأولى، مكتبة المحتسب، الرياض: السعودية، 1988م.

ب – المراجع المعربة:

161 – باركر، إرنست، الحروب الصليبية، ترجمة: السيد الباز العريني، ط: الرابعة، دار النهضة العربية، بيروت: لبنان، 1967م – 1386هـ.

162 – بالار، ميشيل، الحملات الصليبية والشرق اللاتيني في القرن 11 – 14، ترجمة بشير السباعي، ط: الأولى، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة: مصر، 2003م.

163 – جب، السير هاملتون. آ. ر. جب، صلاح الدين الأيوبي، ترجمة: يوسف أيبش، ط: الثانية، بيروت: لبنان، نيسان للنشر والتوزيع والإعلام، 1996م.

164 – ديورانت، ول وايريل، قصة الحضارة، ترجمة: محمد بدران، طبع لجنة التأليف والترجمة، 1957م.

– رانسيمان، ستيفن:

165 – الحضارة البيزنطية، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد، دار الكتاب، القاهرة: مصر، 1961م.

166 – تاريخ الحملات الصليبية، ترجمة: نور الدين خليل، ط: الأولى، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة: مصر، 1994م.

167 – رايلي سميث، جوناثان، الإسبتارية – فرسان القديس يوحنا في بيت المقدس وقبرص (1050 – 1310م)، تحقيق: صبحي الجابي، ط: الأولى، مركز الدراسات العسكرية، دمشق: سوريا، 1989م.

168 – رستون، جيمس، مقاتلون في سبيل الله صلاح الدين وريتشارد قلب الأسد والحملة الصليبية الثالثة، ترجمة: رضوان السيد، ط: الأولى، مكتبة العبيكان، الرياض: السعودية، 2002م.

169 – زابوروف، ميخائيل، الصليبيون في الشرق، ترجمة: إلياس شاهين، دار التقدم، موسكو: روسيا، 1986م.

170 – شاندور، ألبير، صلاح الدين الأيوبي البطل الأنقى في الإسلام، تحقيق: نديم مرعشلي، ترجمة: سعيد أبو الحسن، ط: الثانية، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق: سوريا، 1993م.

171 – شوفيل، جنفياف، صلاح الدين الأيوبي بطل الإسلام، تحقيق: جورج أبي صالح، بيروت: لبنان، 1998م.

172 – ماير، هانس أبراهارد، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة وتعليق: عماد الدين غانم، ط: الأولى، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق: سوريا، 2009م.

173 – مولر، فولفغانغ مولر، القلاع أيام الحروب الصليبية، ترجمة: محمد وليد الجلاد، ط: الثانية، دار الفكر، دمشق: سوريا، 1984م.

174 – هارتمــان، ج. بــاراكلاف، الدولة والإمبراطورية في العصور الوســطى، ترجمة: جوزيف نسيم يوسف، ط: الثانية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية: مصر، 1984م.

175 – هولــت، ب. م، عصر الحروب الصليبية، تاريــخ الشرق الأدنى من القرن الحادي عشر حتى عام 1517م، ترجمة وتعليق: عادل إســماعيل هلال، دمنهور: مصر، المعارف للنشر والتوزيع 2001م.

176 – أليســيف، نيكيتا، السلطان نور الدين بن زنكي، ترجمة، تحقيق: سليم قندلفت، علي القيم، ط: الأول، ألف باء الأديب، دمشق: سوريا، 1998م.

جـ – المراجع الأجنبية غير المترجمة.

Al Azhari ,)T. K.(The Saljūqs of Syria during the crusades 463 – 549 A.H., – 177 .1070 – 1154 A.D., Berlin, 1997

.Atiya‘ (A. S.) The Crusade, Historiography and Bibliography, London, 1962 – 178

.Cheffel, (J).. Richard Coeur de Lion, Paris, 1985 – 179

.Flori,) J(.. Richard The Lionheart King and Knight, London 2006 – 180

.Kedar (B. Z.), The Horns of Hattin, Jerusalem, 1992 – 181

.Kelley (J. N. D.), D. Oxford Dictionary of popes, Oxford, 1996 – 182

lane – Poole (S.), Saladin and The Fall of The Kingdom of Jerusalem, Kualo – 183 .Lumpur 2007

.Man (J.), Saladin, The Life, The Legend and The Islamic Empire, London, 2015 – 184

.Mayer (H. E.), Bibliographie Zur Geschichte der Kreuzzuge, Hannover, 1960 – 185

Mayer (T. H. E.), On The Beginnings of The Communal Movement in The Holy – 186 .Land: The Commune of Tyre, T. XXIV, 1968

.Pernod (R,) , Richard Coeur de Lion, Paris, 1988 – 187

Williams (P.), The Assassination of Conrad of Montferrat, Another Suspect, T. – 188 .XXVI, 1970

ثالثاً – الموسوعات:

189 – زكار، سهيل زكار، الموسوعة الشاملة في الحروب الصليبية، تأليف وتحقيق وترجمة، 50 ج، ط: الأولى، دار الفكر، دمشق: سوريا، 1995 – 2001م.

190 – عكام، محمود، الموسوعة الإسلامية الميسرة، دار صحارى، دمشق: سوريا، 1415هـ – 1995م.

191 – موسوعة بلدان أوروبا الغربية، بيروت: لبنان، بدون تاريخ.

رابعاً – الرسائل العلمية:

192 – سعيد، مرفت، حصن الأكراد ودوره في الصراع الصليبي الإسلامي (589 – 690هـ/1193 – 1291م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، الإسكندرية: مصر، 1992م.

193 – الشناوي، فاطمة، فيليب أغسطس ملك فرنسا (1180 – 1223م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة حلوان، مصر.

194 – عبد المنعم، سرور، التاريخ السياسي والعسكري لقلعة شقيف أرنون، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة طنطا، 1995م.

195 – العسقلاني، مصطفى عبد العزيز، عسقلان ودورها في الصراع الصليبي الإسلامي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، 1992م.

196 – محمود، إبراهيم سعيد فهيم، يافا ودورها في الصراع الصليبي الإسلامي (1099 – 1291م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، الإسكندرية: مصر، 1991م.

197 – المقدم، محمد عبد الله محمد مهيوب، رسالة علمية عن حصار المدن، جامعة تعز، اليمن، 2016م.

خامساً – مواقع الشبكة العنكبوتية:

198 – البدري، محمد عبد الستار، جريدة الشرق الأوسط، الملاحق/ حصاد الأسبوع،

مــن التاريخ: تحتمس الثالث ومعركة مجـدّو، الأربعاء 6 صفر 1437هـ/18 نوفمبر 2015م، .www.aawsat.com

199 – تمام، أحمد تمام، الحروب الصليبية. حملة الرعاع، موقع أرشـيف إسلام أون لاين على الشبكة العنكبوتية، www.archive.islamonline.net

200 – الجانب العقائدي في نظرة اليهود إلى مدينة بيت المقدس، الشبكة العنكبوتية: www. .diwanalarab.com

201 – حلـف المـدن العشرة، حواضر بُنيـت على أكتاف سـكانها المحليين، موقع جريدة الرأي الكويتية على الشبكة العنكبوتية، تاريخ النشر 22/05/2005م، .www.alrai.com

202 – السـمري، إبراهيم عبد العزيز (18 – 5 – 2010)، «القدس وآفاق التحدي»، www. .alukah.net

203 – قزمـوز، عبد الله، من تاريخ عكا ومعالمها الحضارية، ملحق فلسـطين يصدر عن جريدة السـفير اللبنانية، عدد يوليو 2012، على الشبكـة العنكبوتية www.palestine.assafir. .com

204 – قضية القدس، الشبكة العنكبوتية: www.alquds – online.Org

205 – وكالة أنباء فلسطين (وفا)، www.info.wafa.ps



الفهرس



رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com